العربي

مجلة شهرية ثقافية مصورة — ملحق الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

الخواء الروحي في العالم يزداد عمقاً

محمد فتحي

الإعلام العربي في معركة المصير

د. حافظ الجمالي

الدراسات الإعلامية العربية في أزمة

د. فاروق أبو زيد

قيمة العلم في الإسلام

د. يوسف القرضاوي

حدود عالمنا العربي
وحدود عالمنا الإسلامي

د. حسين مؤنس

نحن بالفعل نستطيع أن نصنع تاريخ بلادنا .. ولكن صنع التاريخ عسير



الجواب لا ، ثم نعم

اما «لا» فلاننا عندما نفكر فى جد وعمق ، لا نريد أن نصنع تاريخنا بايدينا نفضل ان يصنعه لنا غيرنا ، ونظرة الى المصور الجغرافى لعالم العرب والاسلام تريك حقيقة اننا لم نصنع تاريخنا المعاصر ، وانما هو صنع لنا فى مكان ما من اوربا ، وانظر الى حدود بلادنا جميعا وسل نفسك : من الذى صنعها ؟ تجد الجواب فى نفسك ، ولكن شفتيك لا تطيقان النطق به ، ربما حياء من الحق .

واما نعم فلاننا بالفعل نستطيع أن نصنع تاريخ بلادنا لو اردنا ، ولكن صنع التاريخ عسير ، إنه يتطلب تضحيات وتفكيرا ومخاطرات وعملا كثيرا . وهن امور قل من يريد أن يتجشم مشاقها ومن غريب خصائص النفس الانسانية أن الناس تميل الى ترك الآخرين يتخذون لهم القرارات الكبرى حتى لايتحملوا المسئوليات ، وقد قضت الانسانية الوف السنين ، تترك الملك اى راس الدولة وراثة من اب لابن ، ولم تطالب بحقها فى اختيار الحاكم الا من نحو مائتى سنة .

واحب ان اطمئنك ـ حتى لاتحسب ان لى رغبة فى الايلام فاقول لك اننا لسنا وحدنا فى هذه الحال ، فان حدود بلاد الدنيا خارج اوروبا والولايات المتحدة كما هى اليوم صنعتها اربع دول او خمس وصنعتها لتخدم فيها مصالحها لامصالح اهل البلاد ، ولكن بلاد افريقية وامريكا اللاتينية اخذت هذه الحدود التى رسمتها انجلترا وفرنسا وكانها حقوق قومية تاريخية ، واظنك تذكر ماساة كاتانجا التى ارادوا فى اواخر السفينات ان يفصلوها عن زائير طمعا فى معادنها وكادوا يفعلون لولا انهم اختلفوا على الغنيمة ولم يستقروا على امر مصيرها ولمن منهم ستصير كتانجا ؟ واخيرا راوا ان يتركوها مع زائير . فزائير دولة شاسعة المساحة ، وهى فى حاجة الى الغرب ، والغرب يصنع لها ـ كما يصنع لغيرها من جاراتها ـ كل شىء من الدبوس الى المطار ، واهل الغرب هم الذين يحددون اسعار المصنوعات ، فيتفقون فيما بينهم ، من يقيم مطار كنشاسا : الجيكا ، حسنا ، وماذا سيكون الثمن ؟ ١٠٠ مليون دولار . الحقيقة انه يتكلف نصف ذلك ، ولكن ماذا يهم ، ان الثمن سيدفع من معادن كتانجا ، فياخذون نحاسا والومنيوم واورانيوم وبلاتينيوم ، وغيرها بنصف الثمن ، ثم يصنعون ذلك كله ويعودون فيبيعونه من زائير وغيرها بضعفى الثمن ، والنتيجة فى النهاية انهم يحصلون على المعادن دون مقابل ، فلماذا كانت الحرب ؟ ولماذا مات فى سبيلها داج همرشلد ؟ ثم اين تشوجى بطل كتانجا ؟ مضى الى حيث لايبكيه احد .

وذلك مثال من العبث الذى يصنعونه بنا ، لاننا لانريد ان نصنع تاريخنا

هناك حدود ينبغي أن نحافظ عليها ولا نتخلى عن ملليمتر واحد منها

بايدينا ، وصنع التاريخ عسير جداً ، فهو يتطلب كما قلنا تضحيات وصبر ونكران ذات ، وانظر مثلا كم مليون من الروس ماتوا لكى يحوزوا من مساحة الأرض هذا القدر المخيف .

وها هم اليوم يخوضون معركة جديدة فى افغانستان لانهم يريدون ان يحدوا حدودهم زيادة عما هى عليه ، ولكنهم هذه المرة يصطدمون بشعب عزيز لا يحب ان يصنع له الآخرون حدوده ، فقد هزموا الانجليز بعد الفتنة الهندية الكبرى سنة ١٨٥٧ واخرجوهم من كابل وسيطروا على ممر خيبر وامسكوا بايديهم مفتاح الهند عند ريشاور . ومن الآن استطيع ان اقول إن الروس سينهزمون فى افغانستان رغم ان ثوار الافغان لا يتلقون من الخارج غير معونات قليلة ، ولكن المسالة هنا ليست مسالة عتاد وسلاح بل هى مسالة إرادة وعزيمة ، وقد بلغ من تعب الروس فى افغانستان انهم بعد ان كانوا يرسلون إلى هناك جنوداً من بلاد التركستان وما يقع شمالها من بلاد اسلامية مغصوبة تسمى جمهوريات اشتراكية ، وجدوا ان المسلمين لايصدقون فى حرب المسلمين ، فسحبوهم من الميدان ، وهرب منهم الى المجاهدين من هرب ، واتى الروس بدلا من هؤلاء بجنود روس من اصول المانية من نواحى بوميرانيا وبروسيا الشرقية التى انتزعوها من المانيا بعد الحرب العالمية الثانية ، يحسبون ان ذلك الجندى الالمانى سيكسر شوكة المجاهد الافغانى ، ولكن هيهات ، فان شعب الافغان لايحب ان يترك الآخرين يرسمون حدود بلاده ، وقد قال ذلك «نيزك» ملك اتراك طخارستان وهى جزء من افغانستان ، فقد كتب / قتيبة بن مسلم / الى نيزك يقول — حين يروى البلاذري — دعنا ندخل بالإسلام مخارم تلك البلاد ولك الامان فى نفسك وعيالك ومالك ، فكتب اليه نيزك : اما الإسلام فندخله ونؤمن بالله ورسوله ونبنى المساجد ، اما ان تطا بلادنا فلا . وقد اعجب ابن قتيبة وقبل شرطه وتصادق الرجلان ، ودخل قتيبة ارض طخارستان دخول صديق ، وحالف نيزك ، ثم افسد بينهما صعلوك يسمى الحارس بن سريح .

البلاد المتعبة

اقول ان سبب بلاء كل البلاد التى نسميها تادبا بالبلاد النامية ، ولو انصفنا لسميناها البلاد المتعبة (بفتح العين) او «التعبانة» اذا استعملنا اللفظ العامى ، وهى تعبانة لانها لا تريد ان تتعب تعبا حقيقيا مرة واحدة ثم تستريح الى الابد ، وهذا سبب بلوتها ، وتفضل بدلا من ذلك ان تظل تشكو وتتاوه : اليوم من ازمة اقتصادية وغدا من انقلاب عسكرى وهكذا ، ولقد زرت ليبيريا مرة وكنت ضيفا على الحكومة ، وبعد ان اجهدونى يوما كاملا فى اطلاعى



على عوامل الاستقرار والنهوض فى بلادهم أويت الى فراشى فى الفندق الفاخر ووجدتنى أقول فى نفسى : يرحمكم الله ! تكذبون على أم على أنفسكم ؟ والسبب أننى طول اليوم لم أر إلا ناسا نياما فى ظلال الأشجار ، والأشياء الوحيدة التى تستحق الفرجة هى المستوردات والميزانية تسدد عجزها الولايات المتحدة ، وبالنوم لاتصنع البلاد ، وقد صدق حسى وكان ما كان من موت رئيس ليبيريا وكل من عمل معه من حين قريب ، وسيطر على البلاد شاب فى الرابعة والعشرين ، وقد فعل ذلك لأنه وجد نفسه يقظا والناس من حوله نيام فضرب ضربته ، وأغلب الظن انه سيبدأ فى النوم عن قريب .

حدود عالم العروبة

واعود الى بلادنا ـ وهى التى تعنينا فى هذا الحديث ـ فاقول : حسناً ، لتكن الحدود كما هى ، كما رسموها لنا ، لاباس بذلك ، ولكن هناك حدودا أخرى ينبغى أن نحافظ نحن عليها ولا نتخلى عن مليمتر منها لأن أجدادنا هم الذين رسموها لنا ، هى حدود عالم العروبة كله وعالم الاسلام من حوله ، فهذه حدود عامة رسمها لنا أبطال تاريخنا الذين أنشأوا عالم الاسلام ، ومن العجيب أن الحدود الاسلامية الوحيدة الباقية دون تغيير هى التى رسمها لنا أبطال الاسلام فى القرن الهجرى الأول :خالد بن الوليد ، وابو عبيدة عامر بن الجراح ، وعياض بن غنم ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله ابن عامر ، والأحنف بن قيس ، وقتيبة بن مسلم ، ومحمد بن القاسم وعقبة بن نافع وموسى وطارق ، حتى حدود العروبة من والى النيل رسمها عبد الله بن سعد والى مصر لعثمان بن عفان الذى أرسل نافع ابن عبد القيس فوصل الى دنقلة سنة ٣١ هجرية وصالح الناس هناك على أن يكونوا أصدقاء الاسلام وعقد معهم معاهدة البقط ، وبنى فى بلادهم مسجدا واخذ منهم عهدا بالعناية بالمسجد ، وعلى هذا الأساس الذى وضع فى القرن الاسلامى الأول جاء ابتداء من القرن / الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى عرب الكنوز ، وعرب جهينة ، ورفاعة فاكدوا ما رسمه عبد الله بن سعد وأزالوا بقايا ممالك النوبة ومقرة وعلوة وجعلوا السودان النيلى بلاد اسلام والحمد لله على هذه الحسنة الكبرى .

عقبة بن نافع

وفى بلاد المغرب رسم حدود دولة الاسلام والعروبة عبقرى زاهد مقاتل يندر أن يجد الانسان له مثيلا هو عقبة ابن نافع بن عبد القيس الفهرى ، رجل قد من حديد وحمل قلبا عامراً بحب الله تعالى ، وقد تعودنا أن نرسم صورة عقبة وهو يدخل بفرسه فى ماء الأطلسى جنوبى أغادير ويشهد الله سبحانه وتعالى على أنه وصل براية الاسلام إلى آخر ما يصل اليه الواصل ، والمشهد رائع



لو أننا حافظنا على حدودنا العربية والإسلامية لتلاشت إسرائيل

حقا . ولو ان لدينا فنانين موهوبين مؤمنين حقا لاقاموا تمثالا لهذا المشهد جنوبى اغادير كما فعل الاسبانى الذى صنع مجموعة تحفية ارتفاعها اربعة امتار وعرضها اربعة اخرى تصور «نونيوث دى بالبوا» الذى عبر برزخ بنما واطل على المحيط الهادى على صهوة جواده فسمى من ذلك الحين مكتشف المحيط الهادى . هذا الفنان الاسبانى صنع التمثال على نفقته : ذهب الى بنما ونحت الصخرة فى الجبل قطعة قطعة ثم حملها ونحتها ثم ركبها . وقفت عند هذه المجموعة النحتية فى مارس ١٩٦١ وتعجبت من ايمان رجل بجنسه يدفعه الفخر بقومه الى ان يقوم بمثل هذا العمل وكنت آنذاك أمير معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد وعندى تسعة طلاب فن مصريون كلهم يقلدون بيكاسو وسلفادور دالى ، وانا انظر الى ما «يحكحكون» واتذكر فكتوريانو سابالا صانع تمثال «نونيوث دى بالبوا» واقول : هؤلاء ناس يعرفون كيف يرسمون حدود بلادهم ونحن نسير اذلاء بين يدى رسام مشعبذ يسمى بيكاسو واخر يحترف الجنون ليضحك على العقلاء يسمى سالفادور دالى ، وطلابنا بلهاء يضحكون على الدولة ليحصل الواحد منهم على منحة قدرها ثلاثون جنيها فى الشهر ، وكلهم اليوم ـ كلهم ـ يجمعون القروش فى بلاد الخليج ، كلهم يدرسون الرسم للأولاد . وهذا هو الفرق بينهم وبين فكتوريانو سابالا . لاعجب ان نصف العالم الجديد يتكلم الاسبانية ويدينون بالكاثوليكية . هذه امم عرفت كيف ترسم حدودها ولم تدع غيرها يرسمها لها ، هذه بلاد قصد اهلها الألوف فكسبوا الالوف وشبابنا يجرى وراء الملاليم ، ومن يجرى وراء الملاليم يصل الى الالوف فقط

تلك حدودنا

وبعد فانني مؤرخ اكره الماضى ، وعلى وجه التحديد اكره ماضينا نحن ، لأنني لا احب الذكريات الحزينة ، ولهذا فانني اتحول ـ كما حدث لتوينبى ـ الى مؤرخ يؤرخ الحاضر والمستقبل ، وكله تاريخ وكله زمان وكلها تجربة بشرية واحدة .

والذى اريد ان اقوله لاخوانى العرب والمسلمين . لاباس فى ان يكون غيركم قد صنع الحدود الداخلية لاوطانكم مادمتم تحافظون على الحدود الخارجية التى صنعها اجدادكم ، وانا شخصيا لاتهمنى اين تكون الحدود بين مصر والسودان فكلها بلادى وارضى ، ولكن تهمنى جدا حدود السودان من الجنوب . هناك حيث يتامرون على حدودنا ويستعينون علينا بالاحباش ومن وراءهم من الكوبيين والروس ، لأن هذه هى قشرة البيضة وحذار ان تنكسر القشرة ، وما اشد خوفى من ان تنكسر تحت ضغط الغرب ، واعوانه من خارج ، وتحت تاثير قصر النظر والانانية من الداخل .

تلك هى حدودنا التى اريد ان نحافظ عليها ، حدود العالم العربى الكبير والعالم الاسلامى الاكبر ، هذه على الأقل رسمناها نحن فلا اقل من ان نحافظ عليها .. لو آمنا بذلك لتلاشت إسرائيل وتحطم قرناها على صخرة القلعة العربية . لقد نفذت داخل بلدنا كالوتد ، ولكننا نرفضها ، بل هى اصبحت لاتثق فى نفسها ولا تامن على مصيرها بعد ان تعددت أساليب الصراع معها ، فنحن اليوم نصارعها من داخل ومن خارج ، وبيضتها تتحطم شيئا فشيئا بين الضغطين ، والمسالة كما قلت مسالة ايمان وصلابة ، والبقاء فى هذه الدنيا للأصلب . فلابد ان يكون قوامنا اصلب من قوام اسرائيل حتى تتحطم تحت ضغطنا المتواصل عليها ، وعندما قلت إن افغانستان ستنتصر قلتها وانا اعرف ان الافغانى اصلب من الروس رجل جبلى عفى حر النفس لايطيق ان يسيطر عليه احد وهو : يؤمن بالله ايمانا صادقا ويحارب فى سبيل دين الله ، اما الآخر فيحارب فى ظل تمثال رجل اصلع غاصب حاقد على الدنيا ومن فيها يسمى فلاديمير اوليانوفتش الملقب بلينين ، ظل عمره كله يجاهد لكى يطبق كلام صهيونى حاقد شرير يسمى كارل ماركس الف كتبا كلها حقد وضغينة وإيقاع بين البشر ، ولقد ظهر فى دنيا فاسدة وظلم شامل كان يقع على العمال ، وبدلا من ان

سلفادور دالى

توينبى



بيكاسو



ماركس

فريدريش انجلز

ما اشد خوفي من ان تتكسر
قشرة البيضة تحت ضغط الغرب

لا بد أن يكون قوامنا أصلب من قوام إسرائيل حتى تتحطم تحت ضغطنا المتواصل عليها

يصلح بين الناس اثار العمال على اصحاب الاعمال وحرضهم وأباح لهم اموالهم ودماءهم ، والناس سراع الى التخريب، سراع الى الدماء ، ولهذا وجد من الناس اذانا صاغية وتمهد الطريق للثورة الدموية التى قادها لينين

وكان كارل ماركس الذى نادى فى المانفيستو المشهور بالعدالة واحترام قيمة الانسان كان يعامل خادمته الالمانية على انها بقرة ، وكان يقول صراحة انها بقرة ، ولانها بقرة فقد انجب منها غلاما دون ان يستحى ، وبعد ان انجب الغلام طرد المسكينة الى الطريق دون أن يدفع لها مليما تعويضا ، واما الغلام فقد اعطاه لصاحبه فريدريش إنجلز لكى يربيه ، فقد كان إنجلز ميسور الحال ، وبعد ان نفض ماركس يديه من جرائمه تلك عاد الى مكتبه ليكتب عن العدالة وحقوق الانسان بينما زوجته تسبه وتصيح وتقول إنه خنزير ، واتباع هذا الخنزير هم الذين يحاولون اليوم ان يرسموا الحدود لشعب ابى يؤمن بالله وبنفسه هو شعب افغانستان ، وما دام هذا ايمانه فلن يرسم له حدود بلاده احد خنزير كان ام غير خنزير .

د. حسين مؤنس



بعض أفراد القوات الافغانية فى طريقهم الى احد مواقع الدفاع ضد الغزو السوفيتى

لابد أن تنتصر العدالة في قضية القدس

لانها المدينة التى التقت بها حضارات العالم ، وداهمتها الجيوش ، واحرقها الغزاة ، وتجلت فيها حكمة الانبياء ، وحدثت بها معجزة الاسلام الكبرى : الاسراء ، وسماها العرب القدس لقداستها ، وكانت وستظل ذات مكانة عظيمة فى نفوس الجماهير فى كل مكان من اتباع الرسالات السماوية .. فاننا نطالب العالم الاسلامى والعربى وكل شعوب العالم المحبة للسلام ، بان تمارس حقها فى منع هذه الجريمة النكراء التى استهدفت توحيد القدس وتكريسها عاصمة لاسرائيل .. فالاحتلال لا يمكن ان يحجب قيمة المدينة المقدسة واثرها فى الثقافة العالمية والحضارة الانسانية .. والظلم لا يمكن ان يسقط حقوق سكانها العرب الذين اقترن عمرهم بسنوات تاريخها ، والذين صانوا اماكنها المقدسة الاف السنين ووفروا الحرية لزوارها فى كل العصور ، فالعرب لم يدنسوا اماكن عباداتها كما يفعل الصهاينة اليوم ، ولم يغيروا المعالم الدينية والتاريخية والحضارية فى المدينة لإيمانهم بمدى ما يصيب شعور المؤمن فى العالم عندما تنتهك مقدساته ولطبيعتهم السمحاء التى جعلت المدينة مفتوحة ومرحبة بكل حجاجها الذين ياتون من كافة انحاء العالم ، وقت ان كانت لهم الكلمة الاولى فى المدينة ..

ولذا فان ما نطالب به اليوم هو ترجمة قرارات الامم المتحدة الى قرار ملزم للمجتمع الدولى الذى يستطيع ان يفرض عقوبات صارمة على اسرائيل .. فعندئذ نستطيع ان نقول ان العدالة يمكنها ان تنتصر فى قضية القدس .. وان بداية تجريد العدوان من وهم الشرعية التى يحاول ان يضفيها على نفسه بسياسة الأمر الواقع وبسلاح القوة والبطش ويتجاهل قرارات المنظمات الدولية ، لابد ان يعيد الى مدينة التلاقى بين الاديان وجهها العربى الذى يربط مصيرها بمصير كل شعوب المنطقة ..

(الدوحـــة)

قالوا عن القدس

● دعوة الدول العربية والاسلامية للمقاطعة السياسية والاقتصادية مع الدول التى تعترف بالقدس عاصمة لاسرائيل أو التى توجد لها بالفعل أو تقرر إقامة بعثات دبلوماسية فى المدينة المقدسة .

فقرة من فقرات القرار ذى الواحد وعشرين نقطة الذى اعتمده أعضاء لجنة القدس الذى انعقد فى الربـــاط

● إن دعوة العرب والمسلمين إلى الجهاد المقدس الطويل والدؤوب هى الرد الوحيد على هذه الغطرسة الصهيونية الدينية والعنصرية .. وهل يلومنا العالم بعد اليوم إذا ما أخذنا الأمور بأيدينا وتصدينا للدفاع عن أقدس مقدساتنا ضد هذه الحملة الاسرائيلية .

الأمير فهد بن عبد العزيز

● لا احد غير امتى وبندقيتى لاجتثاث هذا السرطان الصهيونى من قلب مدينة القدس العربية .

ياسر عرفات

● إن الاجتماعات والقرارات والتوصيات سواء التى تتخذ على المستويات العربية أو الاسلامية أو حتى العالمية لاتجدى ، لأن الكيان الصهيونى لا يعيرها أى اهتمام ما لم تكن مدعومة بالقوة واعلان الجهاد .

الشيخ محمد على الحركان
الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى

● إن القدس اضافة الى انها مدينة التلاقى بين الأديان ، هى ايضا قلب فلسطين المعذبة وضمير الأمة العربية المناضلة ، وقد تعمدت الصهيونية أن تنفى عن القدس وجهها العربى مدعية أنها عاصمة لها لتمزيق ما يشد العرب الى القدس ولسلخ القدس عن مصيرها المرتبط بشعوب المنطقة .

الشاذلى القليبى

● فى الماضى البعيد ، مات لويس التاسع ــ من ملوك الحروب الصليبية ــ وهو يصيح : القدس .. القدس !

وفى الماضى القريب ، سقط فيصل بن عبد العزيز ــ من الملوك الفدائيين ــ وهو يصيح : القدس .. القدس !

ترى ، هل تستمر المأساة ويبقى العرب والمسلمون عند القدس ، أو تبقى القدس عند المسلمين والعرب مجرد صرخة مؤلمة دامية مجبولة بالدموع .. ؟

ناصر الدين النشاشيبى

● الدول الاسلامية ليست عاجزة لاحباط

لابد أن تنتصر العدالة في قضية القدس

لانها المدينة التى التقت بها حضارات العالم ، وداهمتها الجيوش ، واحرقها الغزاة ، وتجلت فيها حكمة الانبياء ، وحدثت بها معجزة الاسلام الكبرى : الاسراء ، وسماها العرب القدس لقداستها ، وكانت وستظل ذات مكانة عظيمة فى نفوس الجماهير فى كل مكان من اتباع الرسالات السماوية .. فاننا نطالب العالم الاسلامى والعربى وكل شعوب العالم المحبة للسلام ، بان تمارس حقها فى منع هذه الجريمة النكراء التى استهدفت توحيد القدس وتكريسها عاصمة لاسرائيل .. فالاحتلال لا يمكن ان يحجب قيمة المدينة المقدسة واثرها فى الثقافة العالمية والحضارة الانسانية .. والظلم لا يمكن ان يسقط حقوق سكانها العرب الذين اقترن عمرهم بسنوات تاريخها ، والذين صانوا اماكنها المقدسة الاف السنين ووفروا الحرية لزوارها فى كل العصور ، فالعرب لم يدنسوا اماكن عباداتها كما يفعل الصهاينة اليوم ، ولم يغيروا المعالم الدينية والتاريخية والحضارية فى المدينة لإيمانهم بمدى ما يصيب شعور المؤمن فى العالم عندما تنتهك مقدساته ولطبيعتهم السمحاء التى جعلت المدينة مفتوحة ومرحبة بكل حجاجها الذين ياتون من كافة انحاء العالم ، وقت ان كانت لهم الكلمة الاولى فى المدينة ..

ولذا فان ما نطالب به اليوم هو ترجمة قرارات الامم المتحدة الى قرار ملزم للمجتمع الدولى الذى يستطيع ان يفرض عقوبات صارمة على اسرائيل .. فعندئذ نستطيع ان نقول ان العدالة يمكنها ان تنتصر فى قضية القدس .. وان بداية تجريد العدوان من وهم الشرعية التى يحاول ان يضفيها على نفسه بسياسة الأمر الواقع وبسلاح القوة والبطش وبتجاهل قرارات المنظمات الدولية ، لابد ان يعيد الى مدينة التلاقى بين الاديان وجهها العربى الذى يربط مصيرها بمصير كل شعوب المنطقة ..

(الدوحــــة)

قـالــوا عــن القـــدس

● دعوة الدول العربية والاسلامية للمقاطعة السياسية والاقتصادية مع الدول التى تعترف بالقدس عاصمة لاسرائيل أو التى توجد لها بالفعل أو تقرر إقامة بعثات دبلوماسية فى المدينة المقدسة .

فقرة من فقرات القرار ذى الواحد وعشرين نقطة الذى اعتمده أعضاء لجنة القدس الذى انعقد فى الربـــاط

● إن دعوة العرب والمسلمين إلى الجهاد المقدس الطويل والدؤوب هى الرد الوحيد على هذه الغطرسة الصهيونية الدينية والعنصرية .. وهل يلومنا العالم بعد اليوم إذا ما أخذنا الأمور بأيدينا وتصدينا للدفاع عن أقدس مقدساتنا ضد هذه الحملة الاسرائيلية .

الأمير فهد بن عبد العزيز

● لا احد غير أمتى وبندقيتى لاجتثاث هذا السرطان الصهيونى من قلب مدينة القدس العربية .

ياسر عرفات

● إن الاجتماعات والقرارات والتوصيات سواء التى تتخذ على المستويات العربية أو الاسلامية أو حتى العالمية لاتجدى ، لأن الكيان الصهيونى لا يعيرها أى اهتمام ما لم تكن مدعومة بالقوة واعلان الجهاد .

الشيخ محمد على الحركـان
الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى

● إن القدس اضافة الى انها مدينة التلاقى بين الأديان ، هى ايضا قلب فلسطين المعذبة وضمير الأمة العربية المناضلة ، وقد تعمدت الصهيونية أن تنفى عن القدس وجهها العربى مدعية أنها عاصمة لها لتمزيق ما يشد العرب الى القدس ولسلخ القدس عن مصيرها المرتبط بشعوب المنطقة .

الشاذلى القليبى

● فى الماضى البعيد ، مات لويس التاسع ـ من ملوك الحروب الصليبية ـ وهو يصيح : القدس .. القدس !

وفى الماضى القريب ، سقط فيصل بن عبد العزيز ـ من الملوك الفدائيين ـ وهو يصيح : القدس .. القدس !

ترى ، هل تستمر المأساة ويبقى العرب والمسلمون عند القدس ، أو تبقى القدس عند المسلمين والعرب مجرد صرخة مؤلمة دامية مجبولة بالدموع .. ؟

ناصر الدين النشاشيبى

● الدول الاسلامية ليست عاجزة لاحباط



وسيدافعون عن كل شبر من وطنهم الغالى دفاع الأسد عن عرينه .

وبيت المقدس صرة هذا الوطن المقدس ، وملتقى أقطاره ، «ومعراج نبيكم عليه الصلاة والسلام ، ومقصد الأولياء ، ومدفن الرسل ، ومهبط الوحى ، ومنزل ينزل به الأمر والنهى ، وهو البلد الذى بعث الله اليه عبده ورسوله وكلمته التى القاها الى مريم وروحه عيسى الذى أكرمه برسالته وشرفه بنبوته» .

فهى عزيزة علينا ، دنيا ودينا ، قديما وحديثا ، ولن يفرط فيها عربى ، مسلما كان أم مسيحيا .

من دراسة للعالم الفلسطينى
الدكتور اسحق موسى الحسينى

قليلة جدا هى المدن فى دول العالم المختلفة التى استأثرت باهتمامات البشرية ، على طول التاريخ وعلى اتساع الكرة الارضية ، بمثل ما استأثرت به مدينة القدس من اهتمامات الناس ، اهتماما عاطفيا ايمانيا لمكانتها المقدسة دينيا لدى اديان ثلاثة ، واهتماما قوميا مصيريا لمئة مليون عربى ، واهتماما سياسيا لمجموعة دول الأرض حمل العشرات منها على أن تخوض غمار الحروب من اجلها عشرات المرات .

انيس صايغ

● شهد اليهود انفسهم بأن موقف العرب منهم على مر العصور كان فوق كل شك وريبة .. شهدوا بذلك حتى فى المذكرة التى قدمت عام ١٩٣٨ إلى اللجنة البريطانية لبحث مشروع لجنة بيل لتقسيم فلسطين ، حيث أشارت الوكالة اليهودية فى مذكرتها إلى تسامح العرب مع اليهود واعطائهم نفس الحقوق والامتيازات الممنوحة لرؤساء الطوائف الدينية الأخرى .. ولم يحدث فى تاريخ هذه الرقعة من الأرض العربية مايشكك فى عروبتها ، قبل صدور وعد بلفور بانشاء الوطن القومى اليهودى فى ٢ / ١١ / ١٩١٧

الدكتور عز الدين فوده
من كتابه قضية القدس
فى محيط العلاقات الدولية

امنعوا هذه الجريمة النكراء فى مدينة الأنبياء

مؤامرة اسرائيل فى شأن القدس ، فهى تملك الموارد الأولية ذات الأهمية الفائقة بالنسبة إلى بقية العالم ، لكن القضية الأهم هى الارادة السياسية الضرورية لاتخاذ المواقف .

وزير خارجية باكستان

● سبق أن أعلن مجلس الكنائس بتاريخ ٧ تموز (يوليو) ١٩٦٧ رأيه الذى جاء فيه «لانستطيع أن نوافق على تفرد اسرائيل بضم القطاع الشرقى من القدس ، لأن هذه المدينة التاريخية هى مقدسة ، ليس فقط لليهود ، وإنما للمسيحيين والمسلمين» .

القس همفرى والــــز
الرئيس السابق لمركز دراسات الشرق الاوســــط

● اكملت اسرائيل تهويد المدينة بقوة السلاح والارهاب وسن التشريعات والقوانين المخالفه لمؤتمر جنيف ولمقررات الامم المتحدة ولمبادىء حقوق الانسان .

روحى الخطيب
امين القدس المبعــد

● إن وضع المدينة يجب الا يمس وإن الفاتيكان سيتابع معارضة ممارسات اسرائيل بحزم ، كما أن ملايين المسيحيين فى العالم لا يقبلون بأن تقدم المدينة المقدسة جائزة للغزاة .

جريدة اوبسرفاتورى رومانو
الناطقة بلسان الفاتيكان

● ان كل بقعة من وطننا الغالى مقدسة لانها مجبولة بدماء الآباء والأجداد ، ولأن فيها نمت حضارتنا وازدهرت حتى تفيأت بظلها أوروبا ، بعد القرون الوسطى ، وشاركت فى جنى ثمارها .

ولن يفرط الأبناء بتراث الآباء ،

قيمة العلم في الاسلام



د. يوسف القرضاوي

العلم فى نظر الاسلام ليس مقابلا للايمان ، فضلا عن ان يكون معاديا له كما شاعت هذه الفكرة فى اوروبا فى القرون الاخيرة ، حين وقفت الكنيسة فى تلك العصور تؤيد الخرافة ، وتحارب العلم ، وتناصر الجمود والتقليد ، وتقاوم التفكير الحر والابتكار المبدع . وتدافع عن القوى المتسلطة من حكام واقطاعيين ، وتقف فى وجه الشعوب والفئات المسحوقة .

الاسلام لم يعرف هذا الصراع بين العلم والايمان فى تاريخه ، لأن هذه الفكرة لا مجال لها فى تعاليمه ، لا نصا ولا روحا .

ويرفض فى بناء العقيدة : التقليد والتبعية «حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا» المائدة : او «انا اطعمنا سادتنا وكبراءنا» ويرفض ايضا الظن ، حيث لا يغنى فى شان العقائد الا العلم واليقين .

وقال فى شان المشركين وآلهتهم المزعومة : اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى : «ان هى الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ، ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس النجم»

ويابى القرآن الا أن تبنى العقائد على اساس البرهان القائم على النظر العميق ، والتفكير الهادىء ، ولأجل هذا صاح القرآن فى اصحاب العقائد الباطلة : «قل : هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين» .

ولا عجب ان تكررت فى القرآن هذه العبارات الموقظة للفكر من غفلته ، والمحررة للانسان من ربقة تقليده وجموده ، مثل : «افلا تعقلون» ، «افلا تتفكرون» ، «افلا ينظرون» ، «أولم ينظروا» ، «اولم يتفكروا» ، «لقوم يعقلون» ، «لقوم يعلمون» ، «لقوم يتفكرون» .

التفكير فريضة

وحسبك ان تقرا هذه الدعوة القوية الصريحة الى التفكير «قل انما اعظكم بواحدة : ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا» وانما دعاهم الى التفكير «مثنى وفرادى» ليتحرروا من الخجل او الرهبة من الآخرين ، ومن تاثير العقل الجمعى وايحاءاته ومن ضغط الجماهير والغوغاء .

وهذا ما دعا الأستاذ عباس العقاد - رحمه الله - ان يخرج كتابا عنوانه : «التفكير فريضة اسلامية» وهذا تعبير صحيح ، فالاسلام كما فرض على الناس ان يتعبدوا ، فرض عليهم ان يتفكروا .

فالعقيدة فى الاسلام تقوم على العلم لا على التسليم الأعمى . يقول القرآن : «فاعلم انه لا اله الا الله» ، القتال «اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم» : «اعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه ، واعلموا ان الله غفور رحيم» .

لم يخش القرآن عواقب الدعوة الى النظر والتفكر والعلم ان تاتى بنتائج تناقض حقائق الدين ومسلماته ، لأن فكرة الاسلام : ان الحقيقة الدينية لايمكن ان تناقض الحقيقة العقلية . فالحق لاينقض الحق ، واليقين لايعارض اليقين . انما يعارض اليقين الظن ، وتنافى الحقيقة الشك او الوهم او الافتراض .

ومن هنا لايمكن بحال مناقضة صحيح المنقول بصريح المعقول . وإذا بدا لنا تناقض ظاهرى فلابد ان يكون المنقول غير صحيح ، أو المعقول غير صريح .

وهذا يقع كثيرا : ان يظن ما ليس من الدين دينا ، وان يحسب ما ليس من العلم علما .

فليست كل افهام اهل الدين دينا ، كما انه ليست كل نظريات اهل العلم علما .

وفى اية اخرى بذكر العلم والايمان متعاطفين جنبا الى جنب كما قال تعالى « وقال الذين أوتوا العلم والايمان » ان العلم المادى مطلوب للانسان ولا شك ، ولكنه مطلوب طلب الوسائل لا طلب الغايات .

وهو يعين الانسان على الحياة ، وييسر له سبلها ، ويختصر له الزمان ، ويطوى له المكان ، فيقرب البعيد ، ويلين الحديد ، ولكنه وحده لايستطيع اسعاد البشر ، كما لايمكنه وحده ان يضبط سير البشر ، ويقاوم انانية الانسان ونزعات نفسه الأمارة بالسوء .

ولهذا كان الانسان فى حاجة ماسة الى «العلم الدينى» الذى ينمى الايمان ويحيى الضمائر ، ويغرس الفضائل ، ويقى الانسان شح نفسه ، وطغيان غرائزه على عقله ، وهواه على ضميره ، وهذا هو الذى يعصم «العلم المادى» من الانحراف ويحول دون استخدامه فى التدمير والعدوان .

وقد ضرب لنا القرآن مثلا بسليمان عليه السلام - الذى آتاه الله ملكا لم يؤته احدا من بعده .

فقد احضر اليه عرش بلقيس من سبأ باليمن الى مقره بالشام ، قبل أن يرتد اليه طرفه ، بفضل ذلك الذى وصفه القرآن بانه «عنده علم من الكتاب» وهنا تجلى الايمان حين أرجع سليمان الفضل الى الله لا الى نفسه ، فلم يركبه الغرور أو يستبد به الطغيان «قال : هذا من فضل ربى ليبلونى أاشكر أم اكفر ، ومن شكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربى غنى كريم» .

وكذلك كان موقف ذى القرنين الذى فتح الفتوح غربا وشرقا ، وتوج حكمه باقامة سده العظيم ، مستخدما ما يسره له علم عصره من وسائل وادوات ، فلما اتم البناء قال فى تواضع المؤمنين : «هذا

العقيدة فى الإسلام لا تقوم على التسليم الأعمى

العلم المادى مطلوب طلب الوسائل لا طلب الغايات

العلم فى الإسلام.. كيف نشأ فى أحضان الدين ؟

الدور العظيم الذى لعبته الجامعات الإسلامية العريقة

العلم شرط ضرورى للعمل حتى يصح ويستقيم

رحمة من ربى ، فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء ، وكان وعد ربى حقا».

الشريكان المتفاهمان

الا ان العلم الحق هو الذى يهدى الى الايمان ، والايمان الحق هو الذى يفسح مجالا للعلم ، فهما اذن شريكان متفاهمان بل اخوان متعاونان .

وهذا هو العلم الذى يريده الاسلام ايا كان موضوعه ، ومجال بحثه ـ يريده علما فى ظل الايمان ، وفى خدمة مثله العليا . والى ذلك اشار القران حين قال فى اول اية نزلت «اقرا باسم ربك الذى خلق» والقراءة عنوان العلم ومفتاحه ومصباحه . فاذا كان اول امر الهى نزل به القران «القراءة» كان ذلك اوضح دليل على مكانة العلم فى الاسلام .

ولكن القران لم يطلب «مطلق قراءة» وانما طلب قراءة مقيدة بقيد خاص وهو ان تكون «باسم الله» .

واذا كانت القراءة باسم الله ، فقد وجهت الى الحق والخير والهداية ، لان الله تعالى هو مصدر هذا كله .

ولا غرو ان نشا العلم فى الاسلام فى احضان الدين ، وان نشات المدارس فى صحون المساجد ، وبدات الجامعات الاسلامية العريقة تحت سقوف الجوامع بل سمى كل منها جامعا : جامع الازهر ، جامع القرويين ، جامع الزيتونة ...وهكذا

وكانت هذه الجوامع او الجامعات تدرس علوم الدين وعلوم الدنيا معا .

وكان كثير من العلماء التجريبيين هم فى نفس الوقت علماء دين . مثل القاضى ابن رشد الحفيد مؤلف «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» فى الفقه المقارن ومؤلف «الكليات» فى الطب .

ومثل الخوارزمى الذى الف كتابه الفريد ـ الذى اسس به علم الجبر ـ ليحل به مشكلات فى الوصايا والمواريث

العلم والعمل

والعلم فى نظر الاسلام دليل للعمل ايضا ، كما هو دليل للايمان . ترجم الامام البخارى فى جامعه الصحيح : «باب العلم قبل القول والعمل». وقال ابن المنير اراد به ان العلم شرط فى صحة القول والعمل ، فلا يعتبران الا به ، فهو متقدم عليهما ، مصحح للنية المصححة للعمل ، فنبه المصنف (يعنى البخارى) على ذلك حتى لا يسبق الى الذهن ـ من قولهم : ان العلم لا ينفع الا بالعمل ـ تهوين امر العلم والتساهل فى طلبه».

واستدل البخارى لما ذكره بجملة من الآيات والاحاديث منها : قوله تعالى «فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات»

فبدا بالعلم ، وثنى بالعمل ، وراس العلم معرفة الله تعالى وتوحيده . والخطاب وان كان للنبى ـ ص ـ فهو متناول لامته .

قال جل ذكره : «انما يخشى الله من عباده العلماء»

اى انما يخاف الله عز وجل ويقدره حق قدره ، من عرفه وعلم عظيم قدرته ، وسلطانه على خلقه ، نتيجة التامل فى اسرار كونه وشرعه ، وهم العلماء ، وهذه الخشية هى التى تحفز على عمل الصالحات ، واجتناب السيئات .

وقال النبى ـ ص ـ : «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين» وذلك لانه اذا فقه عمل ، واحسن ما عمل ، وادنى درجات الفقيه ـ كما يقول الامام الغزالى ـ ان يعلم ان الآخرة خير من الدنيا . وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت عليه برىء بها من النفاق والرياء .

يؤيد ذلك ما رواه زيد بن اسلم : ان النبى ـ ص ـ دفع رجلا الى رجل يعلمه فعلمه حتى بلغ «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ....» فقال الرجل : حسبى . فقال الرجل (اى المعلم) : يا رسول الله ، ارايت الرجل الذى امرتنى ان اعلمه لما بلغ «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره .» «فقال : حسبى ؟ .

فقال النبى ـ ص ـ : «دعه فقد فقه»

والسياق يدل على ان المعنى : قد استنار قلبه بنور الايمان والخشية من الله .

يدل لذلك ما رواه المطلب بن عبد الله ابن حنطب : ان رسول الله ـ ص ـ قرا فى مجلس ـ ومعهم اعرابى جالس ـ «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » فقال الاعرابى: يا رسول الله ، امثقال ذرة ؟ قال : نعم ، فقال الاعرابى : واسواتاه ... ثم قام وهو يقولها ، فقال رسول الله ـ ص ـ : لقد دخل قلب الاعرابى الايمان .

فكلمة النبى ـ ص ـ هنا : «لقد دخل قلب الاعرابى الايمان» فى معنى قوله فى الحديث السابق : «فقد فقه» .

وبهذا يتبين ان العلم شرط ضرورى للعمل ، لكى يصح ويستقيم على أمر الله سواء كان هذا العمل عبادة لله ، ام معاملة للناس .

روى سفيان بن عيينة عن عمر بن عبد

الحقيقة الدينية لا يمكن أن تناقض الحقيقة العقلية ولكنها تتنافى الشك أو الوهم أو الافتراض

قيمة العلم في الاسلام

لو ترك كل مسلم مهنته وتفرغ للدعوة والإرشاد .. فمن الذي يقوم بمصالح المسلمين ؟

العزيز ، قال : من عمل فى غير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح ..

وفى حديث معاذ بن جبل انه قال فى فضل العلم : وهو امام العمل ، والعمل تابعه ...

فلا تستقيم عبادة يجهل صاحبها ما يجب لها من شروط ، وما تقوم عليه من اركان .

ولهذا قال النبى ـ ص ـ للرجل الذى اساء صلاته ولم يؤد لها حقها من الطمانينة : ارجع فصل ، فانك لم تصل .

وانما قال له : «لم تصل» مع انه ادى الصلاة امامه ، لان صلاة منقوصة مبتورة كلا صلاة .

المعاملات العامة

وفى المعاملات وشئون الحياة عامة شخصية واسرية واجتماعية ـ يجب ان يعرف فيها الصحيح من الفاسد ، والحلال من الحرام ، حتى لا يتورط فى الحرام وهو لايدرى . والجهل بالاحكام فى دار الاسلام ليس عذراً .

فما كان من الحلال بينا فلا جناح عليه فى فعله او تركه ، وما كان من الحرام بينا فلا عذر له فى ارتكابه ، وما كان من المشتبهات التى «لايعلمهن كثير من الناس» فالحزم ان يدع مالا يريبه . «فمن اتقى الشبهات فقد استبرا لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يواقعه» .

وكان السلف يوصون التاجر الذى يدخل السوق ان يتفقه فى احكام البيع والتعامل ، او يلزم فقيها يسدده ويرشده

وفى الاعمال القيادية مثل الامامة والولاية والقضاء اشترطوا لها العلم الاستقلالى الذى يبلغ بصاحبه درجة الاجتهاد ، حتى اذا استفتى افتى بعلم واذا امر ـ امر بحق ، واذا حكم ـ حكم بعدل ، واذا دعا ـ دعا الى الخير ، وبهذا يكون العلم هو الذى يوجه الحكم ، والفكر هو الذى يقود السياسة .

ولم يقبلوا (المقلد) فى الامامة والقضاء الا من باب الضرورات التى تبيح المحظورات ، والنزول من المثل الأعلى الى الواقع الأدنى .

على ان من الواجب على الأمة ان تتدارك امورها ، وتصلح من شانها ، حتى لايلى امورها الا اكفاء الناس وأصلحهم للقيادة علماً وعملاً .

ولم يجز احد من الفقهاء ان يلى امور المسلمين فى السياسة والقضاء من يجهل شرع الله ، الذى هو أساس الحكم بين المسلمين ، فانه سيحكم بالجهل او الهوى ، وكلاهما فى النار .

روى بريدة مرفوعا : «القضاة ثلاثة، واحد فى الجنة ، واثنان فى النار ، فاما الذى فى الجنة ، فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق وجار فى الحكم فهو فى النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار» .

ثم ان العلم هو الذى يبين راجح الاعمال من مرجوحها ، وفاضلها من مفضولها ، كما يبين صحيحها من فاسدها ، ومقبولها من مردودها ، ومسنونها من مبتدعها ، ويعطى كل عمل «سعره» وقيمته فى نظر الشرع .

وكثيراً ما تجد الذين حرموا نور العلم يذيبون الحدود بين الاعمال فلا تتمايز ، او يحكمون عليها بغير ما حكم الشرع ، فيفرطون او يفرطون . وهنا يضيع الدين بين الغالى فيه والجافى عنه .

وكثيراً ما راينا مثل هؤلاء ـ مع اخلاصهم ـ يشتغلون بمرجوح العمل ، ويدعون راجحه ، وينهمكون فى المفضول ، ويغفلون الفاضل .

وقد يكون العمل الواحد فاضلا فى وقت مفضولاً فى آخر ، راجحاً فى حال ، مرجوحاً فى آخر ، ولكنهم لقلة علمهم وفقههم ـ لا يفرقون بين الوقتين ، ولا يميزون بين الحالين .

لابد من التفقه فى أحكام البيع والتعامل حتى لا يتورط الانسان فى الحرام والأخطاء وهو لا يدرى

الجهاد افضل

رايت من المسلمين الطيبين فى انفسهم من يتبرع ببناء مسجد فى بلد حافل بالمساجد قد يتكلف نصف مليون او مليوناً من الجنيهات او الدولارات ، فاذا طالبته ببذل مثل هذا المبلغ او نصفه او نصف نصفه فى نشر الدعوة الى الاسلام او مقاومة الكفر والالحاد ، أو فى تاييد العمل الاسلامى لاقامة الحكم بما انزل الله ،او نحو ذلك من الاهداف الكبيرة التى قد تجد الرجال ولا تجد المال ، فهيهات ان تجد اذنا صاغية ، او إجابة ملبية ، لانهم يؤمنون ببناء الأحجار ولا يؤمنون ببناء الرجال .

وفى موسم الحج من كل عام ارى اعدادا غفيرة من المسلمين الموسرين يحرصون على شهود الموسم ، وكثيرا ما يضيفون إليه العمرة فى رمضان ، وينفقون فى ذلك عن سخاء ، وقد يصطحبون معهم اناسا من الفقراء على نفقتهم ، وما كلف الله بالحج هؤلاء ولا هؤلاء . فاذا طالبتهم ببذل هذه النفقات السنوية ذاتها لمقاومة الغزو التنصيرى فى اندونيسيا او الغزو الشيوعى فى افغانستان .. لووا رؤوسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون .

هذا ومع إن الثابت بوضوح فى القرآن الكريم ان جنس اعمال الجهاد افضل من جنس اعمال الحج . كما قال تعالى :

«اجعلتم سقاية الحج وعمارة المسجد الحرام كمن امن باللـــه واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ؟ لا يستوون عند الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين .

الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل

لا يكفى لتجويد العمل : حسن النية وحرارة الإخلاص .. حتى يكون العمل ممهورا بخاتم الشرع

الله بأموالهم وانفسهم أعظم درجة عند الله أولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم » التوبة .

هذا مع ان حجهم واعتمارهم من باب التطوع والتنفل ، اما جهاد الكفر والالحاد والعلمانية والتحلل ، وما يسندها من قوى داخلية وخارجية ، فهو الآن فريضة العصر ، وواجب اليوم.

ولقد رايت شبابا مخلصين كانوا يدرسون فى كليات جامعية فى الطب أو الهندسة او الزراعة او الآداب او غيرها من الكليات النظرية أو العملية وكانوا من الناجحين بل المتفوقين فيها ، فما لبثوا الا ان اداروا ظهورهم لكلياتهم ، وودعوها غير اسفين بحجة التفرغ للدعوة والارشاد والتبليغ ، مع ان عملهم فى تخصصاتهم هو من فروض الكفاية التى تاثم الأمة جميعها اذا فرطت بها ، ويستطيعون ان يجعلوا من عملهم عبادة وجهادا اذا صحت فيه النية والتزمت حدود الله تعالى .

الفهم الخاطىء

ولو ترك كل مسلم مهنته فمن ذا يقوم بمصالح المسلمين ؟ ولقد بعث الرسول صحابه يعملون فى مهن شتى ، فلم يطلب من أحد منهم أن يدع مهنته ليتفرغ للدعوة ، وبقى كل منهم فى عمله وحرفته سواء قبل الهجرة ام بعدها . فاذا دعا داعى الجهاد واستنفروا نفروا خفافا وثقالا مجاهدين باموالهم وانفسهم فى سبيل الله .

ولقد انكر الامام الغزالى على اهل زمنه توجه جمهور متعلميهم الى الفقه ونحوه ، على حين لا يوجد فى بلد من بلدان المسلمين الا طبيب يهودى او نصرانى يوكل اليه علاج المسلمين والمسلمات ، وتوضع بين يديه الارواح والعورات .

ورايت اخرين يقيمون معارك يومية من اجل مسائل جزئية او خلافية ، مهملين معركة الاسلام الكبرى مع اعدائه الحاقدين عليه ، والطامعين فيه ، والخائفين منه ، والمتربصين به .

حتى فى قلب امريكا وكندا واوربا ، وجدت من جعلوا اكبر همهم : الساعة اين تلبس : افى اليد اليمنى أم اليسرى ؟

ولبس الثوب الأبيض بدل «القميص والبنطلون» واجب أم سنة ؟

ودخول المرأة فى المسجد حلال أم حرام ؟

والأكل على منضدة ، والجلوس على الكرسى للطعام ، واستخدام الملعقة والشوكة : هل يدخل فى التشبه بالكفار أم لا ؟

وغيرها .. وغيرها من المسائل التى تأكل الأوقات ، وتمزق الجماعات ، وتخلق الحزازات ، وتضيع الجهود والجهاد ، لأنها جهود فى غير هدف ، وجهاد مع غير عدو .

ورايت فتيانا ملتزمين متعبدين يعاملون اباءهم بقسوة ، وامهاتهم بغلظة ، واخوانهم واخواتهم بعنف .

وحجتهم انهم عصاة او منحرفون عن الدين ناسين ان الله تعالى اوصى بالوالدين خيرا ، وان كانا مشركين يجاهدان ولدهما على الشرك ، ويحاولان بكل جهدهما فتنته عن اسلامه .

يقول تعالى : «وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا» لقمان .

لماذا أنكر الإمام الغزالى على أهل زمنه أن يتوجه جمهور متعلميهم إلى الفقه ونحوه ؟

فرغم المحاولة المصرة من الأبوين ، التى سماها القرآن ، «مجاهدة على الشرك» امر بمصاحبتهما بالمعروف ، لأن للوالدين حقا لا يفوقه الا حق الله عز وجل ، ولهذا قال تعالى : «أن اشكر لى ولوالديك الى المصير» لقمان .

أما الطاعة لهما فى الشرك فهى مرفوضة ، ولاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وأما المصاحبة بالمعروف فلا مناص منها ، ولا عذر فى التخلى عنها .

ورأينا أناسا مخلصين ، يشرعون فى الدين ما لم يأذن به الله ، يحرمون ما لم يحرمه الله ورسوله ، ويامرون بما لم يامر به الله ورسوله ، ويتعبدون لله بغير ما شرع ، بل بالاهواء والبدع .

شفيعهم لذلك ـ فيما زعموا ـ حسن نيتهم ، وصفاء طويتهم وصدق رغبتهم فى التقرب الى الله تعالى .

وهذا فهم خاطىء لمعنى العمل الصالح المقبول عند الله تبارك وتعالى ، فلا يكفى فى حسن العمل حسن النية ، وحرارة الاخلاص ، حتى يكون العمل ماذونا به ، ممهورا بخاتم الشرع .

ولله در العلم الزاهد الورع ـ الفضيل بن عياض ـ الذى عبر عن هذا المعنى بعبارات جامعة ناصعة ، حين سئل عن «احسن العمل» فى قوله تعالى : «الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا» فقال : احسن العمل اخلصه واصوبه .

قالوا : يا أبا على ، ما اخلصه ؟ وما اصوبه ؟

قال : ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل . ولا يقبل حتى يكون خالصا وصوابا .

والخالص ... ان يكون لله .
والصواب ... ان يكون على السنة .

د. يوسف القرضاوى

عباس محمود العقاد

صحافة الشعر

انشاء مجلة خاصة بالشعر ـ يملأ فراغا محسوسا في عالمي الصحافة والثقافة ـ وهما عالمان يلتقيان في بعض الاطراف او بعض الزوايا ، ولكنهما يلتقيان حيث يفترقان ، عالمان منفصلان .

وللصحافة الشعرية ذكرياتها وتجاربها الكثيرة ، لانها وجدت عندنا قبل نهاية القرن الماضي ، ووجدت في البلاد الغربية قبل ذلك ، وتعددت تجاربها هنا وهناك ، ولكنها تتفق في تجربة واحدة قاسية ، هي صعوبة البقاء الطويل ، او صعوبة المزاحمة بينها وبين صحف السياسة وصحف الادب على اطلاقه ، وظهور هذه الصعوبة مع كثرة القراء او قلة القراء ، تتساوى في ذلك بلاد الحضارة الواسعة والثروة الوافرة ، وبلاد اخرى لم تبلغ مبلغها في شيوع التعليم وعموم الرخاء .

فالمجلات المخصصة للشعر في بلاد اللغة الانجليزية ـ وهي اكثر لغات الغرب انتشارا ـ لاتزيد فيما نعلم على اصابع اليد الواحدة ، وقلما يثبت منها في وقت واحد اكثر من صحيفة واحدة او صحيفتين، وانما يجد الشعر الحديث مكانه بين الملحقات الاسبوعية التي تصدرها الصحف اليومية الكبرى ، او بين صحف الاذاعة التي تنشر ما يلقى من محطاتها ، او بين صفحات المجلات الدورية التي تنشر الشعر وغير الشعر في الموضوعات الادبية ، وقد تتسع لدراسات السياسة والاجتماع من وجهتها العلمية ، ومن وجهة التراجم الشخصية .

وليس سبب ذلك ان قراء الشعر قليلون في اللغة الانجليزية ولا هم بالقليلين في غيرها من لغات الغرب ، ولا سيما اللغات الفرنسية والالمانية والايطالية . اذ يؤخذ من طبعات الدواوين في هذه اللغات ان قراء الشعر لا يقلون عن قراء القصة الراقية وان كانوا على التحقيق اقل من قراء القصص المبتذلة .


جمال الدين الافغاني


خير الدين الزركلي

وانما ترجع الصعوبة في بقاء المجلات المخصصة للشعر الى سبب غير نقص قرائه ، وخلاصته ان المجلات الادبية التي تعنى بالشعر وما عداه يقرؤها محبو الاطلاع على ابواب الادب كله ومنها قصائد الشعر التي تنشر فيها ، اما مجلات الشعر فليست هي المرجع الوحيد للاطلاع على الشعر الحديث او القديم ، وقد يتجاوزها محبو الشعر الى الدواوين المطبوعة التي لا ينقطع ظهورها في مواسم النشر المتعاقبة، اذ قلما يمضي موسم من مواسم الربيع او رأس السنة او مناسبة من المناسبات التي تتبادل فيها الهدايا دون ان تظهر فيه طائفة من دواوين الشعراء المحدثين والاقدمين ، ومنها ما ينتشر في الطبعات الرخيصة التي ينقص ثمن النسخة منها عن ثمن العدد الواحد من المجلة ، ومنها ما يتغالى به الناشرون في الطبعات المحلاة بالصور والموشاة بالزخارف الذهبية ويروج عند طلابه لانهم يحتفظون به احتفاظهم بالتحف النفيسة ، وهذا فضلا عن تيسر الاطلاع على القصائد الشعرية الحديثة في مجلات الادب وملحقات الصحف الكبرى .

وهذه هي التجربة التي خرجت منها صحف الشعر بنتيجتها العملية ، وبنتيجتها العملية ان تعول الصحيفة على هيئة قادرة على تكاليف الطبع والنشر ولكنها لا تتقيد بحساب التجارة او حساب الربح والخسارة وقد تستطيع هذه الهيئة مع طول الزمن ان تقابل بين تكاليفها ومواردها لانها تحمل بعض اعمالها على بعض وتاخذ من المورد الرابح للمورد الذي لا ربح فيه. ولا يبعد ان تقف المجلة المخصصة للشعر على قدميها بعد حين ، اذا هي نشرت مع الشعر تعليقات عليه وتفسيرات له ومقارنات بين انواعه في اللغة الواحدة وفي اللغات المتعددة، ودراسات في النقد وقواعد البلاغة والبيان ومراجعات في تاريخ الادب التي يدور حول هذه الموضوعات ولعلها تتسع بذلك لابواب الثقافة الادبية بجملتها ، لان الشعر والتعليق عليه وعلى تاريخه قد يحيط بالثقافة الادبية من جميع جوانبها ، وبخاصة حين يشمل شعر المسرح وشعر الغناء، وشعر الملاحم التي وضعت والتي تصلح للوضع ، فيما يراه النقاد والمقترحون .

وفيما نعلم لم يظهر عندنا في عصر الطباعة غير مجلتين اثنتين خصصتا للشعر ولم تتوفرا على غرض غيره من اغراض النقد والتعليق والمقارنة ، او اغراض التاريخ والتفسير والمراجعة الا اليسير وهما مجلة «المنظوم» ومجلة « الشتاء » .

ظهرت مجلة « المنظوم » في منتصف شهر نوفمبر سنة ١٨٩٢ ، ووصفت نفسها تحت عنوانها بانها « مجلة علمية ادبية » شعرية ، فكاهية غرامية تصدر في اليوم الاول والخامس عشر من كل شهر وقالت في مقالها الافتتاحي:

« لم نجد ٠٠٠ من الصحف العربية على اختلافها من فتح بابا لتاهل غريبة، او سهل الطرق لاجتماع شمل بعيدة بقريبة ولها العذر في ذلك لاشتغالها بالامور السياسية والمواضيع العلمية ، اعان الله الجميع على خدمة الوطن ، وجزاهم الجزاء الحسن ، بل نرى الكثير ممن ارتضوا افاويق الادب ، وتضلعوا في فنون لغة العرب ، ينظمون القصائد

■ مجلات الشعر ليست هي المرجع الوحيد للاطلاع على الشعر القديم والحديث

■ الشعر الحديث يجد مكانه بين الملحقات الأسبوعية التي تصدرها الصحف اليومية

الرائقة ، والاشعار الفائقة ، في مدح الاعيان والامراء ، والوجهاء والوزراء ويودعون دور افكارهم وغرر اشعارهم في الجرائد التي لم يكن للشعر تصيب فيها ، ولكل وجهة هو موليها :

كم اديب نرى وكم المعي
قد كسى الشعر رونقا وبهاء
شعره لاح في الجرائد ليلا
ثم عند الصباح راح هباء

الى ان قالت :

« ومما زاد الشعر كسادا ، وجلب على بضاعته فسادا انتسابه الى غير ذويه ، وادعاء من ليس من بنيه حتى خرج عن اصله ، وصار في غير اهله ... »

ومع هذا الابتداء ، بالنعي على ما دحي الكبراء والوزراء ، ذهبت صفحتها الاولى الى مدح الخديوي بقصيدة اخرى مختومة ببيت في الشطر الاول منه تاريخ هجري وفي الشطر الثاني تاريخ ميلادي :

رقى اللف مولانا بالهنا
١٣٠٩
فدام بنصر وهو بالقصد ظافر
١٨٩٢

ثم عادت في الصفحتين التاليتين الى نشر ابيات تضمنت تواريخ توليته العرش ، وتهنئته بورود الفرمان السلطاني بصدارته وتهنئته بالعيد .

ثم افتتحت الصفحة التالية بتهنئة « سعادة الهمام المفضال احمد بك كمال مفتش الانتكخانة المصرية » واشتمل العدد الاول بعد ذلك — من الصفحة العاشرة الى الصفحة السادسة عشر والاخيرة — على طائفة من الازجال والمواويل .

وربما كانت ازجال المجلة ومواويلها اعلى في بابها طبقة من قصائد الشعر الفصيح ، ومنها ما التزم فيه الناظم محسنات اللفظ والمعنى جناسا وتورية كقوله :

محبك اللي كتر شوقه واهواله
والطير عدد على حاله واهوى له
مازال يبكي الشجي من قلة اوصاله
كان يعقوب بالاشجان اوصى له

وقد احتجبت هذه المجلة بعد بضعة اشهر ، ولم تستطع الثبات حتى يتصل خبرها بقراء الشعر والادب لقلة الاقبال عليها .

الشتاء

اما مجلة « الشتاء » فقد ظهرت في مطلع سنة ١٩٠٩ ميلادية ، ولابد ان القارىء يستغرب هذا الاسم الذي لا مطابقة بينه وبين مسماه ، لان مجلة الشعر قد تسمى باسماء الفصول جميعا ما عدا فصل البرد والظلام ، وقد تسمى مجلة الربيع لما فيه من النضرة والزينة والغناء ، بل تسمى باسم الخريف لما فيه من طيبات الثمر والفاكهة ... اما اسم الشتاء فقد عرض شعر المجلة مقلما لسمعة البرد والغثاثة واقامها على طريق القافية التي لا تعذر على شريعة الظرفاء من اولاد البلد في القاهرة على الخصوص ، وفيها ظهرت المجلة ولا حيلة لصاحبها في اختيار موعدها ، لانها كانت ملاذة للاستشفاء ولا مقام له بها في غير الشتاء .

وكان صاحبها سليم العتموري «بك» من ادباء دمشق النابهين ، وممن زار مصر والتقى فيها بالسيد جمال الدين ، وكان يشكو الارق ويؤثر الانتقال الى جو القاهرة اكثر ايام الشتاء ، ويقول صديقه الاستاذ الزركلي صاحب « الاعلام » انه قضى ثلاثين سنة لا ينام في الليل والنهار اكثر من ثلاث ساعات ويتناوب بناته السهر معه يخدمنه ويكتبن ما يملي من منظوم او منثور .

ومن امثلة شعره المنشور في المجلة ابيات في الغزل بعنوان حقوق الضيافة :

طرقت حماها والدجى يبعث الرجا
ولي من غرامي في الدجنة هاد
فالفيتها فوق الفراش وحولها
يحوم ضميري طائرا وفؤادي
فقلت الزما هذا المكان فانتما
ومن فيه احباب بشكل اعادي
تعلمتما منها الجفاء فختتما
جواري ذهابا نحو رب قيادي
وخلفتماني لا شعور ولا نهى
ولولا لحاقي ما ضبطت قيادي
فايقظ عتبي من احب فمرحبت
بضيف كضيف زار نضو سهاد

وعلى هذا المثال تتابعت قصائد المجلة ، وقل فيها التنويع بين الشعر وغيره ، وقل تنويع الشعراء كما قل تنويع الشعر ، فاستأثر صاحب المجلة باكثر الصفحات ، ولم يكن من اليسير عليه ان يجدد نظام التوزيع ونظام الاشتراكات السنوية بعد انقطاعها شهورا في كل عام فاجتمعت عليها الاسباب من علل الفن وعلل الادارة ولم تتجاوز حياتها بضعة شهور .

ولا نحسب ان المجلتين معا تصلحان للقياس عليهما في جميع الاحوال ، فقد يطول اجل المجلة الشعرية لو ظهرت على مثال اصلح من هذا المثال ، ولكن متاعب التنظيم «الاداري» التي صادفت المجلتين هي ولا شك مثل شائع في احوال المجلات الشعرية جميعا ، حيثما كانت من بلاد العالم ، وكيفما كانت درجتها من الجودة أو كان حظها من اقبال القراء .

وهذه المتاعب بعينها هي التي تعجز عنها الادارة التجارية وتقدر عليها الهيئات الموكلة بالثقافة العامة ومطالب التعليم في ايدي الحكومات او المؤسسات الموقوفة على نشر المعرفة بروس اموال غنية عن الربح من موارد مجلاتها ، وقد يتوافر لها الربح من مواردها الصحفية مع الزمن ، كلما استطاعت الاغضاء عنها زمنا طويلا ، ويسر لها البقاء الطويل اسباب الكمال وعوامل الترغيب .

عباس محمود العقاد





شهيات

د. يوسف إدريس

فلنجرب الجنون !

كنا جالسين جاءت سيرة سين من الناس • وبدأ أحدهم بالثناء عليه • وبحماس فاتر رد آخر بمقولة اخرى طيبة عنه • الرجل عالم وعميد احدى الكليات الهامة في جامعة هامة من جامعاتنا • ورغم صغر سنه فقد تبوأ منصب العميد عن جدارة واصبح اسمه من الاسماء الثقات على مستوى العالم في تخصصه • اي بلد لابد ان تفخر به • اي جامعة في الخارج كانت ترصد له ولابحاثه الميزانيات الضخمة وتجد في كل فرصة تتاح مناسبة لتكريمه • هكذا جرى الحديث عنه اول الامر ، غير ان احد الحاضرين ما لبث ان قال : ولكن ••• وآه من لكن هذه التي اصبحت لابد ان تعقب أي مديح في اي جلسة وعلى اي مستوى في مجتمعنا • ولكن ••• وذكر الرجل قصة توحي بانه ليس عالميا ولا شيء من هذا القبيل وانما هو متخصص في (العلاقات العامة) وفي الالحاح على الجرائد والمجلات ان تنشر اخباره واخبار سفرياته وابحاثه المزعومة • وانبرت سيدة من الحاضرات تتحدث عن معاملته المخجلة لزوجته •• وردت عليها اخرى بقصة سمعتها • وهكذا وجلت المنديل الابيض الناصع الذي اخرجه المتحدث الاول من جعبته ليذكر للحاضرين نموذجا طيبا يعرفــه ، بدأت نقط من الحبر السميك الاسود تلتصق باركان المنديل ثم تزحف من كل الجهات •• كرامته وشرفه •• أولاده وزواجه •• علاقته بالناس ••• عمله •• وحتى لم تسلم عائلته ، واذا بالمنديل في النهاية يستحيل الى مربع اسود غامق السواد صاره الرجل العالم المرموق وآل اليه •

ولم يكن هذا اول منديل ابيض يخرج من جعبة في جلستنا ، فقد لاحظت ان ما من منديل خرج ، الا وعاد الى جيب صاحبه بقعة كالحة السواد • وأيضا لم تكن جلستنا اول جلسة ، ولا نحن وحدنا الذين نجلس وتاتي على السنتنا سير الناس ، انما ، في السنوات الاخيرة ، لاحظت ايضا كثرة هذه الجلسات ، وندرة من يخرج سالما، اذا مرت سيرته ، مجرد مرور ، على لسان من الالسنة ، بل حتى أصبح الامر لعبة يبدأها احدهم او تبدأها احداهن بقولها : ما تيجي نتم • اذ قد تعلمنا في صغرنا ان هذه نميمة وانها من طبع النساء الحاقدات الثرثارات • ولكن يبدو انها لم تعد مجرد نميمة ، بل لم تعد تقتصر على النساء ، برع فيها الرجال أيضا وبزوا النساء !

نحن مجتمع لا يؤمن بالحركة •• او (الاكشن) ، نميل اكثر الى الحديث • حتى عن (الاكشن) او من يقومون (بالفعل) وكنت اعتقد ان عدد القادرين على التحدث يكاد يوازي عدد القادرين على الفعل في بلادنا ، لولا أنني لاحظت ايضا في السنين الاخيرة ان الكثيرين قد بدأوا يفضلون تماما ان يستحيلوا الى متفرجين على من يقومون بالفعل • ولان (من خاف سلم) والذي يعرض نفسه للقيام بفعل ما هناك احتمال كبير ان يخطيء او يكبو فليس اروع من الكف عن الاقدام على اي فعل والتحول الى صفوف المتفرجين الذين يضعون انفسهم في موقف الحكام او القضاة متزهين عن اي فعل او خطأ ، يحكمون على الناس هم وأبدا لا يحكم عليهم احد فهم والحمد لله لا يقومون باي حركـة تستدعي اي حكم ، هم لا يقومون الا فقط بدور الفرجة ، والفرجة في اي شكل من أشكالها مأمونة العواقب ولا يجرؤ احد على الحكم عليها • وتكاثر جمهور المتفرجين حتى اصبح بعشرات الالاف والمئات والملايين ، يتفرجون على (اللعيبة) في الملعب الكبير • اللعيبة فرادى وقليلون تماما وملعونون في كل حال من جمهور المتفرجين العريض حتى لو كانت المباراة هامة و(حساسة) وحتى لو كانت احيانا تدور حول اخطر القضايا والمصير • ليس اسهل من الجلوس على مقعد مريح في نادي او مقهى واصدار الاحكام على المتحركين • احكام رهيبة مانعة قاطعة تقال وتكال بكل بساطة وبلا اي انفعال ، ويحس الجالس المستريح انه، بهذا الحكم ، أو بتلك النميمة ، او بهذا الذي رواه عن (لعيب) ومزق به شرفه ، قد اراح ضميره وقام بكل (الفعل) المطلوب منه ، وكفى الله المؤمنين شر اي قتال •

أنا لا يهمني الآن بحث الاسباب التي ادت لهذه الظاهرة هناك فلاسفة عظام متخصصون في بحث (الاسباب) أي أسباب لاي شيء ، وستجد من قال ان عدم اشراك الجماهير في الحكم والمسئولية احدث نوعا من السلبية ادت الى هذه الاوضاع • ومن قائل ان انعدام الديمقراطية في الزمن (الغابر) أدى الى تعود الناس على عدم الجهر بآرائهم أو التصدي (للافعال) وهكذا آب الناس الى الهمس نميمة والى الاكتفاء بدور المتفرج حتى لو كانت الرواية التي تعرض أو المباراة المقامة تمس صميم صميم حياته • ستجد مفسرين عظاما لهذه الحالة ، ولكني هنا لا اسوقها كي نجد لها سببا ، اني انما افعل لاني قد بدأت أدرك انها خطر ماحق علينا جميعا واني في محاولتي لادراك ذلك الخطر انما ادافع عن النفس، بادئا حتى بنفسي، فالحامض الكاوي يهري القلوب والصدور من حولي ، ويحدق بي ومن المستحيل ان اتركه يهريني أو يهري غيري •

أصحيح أن الأمر لا يكلفنا سوى شخص أو بضعة أشخاص؟ أم هل يكلفنا حياتنا وأطفالنا من بعدنا؟

ان هذه الحالة الغريبة في جانب من جوانبها ، ليست مجرد رد فعل سلبي لغطر العلنية او القيام بفعل ، ولكن بعض العقول غير الواعية ، تقوم بها ويغبث شديد ، بهدف تبرير موقف المتفرج ، بل واستمراره •

فما من شك ان لدى كل انسان ضمير ، وان لا وسيلة لقتل هذا الضمير الا بقتل الانسان نفسه • وما من شك في ان كل من يقف موقف المتفرج يؤرقه ، فان لم يكن أرق الضمير فهو الثورة الداخلية على النفس وعلى الموقف المخزي الذي تقفه • لكي يريح المتفرج ضميره ويخمد ثورته على نفسه لابد من مبرر قوي جدا يسوقه للآخرين ولذاته ، هذا المبرر هو وصم كل من (يلعب) او (يتحرك) او ماض في القيام باي (عمل) انه مطعون فيه او في ذمته او في انتمائه او في اهدافه • وحبذا لو كان جميع المتحركين الفاعلية هكذا اذ ما دام المتحركون كلهم قذرين ، فكيف تريد مني ان اتحرك او افعل • وما دامت كل حركة محل ريبة او لابد وراءها غرض خبيث فلا اروع من التفرج اذن ، ومن البقاء هناك في اعلا المدرج (نظيفا) غير ملوث الثياب او السيرة • لنفتش اذن لكل متحرك عن نقطة سوداء في حاضره او في تاريخه واذا حتى عجزنا فلنفتش في مستقبله او بمعنى آخر في هدفه • وما دامت مجموعة من الناس قد اتفقت ان تسود سيرة ما فمن المحال ان تعجز وما دام الكلام يقال وليس مطلوبا منك اثبات او اقامة الدليل عليه فانت لن تخسر شيئا اذا قلت كل ما (سمعت) او حتى كل ما (تتمنى) حدوثه • ومجلس ينقل عن مجلس وراو ينقل عن راو لابد ان تسود اكبر صفحة بيضاء اذا اردت لها ان تسود • وما دمنا كلنا اصبحنا سود الطوايا فلا فضل لعربي حينئذ على اعجمي ولا لصاحب الفعل على صاحب القول ولا للاعب على متفرج • باختصار اشد ، ينعدم (البطل) •

والناس تتحرك الى امام لان امامها نماذج رائعة بيضاء للحركة الى امام • ولهذا فالبطل في اي مجتمع ظاهرة اجتماعية ، وليست فردية • ظاهرة يفرزها المجتمع نفسه ليضع بها نماذج حية لمثل عليا يضعها الناس امام اعينهم ويحتذونها كلما دعت الحاجة للحركة او للتصرف •

ولم يحدث في تاريخ اي شعب ان سودت كل مثله العليا ابدا ، فهذا معناه التوقف التام • معناه سيادة السكون والتفرج معناه نهاية الحركة والابداع وحتى مجرد اداء الحياة • بل حتى معناه ـ وهذا هو البشع ـ انعدام القدرة للثورة عليه وخلق مجتمع جديد بنماذج جديدة بأبطال جدد لان هذه الثورة نفسها لا تحدث ولا يمكن ان تحدث الا بنماذج من هذا المجتمع المريض نفسه تثور عليه، ويحتذيها تلامذة وتابعون يشكلون في النهاية قوة تغيير تعيد تشكيل المجتمع وصياغة حياته •

فاذا قضينا بالسنتنا على كل النماذج وعلى كل انواع الحركة وفي أي اتجاه فاننا ، دون ان ندري ، نقضي على الحياة الكائنة والحياة التي لابد ان تكون، نقضي على يأس الحاضر ونقضي ايضا على امل المستقبل ، نقضي على جيل عائش وموجود وجيل جديد قادم وقد طمسنا معالم مثله العليا التي لابد ان تكون قائمة اليوم ليحتذيها الشباب اليوم وغدا •

حين نقضي على (كل) الفاعلية نقضي على (كل) الفعل و (كل) الحركة بما فيها الحركة الى امام •

المجتمعات الصحيحة (وليس مهما ان تكون من عالم اول او ثالث وليس مهما ان تكون متخلفة او متقدمة المهم ان تكون غير مريضة) تقضي فعلا بالسنتها وباقلامها واحيانا بافعالها ومخالبها وقضائها على (بعض) الفعل ـ او الفعل الضار ـ و(بعض) الفاعلين المتحركين في اتجاه ضار ، بعضهم وليس كلهم ، وبعضهم السيء ايضا ، كي تفسح المجال امام الفاعلين المتحركين الى امام ، فليست كل حركة مرض او ضرر وليس كل الفاعلين سيئين وخبثاء ، وبالطريقة التي رأيناها ونراها، وما دام الطمس والتسويد والهدم الجارح يحدث بلا تمييز ـ او من اجل التسويد للتسويد ـ فالامر يحدث قطعا بلا تمييز ، فالتمييز يحتاج لتفكير ايضا او (اعمال) الفكر ، وهذا (فعل) ، والقائمون بالتسويد ليسوا من اهل ذلك ، انما هم من اهل الفرجة والسلبية الكاملة المطلقة فاعمال الفكر بالنسبة لهم عمل، وعمل شاق ايضا ، وسوف يوضعون من اجله لو فعلوا في قائمة (الفاعلين) ويعرضون للتلويث فما الداعي والامر لن يكلفنا اكثر من شخص آخر او بضعة اشخاص نضيفهم الى قائمة الملوثين ؟

أصحيح ان الامر لا يكلفنا سوى شخص او بضعة اشخاص ؟

الم نفكر أبدا أنه قد يكلفنا حياتنا نفسها ، بل ربما حياة ابريا، تماما كاولادنا من بعدنا ؟

●●

انني معك تماما ايها المتحدث الوقور في ان السيد فلان او الصحفي فلان او الطبيب فلان او رئيس هذا او ذاك قد يكون سيئا ، ولكن لست معك ابدا في ان كل من تاتي سيرته على السنتنا والسنة غيرنا ، كل من تاتي له سيرة في اي زمان او مكان او مجلس هو بالضرورة سيء الى ان يثبت

شذريات

العكس • والكارثة ان هذا العكس لا يثبت أبدا فاولا لا احد يهتم بان يثبته ، ولا انت تواجه صاحب السيرة بما تقوله عنه لتحاكمه بعدل وتعطيه فرصة اثبات العكس وانما كل هذا يتم خلف ظهره ، بل ان سيرة سيادتك نفسها لو فقط تزحزحت عن مجلسك الوقور هذا معطيا لنا ظهرك لن تسلم ، وستحاكم انت الآخر محاكمة غيبية مليئة بشهود الاثبات ولا شاهد نفي واحد ، والتهم خطيرة وكثيرة وبشعة والحكم بالاجماع •

أتصور ان معجزة حدثت وقلبت الوضع • بمعنى أننا قررنا ذات يوم مشهود ان نقلب الآية تماما • وبدلا من ان نطعن في كل مخلوق من وراء ظهره ، نمدح فيه حتى لو كان المديح كذبا ، حتى لو اقتضى الامر ان يفلت بعض المجرمين من محاكماتنا ؟

صحيح ان شيئا كهذا يتعارض تماما مع (الصورة الموضوعية) للموقف وقد نجني على الحقيقة في احيان . ولكن ، الن يكون أثره ، ما دام الناس كلهم نظيفين هكذا وأبرياء أن افكر أنا الآخر أن أكون جيدا وبريئا وأن أنزل انا الآخر الى الساحة وأعمل وأنا ضامن اني سابقى نظيفا أنا الآخر؟

وهل هذا أمر سيء ؟

وهل هذا أمر مضر ؟

وحتى لو كانت طريقة مثالية للتفكير والحكم على الناس

ولكنها على الاقل ستجعلني أنا وملايين المواطنين أومن ان الدنيا لا تزال بخير وان النظافة هي القاعدة وان الحركة بركة وخير والتفرج نكوص وجبن ،حتى لو كان الامر هكذا ، أفي هذا خسارة اي خسارة ، أم فيها الكسب ، لي وللمجتمع ولكل الناس ، كل الكسب ؟

حقا • لماذا لا (نجن) ونفعلها ؟

ما دمنا قد جربنا (للعقل) وآيت بنا التجربة الى مليون متفرج بائس وعشرة لاعبين ملعونين كما هو حادث الآن لماذا لا نجرب (الجنون) الذي قد يقلبنا بين يوم وليلة ، وأقسم ان الامر لن يستغرق أكثر من يوم وليلة ، يقلبنا الى مليون فاعل نشط قادر مخلص وعشرة متفرجين بائسين لا يمنعهم من الاشتراك الا الجنون الحقيقي او النزع الاخير•

ان طاقتنا على العطاء لا حد لها • والانسان العربي ما اعظم ما يحتويه صدره ، ما أروع ما يحفل به عقله من طاقات وقدرات ما اجمله حين يفعل ويعمل ويقفز ويغني، ويكيل للعدو ـ حتى لو كان وضعا او قرارا او مشكلة ـ ضرباته ، ويوجه طاقاته في هدم معوقاته ومعوقيه ، بدل ان ترتد طاقات عدوانه الخلاقة الى الداخل تهدم ذاته وكل ما وهب العظيم في ذاته ، غير عارف انه حتى وهو يهدم زميله أو جاره او احيانا محبوبه انه في الحقيقة يهدم ذاته فذاتي ايها الهادم من ذاتك وأي جناية علي بالدرجة الاولى جناية عليك • اولا اذ انت حين تخسرني تخسر نفسك وحين اضرك اخسر اولا نفسي ، السنا نفس الذات نفس الانسان وحدة بشرية اسمها العرب • ام ان بلدنا هي العزيزة الغالية التي نشدو بها كلنا وكانها نقطة مجردة في الفضاء بينما بلادنا هي ، ولا شيء آخر ، لا الارض ولا السماء ولا التاريخ ، وانما أنت وأنا ، نحن الوجود العربي الدائم والخالد ، نحن الكنز وصاحب الكنز ، نحن أنا وأنت وليس اي شيء خرافي آخر • اصح • فز • اخرس ايها الانا فانا حين أشوهك ، حتى لو كنت مشوها التصرف التلقائي حيالك ان ادير وجهي عنك ، حين أشوهك فانما هي نفسي



الأمارة بالسوء تريد تشويهي انا ، تريد مسخي انا بمسخ كل ما اتصوره من نماذج وبطولات ، عدوتي لدودتي حينئذ لابد من كبحها •

لابد قبل ان افتح فمي لاقول رأيي او حكايتي عن فلان او علان ان اسأل نفسي اولا : لماذا يا نفسي لماذا ؟ انا عارف تماما انها ليست غيرة على الحق والحقيقة فاذا كان الامر كذلك فالطريق ليست حديثا جبانا من وراء الظهر • ما دمت غيورا على الحق والحقيقة الى هذه الدرجة فواجهه • قل رأيك هذا أمامه فاذا لم تستطع • اذا آثرت السلامة اذا سكت عن الحق فانت حينئذ شيطان • اخرس ، وما دمت بقولك الخلفي هذا شيطانا اخرس فجرمك يصبح اكبر من كل جرائمة حتى لو كانت جريمته الخيانة ، فان يخون الانسان مبدا جريمة، ولكن سكوتك انت على خيانته جريمة ابشع الف مرة ، لانها الجريمة المحرضة على الجريمة ، المحرضة على استمرار الخيانة ، المحرضة على مواصلة الشر وليس ابشع منها جريمة •

●●

طبعا انا لا الح في طلب التصرف (بجنون) على نحو ما ذكرت ، فيبدو اننا اصبحنا اعقل بكثير من ان نجن ، ولكنا ، اذا كنا عقلاء فعلا ، فلابد ان نصل بعقلنا ولعقلنا الى هذا السؤال : لماذا اذن يعيش الانسان ؟ اللي ياكل ويشرب ويتناسل ؟ ولكن هذه ليست شطارة فاي حيوان باستطاعته ان يفعل هذا !

ألكي نعيش اطول عدد ممكن من السنين نستمتع بالوجود احياء ؟ فليكن ، فلتكن متعة العيش نفسها دافعا للبقاء ، ولكن السؤال هو : اي متعة؟ ان الطعام والشراب والتناسل متع مكررة اذا زاول الانسان الحياة من اجلها فقط فلابد ان يمجها بعد فترة فهي مجرد تكرار لمتع معروفة محفوظة، تكرار لمتع تفقد ، بمجرد تكرارها القدرة على الامتاع •

لابد اذن من شيء ممتع آخر هو الذي يجعلنا نتمسك بالبقاء احياء • تلك المتعة لابد ان تكون هي الوجود بمتعة او الحياة بمتعة • ومتعة الحياة هي الاحساس بالحياة ولكي تحس بالحياة لابد ان تكون لحياتك فاعلية ما • اذن انت تحيا وتحس انك تحيا وتستمتع بانك تحيا بمقدار ما تحس لحياتك بفاعلية ما •

والطريقة التي وصلنا اليها لابد ان تدفعنا بعد حين الى ان نفقد فاعليتنا تماما حين نتحول الى مجرد متفرجين على احداث ممجوجة • اننا نقوم في منتصف الرواية اذا تراكم احساسنا بالملل منها حين لا تعجبنا • وبالطريقة الآنفة وبأحداث ممجوجة يقوم بها فاعلون ممجوجون يتسرب الملل الى انفسنا ثم الضيق ، ثم السخط ونبدا نفكر في القيام ومغادرة دار العرض •

ولكن دار العرض التي نحن بصددها هي الدنيا والأحداث الممجوجة هي كل حياتنا •

ومغادرة الدار يعني ان نموت أو نفنى •

سيوصلنا عقلنا اذن الى ان فكرة الحياة رغم انها حياتنا فكرة كل الحياة • واذا تمسكنا (بتعقلنا) العميق وتشبثنا بالحياة رغم كرهنا لها ، فالنتيجة ان نمرض ، والمرض ليس سوى الباب يفتح للموت وللعدم ، ونتيجته المحتمة رغم كل عقلنا ان نموت استمساكا بالحياة ، هذا النوع من الحياة •

اوليس هذا هو الجنون الحقيقي ؟!

ليس ان نقوم بعمل (مجنون) لتغيير طعم حياتنا وانما ان نظل نحتسيها بمرها ومرارتها حتى نموت غما ؟

ومادام الامر جنونا بجنون ، فلماذا لا نختار الجنون الشافي • أو الجنون في محاولة الشفاء بدل الجنون استمساكا بالحياة مرضا والمرض حياة ؟

وقد يهز احدنا كتفه ويقول : لسه بدري •

لا تزال الحياة حلوة • ونحن لا نزال نحيا • حتى لو كان هذا هو الذي سيحدث فاوانه لم يات بعد •

واني لآسف اذ اقول ان الامر ليس كذلك مطلقا ، فنحن بهذه الحياة مرضى ، والباب الوحيد المفتوح امامنا هو باب الموت • كل ما في الامر اننا من فرط عقلنا لا ندركه ومن فرط ما افقدنا المرض احساسنا لم نعد نحس المرض ولا نقدر انه مرض خطير فادح ، مرض الموت •

ام يشك احدا في اننا مرضى ؟ لا اعتقد ان احدا سيشك فالشك ايضا نوع من التفكير ، والتفكير ايضا نوع من الفعل ، ونحن قد قررنا ان نتفرج فليشك (الجدع) الذي يريد الشك فسنبقى نحن نتفرج على شكه وربما نصل الى انه ملتاث وان له سوابق في الاقسام وغدر بفلان وفلان •

وشفاة ممصمصة مقلوبة ، وملامح استرخت على مضض وقلوب مثقلة نترك المجلس الى مجلس والمجالس الى الفراش منهكين بلا تعب ، مطحونين بلا كفاح ، تضاغطت ارواحنا الى الحلاقيم ، وماذا نفعل ؟وهل ستصلح وحدنا الكون ، نم لها على جنبك الايمن عساها تفرج فان لم تفرج نم على جنبك الايسر ، فان لم يحدث ، فالامر يومئذ لله •

●●

اريد ان اقف فوق قاعدة التمثال العالية الانيقة بلا تمثال (وكاننا نستخسر ان نمنحها تقديرا لاحد ، مهما يكون قد فعل) فوق أعلا قاعدة تمثال في اوسع ميدان اريد ان اقف واصرخ بأعلا صوتي : اجل أيها الناس •• يمكن ان نصلح وحدنا الكون • أي منا ، بمفرده حتى ، لو اراد ، يستطيع • لو أراد بقوة ، بكل ما لديه من قوة ، يستطيع •

د• يوسف ادريس

أمة الرسالة الخاتمة

د. عون الشريف قاسم

شهدت خمسينات هذا القرن وستيناته انحسار الامبراطوريات الأوربية التقليدية عن خريطة العالم السياسية ، التى كان يجللها اللونان الوردى والبنفسجى ، كناية عن الاستعمارين الانجليزى والفرنسى . ومثلما كانت الحرب العالمية الأولى تغييرا فى ميزان القوى فى المجال العسكرى اوالسياسى ، مما انعكس على خريطة العالم السياسية ، فكذلك كانت الحرب العالمية الثانية حدا فاصلا بين مرحلتين فى مجال التوازن الدولى ، إذ انهارت بعدها خطوط دول الاستعمار القديم ، وتقلصت حدودها التى كانت الشمس لا تغرب عن ممتلكاتها اعداها ، لتعود فى الختام ، كما كانت فى البدء ، محصورة فى مجالها الجغرافى المتواضع ، وبرزت فى الساحة الدولية القوتان معظميان ، مما تطلب رسم خريطة جديدة ، تعكس ميزان القوى الجديد وتحدد مراكز النفوذ السياسى للقوى المهيمنة على مقدرات العالم .

الخريطة الاستعمارية

وما يهمنا فى هذا المقام ، مكان امتنا العربية والاسلامية كجزء من العالم الثالث فى هذه الخرائط ، التى ترسم وتخطط وتوزع فيها المناطق والاقاليم والبلاد بواسطة المتغلبين من أمم الغرب قديمها وحديثها . ومن الواضح أن راسمى الخرط الدوليةيحرصون ما واتتهم القوة والقدرة على استمرار الخطوط والألوان فى مكانها المحدد لأبعد مدى زمنى ممكن ، وغالبا ما يحدث التغيير من قبل قوة مناوئة جديدة تبحث لنفسها عن مكان فى خارطة النفوذ الدولى ، فتعيد تشكيل الخطوط والألوان من جديد ، وهكذا اختفت بعد الحرب العالمية الأولى الخلافة العثمانية ، واختفت معها كل مخططات الوحدة الاسلامية بين دول العالم الاسلامى ، وانتقلت بالتالى كل هذه الدول الاسلامية ، ما عدا قلة قليلة الى دائرة النفوذ الاستعمارى المباشر ، الذى استثمر تفوقهالعلمى والاقتصادى والثقافى ، ليحيل خريطة استعماره السياسى الموقوته المدى والأثر ، الى خريطة للاستعمار الثقافى والحضارى بعيدة المدى دائمة الأثر ، ولم يكن ذلك عفو الخاطر،بل كان ثمرة جهد كبير استفاد فيه الغربيون من دراساتهم لأوضاع شعوب العالم الثالث ، مما منحهم القدرة على إحلال نماذجهم الغربية فى الفكر والاقتصاد والسياسة والاجتماع محل النماذج الوطنية التى تعطلت فعاليتها بفعل الزمان ، ولاسيما [illegible] طويلة عن منابعها الفكرية التى تمنحها الحيوية والقدرة على استيعاب متطلبات الحياة المتجددة ، وهكذا تكرس الاستعمار السياسى والاستعمار الثقافى بعد الحرب العالمية الأولى .

رياح التغيير

وحين هبت رياح التغيير بعد الحرب العالمية الثانية ، واستحالت الى إعصار عاصف فى الخمسينات والستينات ، تخلص معظم العالم الثالث من الاستعمار السياسى المباشر ، وانحسرت عن الخريطة تلك الالوان التى كانت تغلب عليها لتحل محلها الوان جديدة بعدد الدول التى نالت الاستقلال السياسى على نطاق العالم . وكان نضال الشعوب المضطهدة ، وترهل القوى الاستعمارية ، مما فتح المجال لهذه الشعوب المضطهدة للتخلص من سيطرة المستعمرين ، ولكنه فتح المجال ايضا لورثة النظام الاستعمارى الغربى للظهور على المسرح العالمى كقوة شابة ،تسعى ما وسعها الجهد لملء الفراغ العالمى الناجم عن انهيار امبراطوريات الغرب الكبرى الانجليزية والفرنسية والهولندية والبرتغالية والاسبانية وما إليها . ورغم الخلاف الايدولوجى بين ورثة هذا النظام الغربى ، وانقسامهم الى شرق شيوعى تتزعمه روسيا ، وغرب رأسمالى تتزعمه أمريكا ، فانهم متفقون فى الاساس الحضارى والاجتماعى كأبناء شرعيين لتراث خاص وحضارة لها شخصيتها المتميزة ، فى مواجهة كل حضارات العالم القديمة التى كانت تحكم مجتمعات العالم القديم قبل ازدهار الحضارة الغربية فى الخمسة قرون الأخيرة . ومن الواضح أن هذا الانقسام بين المعسكرين الشرقى والغربى لا يخرج عن انقسام بين المصالح الاستراتيجية بين الكتلتين البشريتين للغرب ، والذى هو فى جوهره امتداد لما ظل يحدث بينهما طوال التاريخ منذ أيام الاسكندر والامبراطورية الرومانية التى انقسمت فى نهاية المطاف الى كتلة شرقية بيزنطية وكتلة غربية رومية أو رومانية ، وما نراه من انقسام فى الحضارة الغربية بين شرق وغرب لا يخرج فى كثير من تفاصيله عما كان يحدث بالأمس بين ابناء الحضارة الواحدة .

الصراع التاريخى

ومن الواضح ايضا ان هذا الصراع بين أمم الغرب على اختلاف أوطانها ومذاهبها ، وأمم الشرق أو العالم القديم ، أمر تاريخى بدأ منذ أقدم العصور كما يستدل من الحروب التى كانت مشتعلة بين الاغريق والفرس . وقد كان حلم الاسكندر الأكبر أن يوحد ما بين الشرق والغرب ، وأن يجعل من التلاحم الحضارى اساس هذا التوحيد . ويبدو أن حلم الاسكندر الأكبر قد تحقق الى حد ما فى هذا العصر ، الذى تمكنت فيه حضارة الغرب من غزو معظم شعوب العالم الثالث ، واضافتها الى رصيدها الحضارى الثابت . والفرق بين مخطط الاسكندر

■ مكان أمتنا العربية والإسلامية كجزء من العالم الثالث

■ كان الإسكندر معجبا بحضارات الشرق محترما لها

■ الصراع بين الغرب والشرق أمر تاريخي قديم

الحضاري ، ومخطط أحفاده المحدثين ، ان الاسكندر كان صاحب رسالة ، وكان معجبا بحضارات الشرق التى كان يكن لها الاحترام ، وقد كان أول ما فعله حين وطئت قدماه أرض مصر ، بالاضافة الى انشاء مدينة الاسكندرية ، أن توغل فى الصحراء حيث معبد الاله آمون فى واحة سيوة ، وشارك بفعالية فى عبادة هذا الاله الفرعونى ، دلالة التمازج بين الحضارتين الاغريقية والفرعونية . وقد ظل هذا التمازج هاجسه ، إذ كانت سياسته تشجيع التزاوج بين الجنود الاغريق والسكان الذين يمر بهم جيشه الفاتح . ورغم قصر عمره الذى لم يتجاوز الثلاثين الاقليلا ، فان الآثار المترتبة على سياسته الحضارية كانت بعيدة المدى والتأثير ، كما يتبين من عمق التلاقح الذى تم بين ثقافة اليونان والثقافات الاسيوية فى فارس والهند وغيرهما . ولكن كل ذلك لم يلغ السمات المميزة لهذه الامم ، كما انعكست فى الثقافات المختلفة التى تعاورت على هذه المراكز الحضارية عبر القرون ، وكانت هذه الثقافات فى تلاقحها واستفادتها من هذه التيارات المتدفعة من شرق الى غرب فى أعقاب غزوات الفرس لبلاد اليونان ، ومن غرب الى شرق فى حملات اليونان المضادة ، كانت ايضا تأكيدا لهذه التجارب فى اطار الزمان والمكان ، بحيث يصعب ، ان لم يستحل احلال تجربة بحذافيرها محل تجربة أخرى مغايرة لها فى الظروف البيئية والزمانية . ولكن هذا التفاعل المتواصل بين البشر والثقافات ، كان يفسح المجال لمناخ حضارى جديد تلتقى فيه كل هذه العناصر على قدر ، فى بوتقه واحدة ، لاخراج مركب حضارى جديد ، يستوعب طاقات البشر المادية والروحية ، ويجمع بينهم رغم اختلاف البيئات والسلالات فى اطار الانسانية الواحدة .

الشرق والغرب

وما قاله الشاعر الانجليزى كبلنج من أن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا ، قول يغفل هذه الحقيقة التاريخية الهامة التى كانت تتفاعل عناصرها وتتبلور سماتها مع الزمن لتقريب الشقة بين الشرق والغرب ، فاتحة بذلك بابا واسعا لانسانية جديدة ، تتأكد فيها أخوة البشر ، وتتوطد علاقات المحبة والتعاون بينهم ، لتحقيق الهدف الأسمى الذى أراده الله للانسان حين استعمره الارض ، وزوده بهداية العقل والدين . وكان الاسلام الذى انبثق فى هذه البيئة المتوسطة بين المجالين الحضاريين لامم الشرق والغرب ، فى بعض جوانبه ، الثمرة الناضجة لهذا الجهد الانسانى على المستويين الروحى والحضارى ، وهو فى ذات الوقت ارتقاء به لمرتبة التمازج والتكامل بين ما هو غالب على الشرق من روحانية ، وما هو غالب على الغرب من مادية ، ومن ثم كانت الوسطية منهجه ، لقوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) . فهو كرسالة خاتمة تلخيص لجهد البشر الروحى على مدى الزمان والمكان ، وبلوغ بتجربة الانسان التاريخية الى غايتها المرسومة ، التى حددها المولى عز وجل حين خلق آدم من تراب ،ونفخ فيه من روحه،ليكون خليفة لله فى الأرض . وهو فوق تعبيره عن تجربة الانسان على الأرض ، وصول بامكانياتها الى منزلة المثل الأعلى الذى يتطلع اليه البشر لاكمال انسانيتهم ، بحيث يصبح هذا المثل الاعلى غاية يحققها الانسان فى حياته اليومية ما التزم بمنهج هذه الرسالة الخاتمة فان فى امتزاج الروح بالتراب فى خلق ادم اشارة الى تكامل قوى النفس الروحية والمادية ، وفى تعليمه الأسماء اشارة الى العقل والعلم ، الذى فضل الله به البشر على كثير مما خلق . وقد بلغ منهج التكامل هذا مداه فى الاسلام بدخول الدين فى حياة الدنيا ، فامتزج الروحى بالمادى ، والتقى العقل بالنقل ، ولم يعد للانسان ، وقد أكمل الله له منهج التقدم ، من سبيل سوى الاستعانة بعقله فى ضوء هداية الله التى صاغت وجوده ، تكاملا بين طاقاته الروحية والجسدية ، وتفاعلا بين عقله وما جاءت به رسالات السماء لتحقيق الهدف الأسمى الذى أراده الله له بأن يكون خليفة الله فى الارض مترسما فى ذلك قانون الفطره المودع فى كيانه والمعبر عنه فى دين الله ، ولهذا كان الاسلام خاتم الرسالات ، فلا رسول ولا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، لاكتمال طاقة الانسان الروحية التى أكمل الله بها الدين ، بحيث يستطيع الفرد مواجهة تحديات قرون التطور المقبلة بنفس متكاملة ، وشخصية متوازنة ، ترتبط بالارض والسماء وتنسجم مع الطبيعة والكون بميزان داخلى ، هو فى جوهره تلخيص لقانون الفطرة التى فطر الله الكون والناس

وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا

أمة الرسالة الخاتمة

عليها ، لا تبديل لفطرة الله . والحياة لم تقف منذ القرن السابع الميلادى حين جاء الله بالاسلام ، بل تطورت ، وسيستفحل هذا التطور فى مقبل الأعوام والقرون ، ولكن منهج الله الذى ختم به الرسالات صالح ، متى أحسن الانسان استخدامه فى ضوء تطور الحياة ، لتحقيق غاية الغايات من سعى الانسان فيما يستجد من قرون بأن يكون خليفة لله فى الأرض . وتلك مهمة موكولة لعقل الانسان الذى حل محل الرسل والأنبياء فى حياة الانسانية بنزول الاسلام ، ومن ثم كانت معجزة رسول الاسلام معجزة عقلية فكرية هى القرآن ، وكانت أول كلمة تنزل منه موجهة الى العقل وهى إقرأ ، وكانت أول آية منه التفاته الى هذا الجانب المعنوى والفكرى من شخصية الانسان الذى خلقه الله من علق ، وعلمه بالقلم ، فتعلم بذلك ما لا يعلم .

خصوصية الأمة

ومن هنا تنبع خصوصية الأمة الاسلامية ، لخصوصية الرسالة المكلفة بها لخير الانسانية فى مراحل تطورها الخاتمة . وهى خصوصية فاعلة لا تورث ، بل تكتسب بالجهد والمصابرة ، ولا سبيل الى ادراكها الا بالالتزام الصارم بمنهجها القويم أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وايمانا بالله . وفى كل ذلك تحد للمسلمين قبل غيرهم ــ فهم بحكم منطق التطور الانسانى قمة الانجاز الروحى الذى ختم الله به رسالات السماء ، وانقطع باكماله وحى الله المباشر لخلقه ، وانتقلت بذلك رسالة الله من السماء الى الأرض ، وأصبح المسلمون بحملهم لهذه الرسالة ، الشهداء على الناس ، لأنه لا رسول بعد محمد صلى الله عليه وسلم . ومن ثم كانت الامة المسلمة هى المكلفة بحمل هذا النموذج الأرقى للانسانية كافة فى كل زمان ومكان . وفى ذلك اشارة الى أن التطور الانسانى مهما تسامى وارتقى ، فلن يتمخض عن نظام فكرى او اجتماعى يرجع نموذج الرسالة الخاتمة ، وهو تحد برهنت تجربة الأربعة عشر قرنا الماضية على صحته ، فكم من فلسفات ونظم فكرية واجتماعية تعاورت على الانسانية فى كل أوطانها طوال هذه القرون ، فازدهرت لفترة ثم زالت ، ولم تخلف وراءها سوى المزيد من الحسرة والألم لأصحابها ولمن جاورهم من الأمم ، ويبقى نموذج الرسالة الخاتمة ، النموذج الراجح بكل المقاييس . وليس أدل على هذا الرجحان مما هو مشاهد اليوم على الساحة العالمية ، حيث يزدهر النموذج الغربى بوجهيه الرأسمالى والشيوعى ، وهو نموذج احادى النظرة فى جوهره ، يركز على طاقات الانسان الحسية والمادية ، ولا يلتفت الا فى أضيق الحدود الى طاقاته الروحية والمعنوية ، ومن ثم شقيت به الانسانية ، تمزقا اجتماعيا وروحيا فى المجتمعات التى تستظل بظله ، واستعمارا وعدوانا على بقية الانسانية التى وقعت بفضل التقدم العلمى والتكنولوجى تحت سيطرته المباشرة وغير المباشرة . ومن البديهى أن هذا الشقاء سيطرد ويستفحل فى مقبل الايام ، والانسانية تواجه خطر الفناء النووى ، وتتهددها مزالق الانفجار السكانى وشح الموارد ونقص الامكانات ، وما لم تحدث ثورة فى متناول قضايا الانسان تحت هذه الظروف الصعبة ، فان ما يسود العالم من استجابات لتحدى المرحلة لن يؤدى الا الى كارثة محققه .

جوهر التقدم

والقضية فى جوهرها ليست مدى تخلفنا العلمى والتكنولجى ، وتقدم الغرب بشقيه فى كل ذلك ، فان ذلك أمر يسير بالمقارنه بما يجب علينا من مسئوليات حيال الانسانية فى مرحلة تطورها الخاتمة . فان التقدم العلمى والتكنولوجى الذى نلهث جميعا لاحرازه ليس عملية شكلية ، نتعلمها كما نتعلم أى حرفة من الحرف ، وانما هو نظام فكرى واجتماعى لابد من أن يعد له المجتمع اعدادا كبيرا ، لكى تؤتى المجهودات المبذولة فى التعليم والتثقيف والتدريب أكلها . ومن المؤكد أن المناخ الاجتماعى والفكرى الذى ساد أوروبا فى أعقاب الثورة العلمية والصناعية ، وما أعقبهما من ثورة تكنولوجية وذرية ، مناخ يبعد الانسان عن ذلك التكامل المنشود ، ويقصيه عن التوازن المطلوب بين المتناقضات فى نفسه وفى المجتمع وفى الكون من حوله . وهو سير بأسرع ما تستطيعه طاقة العلم والتكنولوجيا فى طريق الانفصام القديم بين قوى النفس المادية والمعنوية ، حيث تتضخم حاجاتنا المادية التى لا تشبع ، وتتقلص حاجاتنا الروحية التى سدت أمامها السبل بهذه النظرة الهامشية لمكتسبات الانسان الروحية فى حضارة الغرب السائدة .

ونحن بالفعل محتاجون لتعلم مناهج العلم الحديث من الغرب ، وهو واجب يفرضه علينا اسلامنا ، ولكن ذلك وحده ليس كافيا لاحداث النهضة التى تنتظر أمة الاسلام . فان المسلمين مندوبون من بعد ذلك ومن قبله ، بأمر الله ، وواقع تجربة الانسان الروحية على الأرض ، لتعليم البشرية درسها الأخير الذى اخطأته منذ البداية ، وتنكبته طوال القرون ، وجاهد الرسل والانبياء والمصلحون على حملها عليه دون جدوى ، الى أن ختم الله جهدهم برسالته الخاتمه ، التى تلخص هذا الدرس القديم الجديد فى بناء الفرد الانسانى بناء متوازنا يمتزج الروحى فيه بالمادى ، ويختلط العنصر الشخصى فيه بالجماعى ليصبح بمقتضاه الفرد رمزا للجماعة فى مجتمعه ، وعنوانا للانسانية فى الأرض قاطبة ، وكل ذلك لانجده فيما يزحم الساحة من نماذج . وهو غير موجود فى مجتمع المسلمين ، لأنهم غائبون عن أنفسهم ، مندفعون فى تقليد غيرهم ، فهم ومن يقلدونهم سواء فى حقيقة الأمر . والاسلام ليس عملية اجترار ، وروحه لا تورث ، وانما تكتسب بالمعاناة والمعايشة والتثقيف وتغيير النفوس والالتزام الصارم بالقيم والمواصفات التى رسمها الاسلام لبلوغ هدفه

ولن نتعلم ذلك من الغرب لأن حضارة الغرب فى جوهرها الفلسفى والاجتماعى نقيض لذلك لانها استمرار للانفصام القديم بين روح الانسان وجسده ، الذى جاء الاسلام أصلا لعلاجه ، فهى حضارة مرجوحة ، رغم بهرجها التكنولوجى ، ولا سلام للانسانية ولا تقدم ، الا بابراز الحل الاخير لقضايا التقدم ، الذى ختم الله به رسالات السماء ، وحملنا اياه لنكون بمعايشته والالتزام بنهجه شهداء على الناس ، ومتى فعلنا ذلك كان الرسول علينا شهيدا .

د. عون الشريف

د. محمد كامل

العلم والتكنولوجيا بين الحاضر والمستقبل (٢)

إنجازات معاصرة.. وأخرى في الطريق

بينا في المقال الاول من هذه المجموعة من المقالات أهم التطورات العالمية المعاصرة في علوم الارض والعلوم البيولوجية ونواصل في هذا المقال الحديث عن اهم الانجازات المعاصرة والمتوقعة في القريب في مجالات بحوث تركيب المادة ، وتكنولوجيا الحسابات والاتصالات والطاقة والمواد ٠

بحوث تركيب المادة

اذا بدأنا ببحوث المادة في اكبر صورها وهي بحوث علم الكون ، وبحوث الفيزيقا الفلكية التي تجري للكشف عن هذا الكون المثير ، لوجدنا ان التصور السائد الآن في اوساط العلماء للكون هو انه يحتوي على البلايين من المجرات الموزعة بطريقة متجانسة في الفضاء في جميع الاتجاهات وان الكون نشأ نتيجة انفجار كبير حدث منذ حوالي من ١٠ الى ٢٠ بليون سنة ٠ فهل سيستمر الكون في التمدد الى مالا نهاية أو هل سيعود سيرته الاولى والانكماش لتكوين كتلة نارية تنفجر مرة أخرى وهكذا دواليك ٠ هذه بعض المسائل الرئيسية التي يبحثها العلماء المشتغلون بعلوم الكون في الوقت الحاضر بالاضافة الى عدد من المسائل الاخرى مثل تحديد عمر الكون وكثافة المادة الموجودة في الكون ، وعمر النجوم ٠

ان علم فلك الطاقة العالية يبحث في دراسة نجوم أشعة اكس ونجوم النيترون والثقوب السوداء وغير ذلك ٠

ومن المنتظر ان يتمكن العلماء في السنوات القليلة القادمة من جمع المزيد من المعلومات عن كل هذه المسائل مستعينين بالاجهزة العلمية المتقدمة التي تم تركيبها مؤخرا لاستقبال الاشعة الحمراء واشعة جاما في الفضاء



ان كلا من المنظار الفضائي الذي سيوضع في المتنقل الفضائي المعد للارسال عام ١٩٨٣ وكذلك التلسكوب الارضي الجديد متعدد المرايا الذي ينتهي تركيبه هذا العام على قمة جبل هوبكنز بولاية اريزونا بالولايات المتحدة الامريكية سوف يساهمان بلا شك في مدنا بمعلومات اكثر عن هذا الكون المثير ٠

واذا انتقلنا من عالم بحوث الكون « المادة الكبيرة » الى بحوث المادة كما نعرفها بحواسنا على الارض أو ما يسمى ببحوث المادة المكثفة والتي تتناول دراسة الصفات الالكترونية والذرية للمواد الصلبة والسائلة وكيف تستجيب للقوى الميكانيكية والحرارية والكهربية والمغناطيسية وللاشعاع لوجدنا أننا على اعتاب مرحلة جديدة تماما ــ فقد ادت البحوث العلمية خلال العقدين السابقين في هذا المجال الى اكتشاف الترانسستور ، والليزر ، وفوق الموصلات عند درجات الحرارة العالية والخلايا الشمسية التي تحول ضوء الشمس الى كهرباء واستخدمت بنجاح في سفن الفضاء وغير ذلك من الكشوف الهامة فيما يسمى بمجال الحالة الصلبة ٠

ولا يتسع المجال للحديث عن التطورات العلمية الهامة في مجالات بحوث التركيب الجزيئي والذري وتركيب النواة وهي البحوث التي ادت فيما مضى الى اكتشاف القنابل الذرية والايدروجينية والمفاعلات الذرية لتوليد الكهرباء وسوف تستمر هذه البحوث في السنوات القادمة وخاصة في مجال الطبيعة النووية للوصول الى ادق أسرار تركيب المادة المتناهية في الصغر ومعرفة الوحدات المكونة لها ٠

تكنولوجيا الحسابات والاتصالات

ان الحديث عن التقدم في مجال الحسابات الالكترونية والاتصالات والطاقة والمواد قد يكون اكثر تشويقا للقارىء لارتباطه ارتباطا وثيقا بحياته اليومية ، ففي خلال العقدين الماضيين وبعد ان كانت الحسابات اجهزة يستعملها القلة من العلماء ــ اصبحت اليوم شائعة الاستعمال في حياتنا اليومية حتى ان بعض الحاسبات الصغيرة اصبحت تباع في جميع المحلات بدراهم زهيدة ــ ان التكنولوجيا التي جعلت هذه الحاسبات حقيقة واقعة قد اعتمدت على عدد من العلوم منها الرياضة وعلوم اللغويات ولكن تقدمها الكبير اعتمد في المقام الاول على الانخفاض الكبير في أسعار الشرائح نصف الموصلة ٠

وسوف يستمر هذا الانخفاض في السعر خلال السنوات القادمة ولهذا فمن المتوقع زيادة استخدام الحاسبات وسوف يؤدي ذلك بالضرورة الى التوسع في كل المجالات التي دخلتها الحاسبات وايجاد استخدامات جديدة لها ٠



ان التقدم في تكنولوجيا المواد نصف الموصلة قد تطور من ١٠٢٤ قطعة من المعلومات لكل شريحة في عام ١٩٧١ الى ٦٤٠٠٠ر قطعة لكل شريحة في عام ١٩٧٨ مع بقاء سعر الشريحة ثابتا تقريبا مما أدى الى تخفيض السعر بمقدار ١٦ مرة وفي المستقبل القريب سنصل الى شرائح تسع ٢٥٦٠٠٠ر قطعة معلومات في أوائل الثمانينات، ومليون قطعة من المعلومات للشريحة في منتصف الثمانينات ٠

وفي نفس الوقت تطورت الحاسبات الصغيرة من وحدات تشمل على ٢٠٠٠ ترانسستور في عام ١٩٧١ الى اجهزة تحتوي على ٣٠٠٠٠ر ترانسستور على كل شريحة في عام ١٩٧٨ مما اتاح استخدام الحاسبات الصغيرة في مئات الاستخدامات بدءا بماكينات الخياطة الى اللعب التليفزيونية وسيستمر هذا التقدم في الحجم والتكاليف والاستخدامات خلال السنوات الخمس القادمة ٠

كما سيستمر ايضا التقدم في سرعات الحساب ولغات البرامج ٠

ان التقدم في وسائل الاتصالات الحديثة مثل استخدام اقمار الاتصالات لنقل المعلومات الى مسافات بعيدة — وكذا التقدم الذي يطرأ حاليا على الاتصالات التليفونية واللاسلكية التقليدية بالاضافة الى ظهور تكنولوجيا الالياف الضوئية الجديدة التي سوف تساهم بلا شك في تطوير شبكات المواصلات السلكية المحلية كل هذا التقدم سوف يزيد الاتجاه الحالي الى ربط الحاسبات مع بعضها البعض في شبكات كبيرة ٠ وتعمل في الولايات الامريكية وكندا مثل هذه الشبكات التي تحتوي على حسابات البنوك ، وتنظم المخزون السلعي وتنظم حجز التذاكر وخدمات التحقق من أرصدة العملاء في البنوك والتي تسمى بنوك المعلومات الموحدة ٠

وقد بدأت هذه الشبكات في العمل ايضا في فرنسا والمملكة المتحدة واليابان ٠

ومن المتوقع خلال الفترة القادمة استخدام الحاسبات في ارسال الخطابات وسوف يزداد التوسع في استخدام ماكينات الكتابة التي تعمل بالحاسب الالكتروني ولها شاشات تليفزيونية والتي ظهرت في الاسواق مؤخرا ويمكن في هذه الماكينات حذف كلمة أو جملة او اعادة صياغة وترتيب الفقرات المختلفة بمنتهى البساطة ٠ ان اسلوب العمل في مكاتب الموظفين والمكاتب الحكومية سوف يطرأ عليه تغيير كبير باستخدام الاجهزة الالكترونية الحديثة التي تسهل العمل كالاجهزة التي تستغني عن سجلات المكاتب التقليدية وهي اجهزة ذات شاشات يمكن فيها اضافة أو حذف أي معلومات أو البحث بسرعة عن اي معلومة بدون استخدام وسائل الكتابة التقليدية ومن الطريف ايضا ان هناك في الوقت الحاضر ماكينات تصحح هجاء الكلمات في أي مكتوب يعطى لها ٠

ومن المتوقع ايضا التوسع في استخدام الحاسبات في المعاملات المالية مما قد يؤدي في النهاية الى الاستغناء نهائيا عن التعامل في النقود أو الشيكات ولكن ذلك سوف لا يحدث في القريب العاجل لاسباب نفسية ٠ ومن الطريف ان نذكر انه خلال عشر سنوات من الان سيدخل الحاسب معظم المنازل وخلال عشرين سنة سوف يدخل جميع المنازل في بلد كالولايات المتحدة ٠ وقد دخلت الرقائق الحاسبة كل بيت يحتوي على تليفزيون ملون او ثلاجة حديثة ومن الممكن ايضا تصور استخدام الحاسب الالكتروني لعمل خدمات عن طريق التليفون كطهي الطعام في الافران وغسيل الملابس في الغسالات والتذكير بالمواعيد والاشراف الطبي على المرضى والحراسة والانذار عند الخطر والجلوس مع الاطفال ٠

وسوف يصبح من الممكن عن طريق تركيب نهايات في المنازل الحصول على أي معلومات يريدها المشتركون سواء من دور الكتب او من دور الصحف او عن أحوال السوق أو السلع الموجودة في السوبر ماركت وغير ذلك من الاف المعلومات التي قد يطلبونها كما يمكن ربط النوادي بالمنازل وببعضها مما يزيد الروابط الاجتماعية •

كما ان القارىء لابد وان سمع عن البحوث التي تجرى لانتاج الانسان الآلي الذي يستطيع ان يقوم باعمال متنوعة يكلف بها سواء في المنازل أو المصانع أو المكاتب أو غير ذلك •

الا ان هناك مشاكل كثيرة سوف لا تحل في السنوات الخمس القادمة للوصول الى نماذج تستطيع الاستجابة الى الاوامر بالكلام أو الرؤية وغير ذلك من الحواس •

بحوث الطاقة

سيواجه العالم خلال السنوات الخمس القادمة بعض الاسئلة الرئيسية التي تتعلق بأنماط استهلاك الطاقة في المستقبل • ماهي سرعة تناقص ثروات البترول والغاز الطبيعي العالمية ؟ هل يمكن تقليل تزايد الاستهلاك العالمي للبترول والغاز حتى يمكن الاحلال التدريجي لاشكال جديدة للطاقة محل الاشكال الحالية — وما هي هذه الاشكال والمشاكل المرتبطة بها ؟

وفي المستقبل القريب (حوالي خمس سنوات) يرى العلماء انه ليس أمام العالم وخاصة الدول المستهلكة لاكبر كميات من البترول كالولايات المتحدة الامريكية وغرب أوروبا واليابان سوى ترشيد استهلاك الطاقة عن طريق تخفيض الترموستاتات ، وفرض رقابة على استهلاك العمليات الصناعية للطاقة ، وتطوير وسائل العزل الحراري واعادة استخدام الحرارة • كما يجب ادخال تعديلات وتحسينات على اقامة المباني الجديدة وموتورات السيارات والماكينات الصناعية والاجهزة المنزلية حتى تصبح اقل استهلاكا للطاقة • ويجب ان يتم ذلك بالتدريج والا كان له آثار اقتصادية وخيمة •



وعلى العالم ان يقرر خلال السنوات الخمس القادمة كيف يمكن الاتجاه الى اشكال الطاقة البديلة وأول سؤال ما هي الاشكال المتاحة حاليا وكيف يمكن استغلالها • أهم هذه الاشكال في الوقت الحاضر هو الفحم وطاقة الانشطار النووي •

ان استخدام الفحم على نطاق واسع يحتاج الى تطوير وسائل احراق الفحم ووسائل تحويل الفحم الى وقود سائل او الى غاز •

كما يجب ايضا دراسة المشاكل البيئية المرتبطة بالاستخدام الواسع للفحم كمصدر للوقود ولعل اهمها مشكلة تزايد نسبة ثاني اكسيد الكربون ومشكلات التلوث بالغازات الاخرى مثل اكاسيد الكبريت والنيتروجين وكذلك تزايد استهلاك الماء عند استخدام الفحم سواء عند تحضير الغاز الصناعي او اقامة المحطات الكهربائية التي تعمل بالفحم •

اما فيما يتعلق بتكنولوجيا الانشطار النووي فرغم ان المفاعلات النووية التي تنتج الكهرباء اصبحت تعمل في عدد من البلدان بكفاءة تامة — الا انه في السنوات الخمس الماضية قد انخفض انشاء المفاعلات النووية في الولايات المتحدة من ٣٤ مفاعلا نوويا في عام ١٩٧٣ الى اثنين فقط في عام ١٩٧٨

ويرجع ذلك الى عديد من العوامل منها السياسية والنفسية نظرا لخطورة تأثير هذه المفاعلات على البيئة (مشكلة التخلص من النفايات ومشاكل الأمان) على أنه يجب على العالم ان يوازن بين هذه المشاكل وحاجته الى الطاقة وخاصة اذا عرفنا ان هذا المصدر يمكن ان يكفي العالم ملايين السنين اذا تمكنا من حل المشاكل المتعلقة بما يسمى بالمفاعلات السريعة •

ومن التكنولوجيا البديلة ذات المستقبل الكبير الطاقة الشمسية وطاقة الاتحاد النووي وطاقة الايدروجين وطاقة الكتلة الحية وطاقة الغاز الحيوي وطاقة الرياح وطاقة المد والجزر •

ومن المؤكد ان اكثر هذه الطاقات اشراقا من ناحية المستقبل هي الطاقة الشمسية التي بدأ استخدامها ينتشر فعلا في عديد من الاستخدامات في مناطق كثيرة من العالم •

بحوث المواد

كلما زاد التقدم كلما احتاج البشر الى المواد ويستهلك الفرد الواحد في الدول الصناعية الكبرى حوالي ١٠ اطنان سنويا من المواد وتتجه بحوث المواد في الوقت الحاضر في اتجاهين رئيسيين :

أولا : انتاج مواد جديدة غير معروفة للاغراض المختلفة سواء الاغراض الصناعية أو الاغراض المنزلية أو غيرها ولعل اهم البحوث التي تجرى في هذا الاتجاه هي انتاج سبائك جديدة تحتمل درجات الحرارة العالية وبحوث المواد المتصلة بالطاقة والاتصالات وسبق التنويه عنها — البلمرات العالية والحراريات •

ثانيا : بحوث ترشيد الاستهلاك وبحوث اعادة الاستخدام وتتناول بحوث الترشيد تقليل الفاقد من المواد سواء اثناء عمليات استخراج الخامات من المناجم او اثناء التصنيع أو الاستخدام (مشاكل الاجهاد) • والتآكل وكذلك البحوث المتعلقة بالتخلص من المواد ولعل مثل هذه الاتجاهات هي البحوث التي تجرى لاعادة الاستخدام او للاحلال مثل استخدام البلاستيك محل الزجاج والمعادن في كثير من السلع •

د• محمد كامل

صلاح عبد الصبور



مشارف الخمسين

ابراهيم ناجى

أرق العاشقين وأصدقهم

كان شوقى نموذجا للشاعر العظيم الذى يمضى فى طريق لا يلحقه فيه أحد

كان حديث ابراهيم ناجى عن خليل مطران حديث الحب والاكبار ، وكان ناجى بهذا الحديث هو الذى دفع بى الى استعارة ديوان مطران بأجزائه الأربعة من مكتبة باب الخلق ، حيث انفقت معه بضع ليال بيضاء ، عقدت بين شعر مطران وبينى آصرة حب واهية ، واحساسا بالندم غير قليل . وربما رددت ذلك بأننى قد اتيت مطران على الهرم بينما اتاه احباؤه الكثر فى شبيبته ، فلو كان الله قد اذن لى أن أخلق قبل خلقى بعشرين أو ثلاثين عاما لفتنت بمطران كفتنة ناجى وكثير من ابناء جيله به ، ولكنى حين قرأته فى أوائل الخمسينات عرفت أن مؤرخ الأدب سيقدره قدره بينما سيظل ناشىء الشعر مثلى مؤثرا التلاميذه عليه . فما لاشك فيه أن مطران كان نبضا شعريا جديدا ، فى مطالع القرن ، يختلف كل الاختلاف عن حافظ ابراهيم ، وبعض الاختلاف عن شوقى ، أما حافظ فقد كانت معرفته بأدب الغرب معرفة سماع وتلقط لما يدور فى المجالس ، وكانت ترجمته عن الفرنسية تاليفا يقترب من تاليف المنفلوطى ، ولقد كان يتمنى فى قرارة نفسه لو استطاع أن يتصل اتصالا مباشرا بهذه الينابيع ولكن انى له ذلك ، وهو كما حدثنا عنه معاصروه رجل محب للحياة بين البشر ، والتالق فى مجالسهم بسحر حديثه ورائع تفكهه ، يرى الشعر لونا من الظهور الاجتماعى فى المحافل ، ويلوذ بكبراء زمانه كسعد زغلول أو محمد عبده ، ولعل قصارى ما قاله حافظ هو دعوته فى احدى قصائده الى أن نشم ريح الشمال ، قاصدا بذلك أن نعرف ما تحمله لنا مياه المتوسط من ثقافة اوروبية .

ذلك هو حافظ ، أما شوقى فقد كان اقترابه من أوروبا اقتراب الاعيان ، ولاشك أنه قد قرأ بعضا من فيكتور هيجو وغيره ، ولكن مطران كان وليد ثقافة مدارس المبشرين ، ولقد عرف عنهم الأدب الفرنسى كما يعلمونه فى مدارسهم ، ولذلك فقد تكونت لديه صورة متكاملة لعالمه ومدارسه المختلفة . ولكن حين جاء الى مصر ــ وهى مهد السلفية ــ اراد أن يوطىء له مكانا بين شعرائها النابهين ومن هنا اختار الطريق الوسط فهو فى بعض شعره رومانتيكى اصيل كما كاشفنا فى مقدمة الجزء الأول من ديوانه ، وفى بعضه باحث عن القصصى القصصى فى القصيدة كما عرفه بعض شعراء الفرنسيين ، ولكنه فى معظمه واحد من شعراء عصره المداحين المجاملين للأسر الحاكمة أو لذوات الشوام واعيانهم وهو ايضا واحد من شعراء عصره الذين لايخلو حفل اجتماعى كاقامة مستشفى أو انشاء مدرسة من قصيدة له تذكر الى جوار قصيدتى حافظ وشوقى واضرابهما .

التعريض بالشعر !

يقول مطران فى مقدمة الجزء الأول من ديوان الخليل الذى طبع فى عام ١٩٠٨ : هذا شعر ليس ناظمه بعبده .. ولاتحمله ضرورات الوزن والقافية على غير مقصده ، يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الفصيح ، ولاينظر قائله الى جمال البيت المفرد .. بل ينظر الى جمال البيت فى ذاته وموضعه ، والى جملة القصيدة فى تركيبها وترتيبها وفى تناسق معانيها وموافقها .

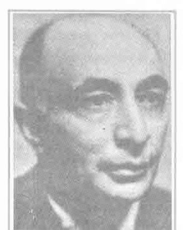
وهذا كلام أقرب الى التعريض بتاريخ الشعر العربى منه ببيان منهج شعرى جديد ولعل يستانف به كلاما كان قد كتبه قبل ذلك بسنوات فى مجلة كان يصدرها باسم (المجلة المصرية) فى عام ١٩٠٠ ، حين قال (ان اللغة غير التصور والرأى ، وان خطة العرب فى الشعر لايجب حتما أن تكون خطتنا ، بل لهم عصرهم ولنا عصرنا ، ولهم ادابهم واخلاقهم وحاجاتهم وعلومهم ولنا ادابنا واخلاقنا وحاجاتنا وعلومنا ، ولهذا وجب أن يكون شعرنا مماثلا لتصورنا وشعورنا لالتصورهم وشعورهم . وان كان مفرغا فى قوالبهم محتذيا مذاهبهم اللفظية

وموجز هذا الرأى ، أو خلاصته اذا تجاوزنا مقدماته ، أن كل ميراثنا من التراث العربى هو لغته فحسب ، أما ما فيه من محتوى وأفكار واحاسيس فهى ملك لزمانه لا لزماننا.

فهل كان ذلك هو صنيع مطران .

قصيدة المساء

لقد نظرت فى ديوان مطران عندئذ ، فلم أكد أجد فيه ، وفى اجزائه الأربعة إلا بضع قصائد قليلة تحقق طموح شاعر أول القرن ، الذى أعطته الحياة مايقرب من خمسين عاما من الحياة والعطاء بعد تسطير هذا البيان الشعرى . واحب هنا ان اقول ان تلاميذه مثل ابى شادى وعلى طه وابراهيم ناجى كانت خطاهم على الطريق أوسع من خطاه وبهذا المعنى يكون مطران نموذجا للشاعر الذى يبدع مدرسة شعرية تتجاوزه ، بينما يكون شوقى نموذجا للشاعر العظيم الذى يمضى فى طريق لايلحقه فيه أحد ، بل لعله



ابراهيم ناجي



خليل مطران



حافظ ابراهيم



المنفلوطي



احمد شوقي

لايغرى احدا بان يلحق به ، لانه يمضى فى طريق لايفضى إلا الى تقليده .

وهناك فضلا عن مطولات مطران القصصية مثل (فتاة الجبل الأسود) وغيرها قصيدة له عنوانها المساء ، اكاد أجدها بصورها وأجوائها فى الديوان الأول لعلى محمود طه (الملاح التائه) ، وفى عديد من قصائد ناجي ، ولعلى اجتزىء هنا ببعض ابياتها تدليلا على ما اقول .

يقول مطران :

إنى اقمت على التعلل بالمــنى
فى غربة قــالوا : تكــون دوائــى
عبث طوافى فى البلاد ، وعلة
فى علة منفاى لاستشفــــاء
متفرد بصبابتى ، متفــــرد
بكآبتى ، متفــرد بعنـــائى
شاك الى البحر اضطراب خواطرى
فيجيبنى برياحــه الهوجـــاء
ثاو على صخر اصم وليـت لــى
قلبا كهذى الصخـرة الصمـاء
ينتابها موج كموج مكارهــى
ويفتها كالسقـم فــى أعضائــى
والبحر خفاق الجوانب ضائـق
كمدا كصدرى ساعـة الامساء
يا للغروب ومابــه مـن عبـرة
للمستهام وعبـرة للرائـــى
أو ليس نزعا للنهار وصرعـة
للشمس بين مآتـم الأضــواء
او ليس طمسا لليقيـن ومبعثـا
للشك بين غلائـل الظلمــاء
او ليس محـوا للوجـود الى مـدى
وإبـادة لمعالـم الأشيـــاء
ولقد ذكرتك والنهـار مــودع
والقلب بين مهابة ورجـــاء
وخواطـرى تبدو تجـاه نواظـرى
كلمى كدامية السحـاب إزائى
والدمع من جفنى يسيل مشعشعا
بسنى الشعاع الغارب المترائى
والشمس فى شفق يسيل نضاره
فوق العقيق على ذرى سوداء
مرت خلال غمامتين تحدرا
وتقطرت كالدمعة الحمراء
فكأن آخر دمعـة للكــون قــد
مزجت بآخـر ادمعـى لرثائــى
وكأننـى آنسـت يومـى زائـلا
فرأيت فى المرآة كيف مسائــى

لقد قرأت وسمعت اصداء لهذه القصيدة الجميلة المبكرة فى شعر من ذكرت من الشعراء بل لعل اصداء منها مازالت تتردد فى الشعر العربى حتى الآن ، ولكن شر الامور فى الفن هو الوسط ، وأسوأ مايصيب فنانا أن تكون إحدى عينيه على فنه ، وعينه الثانية على نقاد زمانه ، ولاشك أن جزءا من هذا الشعور كان ينتاب مطران حين يجدهم يحبون قعقعة حافظ ، وتكلف شوقى فى زمانه الأول ثم يغفلون عن جدة نسيجه وطرافة احاسيسه .

سوناتا الغرفة

ولعلى انظر فى قاموس مطران الشعرى فى (المساء) وغيرها فأجد مستنسخا فى قصائد ناجي وعلى طه الاولى ، ولكن كليهما قد مضى فى طريق تختلف عن طريق صاحبه فاما ناجي فقد قنع بأن تكون له قصيدة حب رومانتيكي واحدة على اختلاف اسماء مقاطعها او ملهماتها ، بينما ذهب على طه الى عالم الصبوات والمعاشق .

ولقد شبه طه حسين شعر ناجي (بموسيقى الغرفة) وهو تعبير فى الموسيقى الغربية يطلق عليه احيانا كلمة (سوناتا دى كاميرا) ، وهى تختلف عن السوناتا التقليدية بحركاتها الأربع المأثورة ، بل وتختلف عن سوناتا الكنيسة التى يعرفها عشاق الموسيقى الغربية عند باخ فى سوناتاته الست الشهيرة للكمان .

فسوناتا الغرفة هى نغم ميلودى قريب من الرقص وافر الايقاع ، فيه من الحركات الموسيقية مايدور حول بعضه ، فهى اقرب الى شعر الاعتراف منها الى شعر الحكاية ، واللهجة فيها حميمة ، ولا تطمح سوناتا الغرفة الى البناء السيمفونى الذى تتميز به السوناتا .

تعليق منصف .. لكن !

ولعل طه حسين كان أوضح متى قصدا وعبارة حين قارن بين شعر ناجي وموسيقى الغرفة كما سماها ، أو سوناتا الغرفة كما اقترح ، حين قال (هو شاعر حب رقيق ولكنه ليس مسرفا فى العمق ، ولا مسرفا فى السعة ، ولا مسرفا فى الحب الذى يحرق القلوب تحريقا ويمزق النفوس تمزيقا ، شعره اشبه بما يسميه الفرنجة موسيقى الغرفة منه بهذه الموسيقى الكبرى التى تذهب بك كل مذهب ، وتهيم بك فيما تعرف ومالاتعرف من الأجواء) .

كان ذلك التعليق من طه حسين حين اصدر ناجي ديوانه الأول فى عام ١٩٣٤ ، وهو تعليق منصف لولا أن طه حسين اراد به أن يفضل نظراءه عليه ، فمن يستطيع القول أن المتنبى وحده هو شاعر العربية دون شعراء الغزل فى العصر الأموى أو شعراء الخلاعة فى العصر العباسى .. أليس السفر مذاهب شتى فى القول ، وكل شاعر مهيأ لما هيأته له طبيعته ... أليس عشقنا فى الموسيقى لسيمفونيات بيتهوفن هو نفس عشقنا لأشجان تشايكوفسكى ولليليات شوبان ، وقد كان جديرا بناجي عندئذ أن ينصرف عما فى حديث طه حسين من قصد




محمد عبده



فيكتور هوجو




بيتهوفن

على محمود طه

الله اعلم به الى ما فيه من حق . ولكن ناجى كان وافر الحساسية ، وكان يرى عندئذ أنه سليل الرومانتيكية الأوربية من جهة ، وسليل رومانتيكية مطران من جهة أخرى ، وذلك مذهبه فى الشعر ، ولكنه العقاد أيضا ينحى على شعره قائلا إنه شعر الضعف المريض والتصنع والرخاوة ، التى يزعم العقاد أنه يحاربها منذ عشرين عاما . فكان الرجلين يتهمانه بالرقة الضحلة مرة ، وبالرقة المتصنعة الضعيفة مرة أخرى

وقد قيل أن ناجى اثر هجر الشعر بعد هذه الحملة ، وما اظن أنه هجر الشعر بحق ، فالشعر لا يهجر ، ولكنه حاول فى بعض القصائد ان يخرج عن عالمه الأثير الى عالم اكثر سعة كما نصحه بذلك طه حسين ، فكتب بعد سنوات بعض مطولاته مثل (ليالى القاهرة) التى اختار لها البحر الطويل والقافية الفخمة ، مفتتحا لها بقوله :

اليلاى مالبقى الهوى بى من رشد
فردى على المشتاق لوعتـــه ردى
ايئسى تلاقينا ، وانت حزينـــة
وراسك كاب مــن عياء ومن سهـد
بنفسى هذا الشعر والخصل التى
تهاوت على نحر من العاج منقـد
ترامت كما شاءت وشاء لها الهوى
تميل على خد وتصدف عن حـــد

إن هنا فى هذه القصيدة ديباجة شعرية وصورا غير ماعرفنا عن ناجى ، كلها أو معظمها ينبع من احتذاء السلف ، ومحاولة الاسراف فى السعة والعمق كما نصح طه حسين ، أما انا فانني افضل على هذه القصيدة ناجى شاعر موسيقى الغرفة حين يقـول فى أوزانه القصيرة وخواطره التى هى ليست عميقة عمق التكلف والتصنع ولكنه عمق الحياة :

دار احبابى وحبى لقيتنـــــا
فى جمـود مثلمـا تلقـى الجديـد
انكرتنا ، وهى كانت أن رأتنـــا
يضحك النور اليـنـــا من بعيـــد

أو عندما يقول فى أروع سوناتاته، الاطلال ، التى هى فى واقع الأمر أقرب قصائده فى تركيبها الى السوناتا الموسيقية

كنت تدعونى طفـــــلا كلمـــا
ثار حبى وتنـــدت مقلـــــى
ولــك الحـــق ، فقد عاش الهوى
في طفلا ، ونما لم يعقـــــل
وأرى الطعنة إذ صوبتهـــــا
فخشـت مجنونـــة للمقتـــل
رمـــت الطفـــل ، فادمت قلبـه
وأصابـــت كبريـــاء الرجـــل

ولعل هذا الحديث عن ناجى يقودنى إلى القول إن الشعراء يجب أن يعصموا انفسهم من النقاد ، فليس الزم للشاعر من كلمة سقراط القديمة (اعرف نفسك)، وليس الشعر دربا واحدا يمضى فيه الشعراء شاعرا إثر شاعر، ولكنه دروب عدة ومسالك متباينة .

وبهذا الفهم وحده ، يكون ناجى ابو أرق العاشقين وأصدقهم فى عصرنا الحديث .

صلاح عبد الصبور



طه حسين



سقراط

العقاد



... نحـــن والجـــرب

فى صراعهم الدائب لمعرفة اسرار هذا الكون ، استطاع العلماء ان يتوصلوا الى ان مادة الكواكب والاقمار والشموس والمذنبات والنيازك ، التى لمسوها بايديهم فى المعامل والمختبرات ، او قاسوا خواصها بالاتهم واجهزتهم عن بعد ، تتكون من اثنين وتسعين عنصرا اخفها غاز (الهيدروجين) واثقلها فلز اليورانيوم ، وتمكنوا من صناعة عناصر اثقل من اليورانيوم ، بعد ان فهموا ان الذرات تتكون اساسا من نوعى الكهرباء ، السالب والموجب ، فى وحدات تختلف حجما ووزنا اطلقوا عليها اسماء ، كانت فى علم الله تعالى ، يوم خلق هذا الكون ، لا شك ولا ارتياب ...

ووجدوا ان مادة الكون ، الحية وغير الحية ، تتكون من جراء الاتحاد الكيماوى بين ذرات تلك العناصر ، فى نظم تحكمها قوانين ومعادلات لامجال فيها للارتجال ، او الفوضى ، او الهوى ، او المزاج الفردى ... وعلى الرغم من ان العلماء لم يهتدوا بعد الى حقيقة (الروح) التى تميز الجماد عن المخلوق الحى ، فانهم قد استطاعوا خلال القرون ، ان يحصوا زهاء (مليون) كائن حيوانى يتراوح حجمها بين الجرثومة المجهرية ، وبين الحوت الضخم الذى ظنه السندباد ، فى إحدى اساطير الأدب العربى جزيرة فى وسط البحر المحيط ، وزهاء (نصف مليون) كائن نباتى من ميكروب الخميرة ، التى لا ياكل اصحاب التلمود خبزها فى عيد الفصح ، والتى لا ترى الا بالمجهر ، الى شجرة (التبلدى) التى يصنع بدو عرب السودان من جذوعها احواضا لجمع ماء المطر لاتقاء العطش الذى لايرحم حين تصبح ابارهم غورا ...وقسم العلماء مخلوقات الله من الحيوان الى شعوب وقبائل ورتب وأجناس وانواع ، واصناف ، وسلالات ، لكل منها ما يميزه عن غيره ، ببديع صنع الله الذى اتقن كل شيء صنعه ... ومن اصناف الحيوان ، نوع مجهرى عجيب الخلقة ، يرده أهل العم الى جماعة العناكب ، والعقارب ، والقراد ، وبق الصحراء وهى تلك التى تمتاز بوجود (ثمانية ارجل) ، وبذلك يفصلونها عن (الحشرات) كالذباب ، والنحل ، والصراصير ، والنمل ، والخنافس ، والبعوض ، والهاموش ، وهى ذات ارجل ست فقط ... ذلك الصنف الذى نعنيه هو حيوان (الجرب) الذى يسميه علماء الحيوان باسم (ساركوبيتس سكابلاى) والذى عرفوا ان (الجرب) يتاتى من ان انثى ذلك الحيوان القمىء ، تحضر لها وكراً فى الطبقة القرنية لجلد الحيوان (بما فيه ابن ادم) على هيئة قنوات (كقنوات التوصيل بين الدشم فى المستعمرات الاستيطانية فى فلسطين) وتضع بيضها الذى سرعان ما (يفقس) فى غضون ثلاثة ايام مخرجاً يرقات (مجهرية طبعا) ذات (ست ارجل) وتكتمل ارجلها الى ثمان ، بعد ان تغير جلدها مرتين ، وتسبب افرازاتها (حكة الجرب) فى الانسان والحيوان ... وقبل ان يعرف العلماء هذه الحقيقه باكثر من الف عام ، مر الحاكم العادل عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ببدوى واقف خلف بعيره الأجرب ، رافع يديه الى السماء ، يدعو الله سبحانه ، ان يشفى بعيره من الجرب ... وعلى الرغم من ان دعاء ذلك البدوى كان بديع العبارة جميل الاسلوب ، ينم عن ايمان مطلق بقدرة الله تبارك وتعالى ، وتسليم لا شبهة فيه بأن الله يفعل ما يريد ، فان فاتح امبراطورتى الروم والفرس ، لم يجد قط ، وهو الذى عرف الاسلام حق المعرفة ، اى حرج فى ان يقول لصاحب الجمل الأجرب : ـ

(هلا اتبعت هذا الدعاء بشيء من القطران ...) ولاشك ان فى جملة ما نسيناه من الفلسفة (العمرية) حكاما ومحكومين ذلك الاسلوب فى معالجة (الجرب) اى الدعاء ، مقرونا بالأخذ بالاسباب ، بل لعل من افدح ما نتميز به اليوم ، اننا (لاندعو) و(لاناخذ بالاسباب) فى زمان انقطعت بنا فيه السبل عن أن توصلنا الى رجال من امثال عمر بن الخطاب ، فى مراقبتهم لله وخشيتهم من التاريخ ، وتفرغهم التام للعمل الذى يشفى هذه الأمة من انواع (الجرب) (البلدى والافرنجى) ، حتى أصبح (جلدها) وعظمها ولحمها (مسارح) لمختلف انواع واصناف الطفيليات ذات الأرجل الست ، والثمان ، مما يمتص الدم ، ويتلف كل الخلايا والانسجة رويداً رويداً ، تحت العديد من الشعارات والخزعبلات التى ما أنزل الله بها من سلطان ، انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ....

درويش مصطفى الفار

أكاديمية المغرب

عبد الكريم غلاب

مؤسسة ثقافية دولية في المغرب العربي

- ربط العلوم التجريبية في العالم الحديث بمصالح الشعوب السائرة في طريق النمو
- تكريس التبادل العلمي بين الأقطاب الذين يمثلون مختلف الثقافات والتخصصات

شهدت مدينة فاس ميلاد مؤسسة ثقافية دولية مهمة في المغرب العربي ، هي أكاديمية المملكة المغربية التي أسسها جلالة الملك الحسن الثاني . وقد دشنت هذه الأكاديمية وبدأت عملها في مهرجان ثقافي كبير في أواخر ابريل ١٩٨٠ وافتتحها الملك بخطاب توجيهي رسم فيه الخطوط الرئيسية للمؤسسة وجاء في خطاب جلالته :

نحن اليوم في هذه الجلسة الافتتاحية نبارك انطلاق أعمال أكاديمية المملكة المغربية مؤمنين من وراء هذه الأعمال الاسهام المنشود في تألق الفكر وازدهار العرفان والتقارب بين الأفراد والشعوب والتفاهم المفضي الى سعادة الانسان . لقد انطلقنا في تحديد غايات أكاديميتنا وتشكيلها على نحو غير معهود . من منطلق موقع جغرافي وهو موقع أراد الله أن يكون في مفترق قارات ، فرسم وجهة المغرب التاريخية وفرض على بلادنا أن تقوم باستمرار بدور أداة للربط والاتصال والتأليف بين الشعوب والحضارات ..ولذا فقد الحت علينا الرغبة في مد مؤسستنا بأبعاد تجعل منها مستزادا فسيحا تتضافر في رحابه جهود سامية للتباحث والتداول في شؤون فكرية وعلمية ، كذلك لايجاد ذلك التقارب وذلك التفاهم الخليقين بالاتساع والامتداد .فالأمل معقود بأكاديمية المملكة المغربية ، الجامعة لألوان من التفكير وأصناف من الاحساس وأفانين من التخصص والعرفان ، أن تطوى المسافات وتوثق أواصر الاتصال والتعارف بين مفكرين وحماة للفكر يتمسكون بقيم روحية واحدة وإن اختلفت العقائد والأديان ، ويهتمون اهتماما مشتركا بكل ما يستحث خطى الحضارة ويؤمن المصير الآمن المشرق للانسان .

وتهدف الأكاديمية الى العمل في ميادين الفلسفة والقانون والآداب والفنون الجميلة والتعمير والتربية والادارة والصحة والعلوم والفنون التطبيقية والدفاع والفلاحة والصناعة والاقتصاد والآداب العامة والصلات الدولية . وتعتمد المؤسسة على تضافر القوى الفكرية للدفع بالنشاط العلمي والثقافي والفكري عموما ليجتاز الآفاق الضيقة في المغرب الى الآفاق العربية والاسلامية الواسعة والآفاق الدولية الأوسع بل انها تهدف كما ينص على ذلك قانون التأسيس الى "أن يضطلع المغرب بدور يجعله صلة وصل وأداة ربط وعامل تأليف بين الأمم والحضارات في أوروبا وافريقيا وفي عالم البحر الأبيض المتوسط وعالم المحيط الأطلسي ... وأن تربط بين الماضي والمستقبل وبين مستلزمات التقاليد ومتطلبات التقدم . وتهدف كذلك الى أن تمكن المغرب من أن يقوم بدوره داخل حظيرة الاسلام وخارجها في سبيل الدفاع عن القيم الروحية».

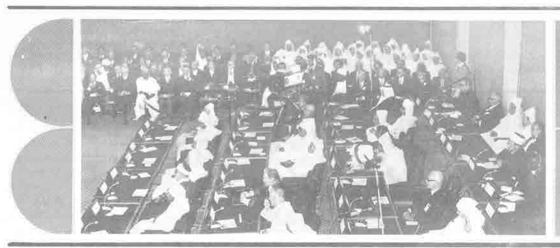
وهو الدور الذي قام به المغرب بجدارة في تاريخه العربي الاسلامي الحافل بالحركة والنشاط الفكري والروحي طيلة أربعة عشر قرنا .

وتستهدف الأكاديمية عدة أهداف أخرى في مقدمتها :

- ربط العلوم التجريبية والتقنيات في العالم الحديث بمصالح الشعوب السائرة في طريق النمو والتطور، وبما تقتضيه القيم الخلقية السامية ، وأن تخضع لقانون صادر عن تبصر وحكمة .
- تكريس التبادل العلمي بين الأقطاب الذين يمثلون مختلف الثقافات ومجالات التخصص .
- الدولة يجب أن تعترف بسلطان الفكر . لذلك يجب أن نحيطه بما هو أهل له من اجلال واكرام .
- تشجيع تنمية البحث في أهم ميادين النشاط الفكري . والعمل على اقرار تكافل مستمر بين هذه النشاطات .
- تأليف ونشر أبحاث ومؤلفات العلماء والمثقفين الذين يسدون للحضارة خدمة جليلة .
- إحداث جوائز ومكافآت لتكريم أو تشريف الأعمال والأشخاص الذين يتميزون بالجدارة والاستحقاق في مجال الثقافة والحضارة .

السهر بتعاون مع الهيئات المختصة على استعمال اللغة العربية بالمغرب وعلى اتقان الترجمة من اللغة العربية واليها .

من هنا يتبين أن أكاديمية المملكة المغربية تمتاز عن الأكاديميات الأجنبية والمجامع العلمية واللغوية العربية بالشمولية





● جوائز ومكافآت لتكريم الأعمال والأشخاص الذين يتميزون بالجدارة

فقد درج الاروبيون مثلا على تأسيس عدة اكاديميات مختصة فى البلد الواحد ، فنجد مثلا أكاديمية للاداب والفنون ، أو الثقافة والعلوم الانسانية ، أو اكاديمية للطب أو العلوم التجريبية ، او اكاديمية للرياضيات أو التكنولوجية .. ودرجت المجامع العربية على التخصص فى اللغة العربية فى مصر ، أو العلوم الانسانية كالمجمع العلمى بدمشق ومثله أو قريب منه المجمع العلمى العراقى ، وهو يجمع بين اختصاصات مجمع القاهرة ومجمع دمشق . ولكن الأكاديمية المغربية تجمع بين اختصاصات المجامع الاروبية والمجامع العربية .

هذا النوع من الشمولية

لماذا اتجهت المجامع الاروبية والعربية الى هذا النوع من الاختصاص ؟ ولماذا اتجهت الاكاديمية المغربية الى هذا النوع من الشمولية ؟

المجامع الاروبية مدعوة للاختصاص نظرا لانها تعيش فى عصر الاختصاص ،بعد أن اجتازت مرحلة المعرفة الشاملة .لم تعد الجامعة منتهى المطمح العلمى فى المجتمع الاروبى والامريكى ، وانما أصبح البحث العلمى الذى تشرف عليه معاهد ووكالات خاصة يرتادها مجموعة من العلماء يفتصون ويبدعون وينتجون فى جانب من المعرفة ويتعدى بعضهم هذا الجانب الخاص ليختص فى جانب أدق من العلوم التجريبية أو الفلكية أو الفضائية أو الطبية أو التكنولوجية أو العلوم الانسانية . وكما





د. صبحى الصالح ــ لبنان

دعت الحاجة عندهم فى القرن الماضى الى تقسيم الجامعة الى مجموعة كليات ذات اختصاصات متعددة ، وكما أصبحوا اليوم يفكرون فى توجيه التعليم الثانوى نفسه الى مجموعة من المعارف المختصة ، فقد اتجهوا فيما يخص الاكاديميات الى التخصص ليكون لكل منها جانب من الاختصاص ، وليختار لكل منها علماء مختصون .

أما المجامع العربية فقد اتجه منها مجمع اللغة العربية فى القاهرة عند نشأته سنة ١٩٣٢ الى تطوير اللغة العربية واغنائها بالمصطلحات ، وإحياء القديم منها مما يتفق مع متطلبات العصر ، وتصحيح أوضاع هذه اللغة فى الاقطار العربية . اختص فى ذلك لأن ظروف اللغة العربية فى الثلث الأول من هذا القرن كانت فى حاجة الى مجهود علمى

من ذوى المعرفة والاختصاص لتطوير مفرداتها وأساليبها والمساهمة فى النهضة الادبية والثقافية العربية التى كانت فى طريق التطور . كانت ظروف اللغة العربية ــوماتزال ــ تتطلب مجمعا مختصا من هذا النوع ، وهو يقوم بخدمات مهمة للغة العربية رغم البطء الذى اتسم به ، والذى تتسم به جميع المجامع العلمية ذات الاختصاص الدقيق . ولعل مما يزيد فى مضاعفة الشعور بهذا البطء أن الوطن العربى أو المثقفين العرب على الاخص يظنون أن مهمة تطوير اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون مقتصرة على مجمع اللغة العربية . ومن الحق أن نقول : ان اللغة العربية لغتنا جميعا . وان المثقفين العرب جميعهم مدعوون الى النهوض بلغتهم وتطويرها واغنائها . واعضاء المجمع من بين هؤلاء المثقفين ، ولو انهم متفرغون اكثر لهذه المهمة.

أما المجمع العلمى العربى السورى (تأسس فى دمشق سنة ١٩٢١ وهو أقدم المجامع العربية)والمجمع العلمى العراقى (٩ حزيران ١٩٦٣) فقد اتجها الى إحياء التراث والدراسات العربية ولم يختصا باللغة . وهما ينشطان فى هذا المجال

أكاديمية المغرب

نحن مدعوون إلى المحافظة على التراث
العالم العربي يقف في وجه التحدي الفكري والعلمي

الاختصاص نشاطا ملحوظا .

ونفس التهمة (البطء وقلة الانتاج) توجه اليهما على غرار ما توجه الى مجمع اللغة العربية بالقاهرة . والذين يوجهون هذه التهمة لايقدرون المجهود العلمي الذي يبذله كل من هذه المجامع ، ثم ان أغلبهم لا يتابع نشاطها الا من بعيد . وهي - كمجامع علمية - بعيدة عن تسليط الأضواء على عملها ونشاطها . وأغلب الظن انها في حاجة الى بعض ذلك ، والى الخروج من صوامع التعبد في محراب العلم الى الاختلاط بالمجتمعات الثقافية في الأقطار العربية .

ثم إن معظم أعضائها غير متفرغين فهم يسعون في الأرض طلبا للعمل والرزق ، لأن تعويضات المجمع - فيما يبدو - لا تكاد تسهم في نفقات المعيشة ، وما يتبع المعيشة من سكن وتنقل واستشفاء واستراحة ... ولذلك فظروف الحياة لا تسعف بالانزواء في قاعات المجمع للبحث والانتاج .

أكاديمية المملكة المغربية خرجت عن سنة التخصص .

لماذا ؟

لأن ظروف العصر في الوطن العربي تدعو الى هذه الشمولية .

التراث والعصر

فنحن مدعوون الى المحافظة على التراث في ظل القيم الروحية والعربية .

ونحن مدعوون كذلك الى مسايرة العصر بدافع التطور والتقدم في الميدان الفكري الفلسفي والايديولوجي ، وفي الميدان العلمي التجريبي والتكنولوجي .

ونحن مدعوون أن نساير العصر في ميدان التطور الاقتصادي - عصب حياة العصر وأهم مجال لخروج الوطن العربي من التخلف - .

ونحن مدعوون أن نساير العصر في الميدان السياسي ، وقد أصبح وطننا العربي في قلب المعركة السياسية التي تتصارع فيها القوى الكبرى ، كما هو في قلب المعركة الاقتصادية التي تتصارع فيها القوى الكبرى طلبا لمنتجاتنا في الطاقة والمعادن ، كما كانوا يتصارعون من أجلنا (...؟) في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن طلبا لمنتجاتنا الزراعية ولمراكزنا الستراتيجية



أعضاء الأكاديمية بالملابس الوطنية .



د. أحمد عبد السلام وارمستروينغ أول من نزل القمر

التي كانت تتحكم في مسارات العالم وطرقه وبحاره قبل أن يصبح المسار في الأجواء التي لا حدود فيها ولا مضايق ولا قنوات ولا برازخ .

هناك إذن عالم عربي يقف في مواجهة التحدي الفكري والعلمي والتكنولوجي والسياسي والاقتصادي . ولكي نواجه هذا التحدي لابد من شمولية الفكر والمعرفة . ولعل ظروف هذا الوطن لا تدعو بعد الى التخصص الضيق فتستوجب أكاديميات متخصصة ، ولكن ممكنات هذا الوطن من حيث الأطر لا تسعف بهذا التخصص الضيق حتى تكون مجموعة من المجامع ، كل منها تختص في جانب من الفكر والعلوم والمعارف والتكنولوجية والتقنيات . وهذا ما دفع بالمغرب الى أن يطبع أكاديميته بطابع الشمولية والامتداد .

من أهداف الأكاديمية تبادل المعرفة والتجارب والتقنيات والتعاون الفكري والحضاري في اطار الوطن العربي ، والعالم الاسلامي ، والعالم المتحضر . ولذلك فقد تكونت من ستين عضوا نصفهم من المغاربة وثلاثون عضوا من العرب والأجانب يعتبرون (مشاركين) يتمتعون بنفس الاختصاص ونفس الامتيازات وقد اختيروا من اقطار عربية مختلفة ودول أجنبية يمثلون القارات الاربع . اختير الأعضاء المشاركون العرب من تونس ومصر ولبنان والعراق والسعودية والمسلمون غير العرب من تركيا وباكستان واختير عضو من الصين وواحد من افريقيا (الرئيس سنغور) وأعضاء من فرنسا واسبانيا والنمسا والولايات المتحدة الأمريكية وكل من الأعضاء المقيمين (المغاربة) والمشاركين يمثلون جانبا من المعرفة منهم علماء الفيزياء كالدكتور أحمد عبد السلام (باكستان) الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء النووية سنة ١٩٧٩ وقد أشادت لجنة نوبل بجهوده العلمية وقالت أنه قام بأعظم اكتشاف في ميدان الفيزياء النووية في السنوات العشر الأخيرة ، وعلماء في العلوم الطبيعية كالدكتور فؤاد سيزاكي من تركيا والدكتور عبد اللطيف بن عبد الجليل من المغرب . ومنهم علماء اقتصاد كالدكتور عبد المنعم القيسوني من مصر والأستاذ هوان كيّميانغ من الصين .ومنهم أساتذة في علوم الفضاء كالسيد نيل ارمسترونغ الأستاذ الجامعي وأول رجل فضاء وضع قدمه على القمر ، ومنهم رجال سياسة كالسيد ادكار فور رئيس حكومة فرنسا الأسبق وزير التربية الوطنية ورئيس الجمعية الوطنية ، ومنهم أدباء سياسيون كالرئيس سنغور رئيس جمهورية السينغال ومنهم علماء الشريعة وفلاسفة ورجال قانون ومؤرخون وأدباء ورجال الصحافة والأدب وأطباء . وقد ضمت الأكاديمية حتى الآن ٣٠ عضوا من المغرب (المقيمين) وعشرين من المشاركين وستختار في اجتماعها القادم بقية الأعضاء ليكتمل عددها ستين عضوا .

وسيهتم هؤلاء العلماء بقضايا الحضارة العربية والاسلامية - والجانب المغربي منها بخاصة - وبكل ما يتصل بالحضارة من تاريخ ودين وفكر فلسفي وعقائدي . كما ستهتم لجان خاصة بالسياسة والاقتصاد والشؤون الدولية والتكنولوجية وتبادل التجارب التقنية وعلوم الأحياء والطب .

ومن المنتظر أن تدعم هذه الأكاديمية الفتية صلات التعاون العلمي مع مختلف الأكاديميات والمجامع العلمية في الوطن العربي وفي الخارج .

عبد الكريم غلاب

الإعلام العربي فى معركة المصير

د. حافظ الجمالي

ماهى نوع المساعدة التى يقدمها الإعلام العربى لمعركة المصير

العالم الغربى يعتبرنا دوما من البلاد المتخلفة التى يهون فيها شأن القانون

اكثر من مرة ، لا مرة واحدة ، بل فى كل يوم ، يضطر العربى الى الوقوف موقف التساؤل ،والشك ، والريبة امام مختلف مؤسساته ، ليلاحظ ماإذا كانت تحقق اهدافها بنسبة معقولة ، ام انها تهبط دون ذلك بدرجــــة او درجـــات ولعله يرغم احيانا على التساؤل ما إذا كانت هذه المؤسسات قد انشئت فعلا لخدمة الهدف الطبيعى او المعلن لها ، ام انها انشئت لتقويضه ، ومعاكسته على طول الخط . وليس إلا على سبيل المثال ماأقوله عن المؤتمرات العربية المختلفة . او عن الجامعة العربية . ترى هل إذا وجدت الجامعة او لم توجد . وهل إذا عقدت المؤتمرات او لم تعقد ، سيكون هنالك اى فرق فى الحياة العربية ، عماهى عليه الآن ، او عما كان يمكن ان تكون عليه .

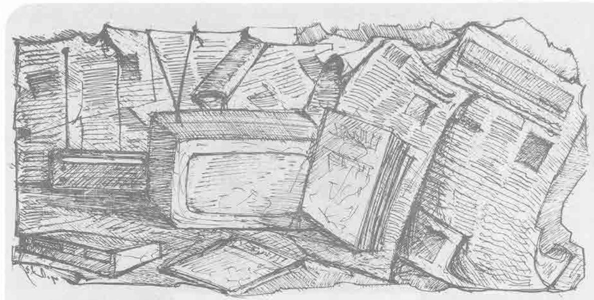
ولقد ذكرت مجلة العربى فى عدد ماض لها كلمة مأثورة للملك حسين ، جاءت فى صفحة خصصت عادة لمثل هذه الكلمات . وورد فيما قوله : إن الاوضاع العربية لا يمكن ان تكون اسوا مما هى عليه الآن . وإذن فيجب ان نبدا بالتحسن . واعلق على هذه الكلمة بالقول : مع كل ماعقد من مؤتمرات لوزراء الخارجية ، والاقتصاد ، والتربية ، والصناعة .. ومن مؤتمرات القمة ، واجتماعات مجالس الجامعة العربية منذ خلقت هذه حتى الآن ، تكون الآن اسوا حالا من كل عهد مضى ؟ فكيف إذن لو لم توجد هذه الاجتماعات والمؤتمرات وماهى جدوى هذه كلها إذا كانت لا تبيح لنا أكثر من أن تكون « الأسوا حالا » .

بين الوفرة والجدوى !

لكن حديثنا الآن ، بل هو فى الاعلام العربى ومآثره او مآسيه فى خدمة القضايا العربية . ومن الظلم ولا ريب ان ننسى ان وسائل الاعلام اصبحت كثيرة جداً ، وإذا استثنينا الكتب المعروفة من سالف الأزمان ، وتلك التى تعجز وتيرة صدورها اعظم القراء سرعة فى القراءة ، فان المجلات الدورية ، والنشرات من كل نوع ، والسينما ، والاذاعة المسموعة والمرئية ، والصحف ، كل هذه تبدو وكأنها تقدم للاعلام ابعادا لم يكن الماضى ليحلم بها . لا من حيث الاتساع ، ولا من حيث السرعة . ولئن ظل العالم يجهل موت نابليون ، حتى بعد اكثر من سنة على وفاته ، على الأقل ، فان اخفاق الامريكيين فى انقاذ رهائنهم ، عرف فى العالم كله ، ساعة عرفه المخفقون انفسهم . وكذلك فان ما يجرى لدى الآخرين من حوادث صغيرة او كبيرة ، وماعندهم من ثروة او نمو او مصانع او محاصيل زراعية .. الخ ، لايبقى مجهولا الا لمن لا يريد أن يعرف ، ولئن بدا لنا ان هنالك تعتيماً ما ، على اخبار هذا البلد او ذاك ، فينبغى أن نقدر مباشرة ان هنالك تجاهلا لا جهلا ، وتعمدا فى التغافل ،

وهذه الوسائل الاعلامية الكثيرة ، والقوية ، والمتنوعة ، ليست بالشىء الذى يتوفر لدى الآخرين ، ولا ينقصنا إلا نحن ، بل انها لحسن الحظ موفورة جداً حتى فى اكثر البلاد تخلفا . وهل من بلد الآن لا يملك « دور حكمته » وإذاعتيه المسموعة والمرئية ، اللتين يستطيع بهما أن يخاطب العالم كله ، هذا فضلا عن الصحف التى يمكن ان تصدر بغير العربية ، لتخاطب الغربيين ومن حولهـم . لكن الوفرة شيء ، والجدوى شيء اخر . إذ ليس من الضرورى ، فى البلاد المماثلة لبلادنا ، ان تؤتى الشجرة الثمار نفسها التى تؤتيها فى البلاد الآخرى . واغلب الظن ان المردود يظل لدينا هابطا ، كما هى الحال فى المعامل التى ننشئها ، او فى انتاجية العامل ، والمهندس ، والتاجر ، وغير هؤلاء

ومع ذلك فان وسائل الاعلام ، فى مثل بلادنا ، تحتاج الى طرح سؤال كبير ، ووضع نقطة استفهام كبيرة . فلقد بلغت نفقات الاعلام عام ١٩٧٨ فى سورية وحدها ما يوازى ١٢٦ مليون ليرة سورية ولكن كم تبلغ نفقات الاعلام العربى كله ؟ إنى لا اشك ان الرقم يتجاوز المليارى ليـرة سورية ، فى اقل تقدير . ومرة اخرى نتساءل : ماذا نربح من الاعلام ،



وماذا نخسر لو بقينا بدونه ؟ وبغض النظر عن راى القائلين بغلبة المضار على المنافع ، نتساءل نحن هل يوازى نفقات الاعلام ما نقدره له من الفوائد . لا بالمعايير الغربية المتعالية ، بل بالمعايير الخاصة بنا ، نحن اهل الدولة المتخلفة ؟ والمهم هنا ليس ان يكون المردود والعوائد اقل مما لدى الآخرين ، بل الا يكون فى الاتجاه المضاد لغاياتنا ، أو الغايات التى يرى كل عقل سليم انها هى المقصودة، او التى يجب ان تكون مقصودة . وطبيعى ان ينتظر الناس من وسائلنا الاعلامية أثرا ما فى الداخل ، وآخر اهم أو موازيا فى الاهمية ، فى الخارج . وفى هذه الحالة الأخيرة ، يبدو أنه ليس من الغريب . بل على العكس . إن من الضرورى إلى ابعد مدى ان تساعدنا وسائلنا الاعلامية فى معركة المجابهة التى نخوضها منذ زمن طويل ، مع اسرائيل ، وبكلمة أوضح ، ان تكشف عن حقنا إن كان لنا حق ، ومن باطل اسرائيل ، إن كانت على الباطل . اما أن يظهر باطل اسرائيل حقا ، وحقنا باطلا ، فلا ريب أن هذه التحفة الاعلامية جديرة بوسام استحقاق فريد ، من الوطن فى الماضى والحاضر والمستقبل .. أو لا يذكرنا هذا كله بما كان علي بن ابى طالب يقوله للناس من حوله ، مقارنا بين جدوى اصحابه ، وجدوى أصحاب معاوية ، فيعلن أن جرأة هؤلاء فى باطلهم ، كتخاذل جماعته عن نصرة حقهم ؟

لب الموضوع

ولنا نتساءل عن نوع المساعدة التى يقدمها الإعلام العربى ، لمعركة المصير ، وعن اهميتها ووزنها فى كسب المعركة ، وهذا فى الواقع هو لب الموضوع ، ولكن الجواب عن ذلك ليس بسيطا . ذلك ان العالم الغربى ، يعتبرنا دوما من العالم الثالث ، أو البلاد المتخلفة ، التى يهون فيها شان القانون ، وتضيع قيمة الانسان ، وتفقد كرامته ، ولا يحكم إلا بالسوط الغليظ ، فضلا عن انها بلاد يتفاقم فيها الفقر ، ويغلب عليها حكم اللاعقل ، كما لو انه مامن خير يعيش فيها ، ولا من شر ينأى عنها . ومن جهة أخرى ، فان هذا العالم شبع بالتعاطف مع اسرائيل ، بمقدار ماهو كاره لنا او ناقم علينا . وكثيرا ما نسمع أن اسرائيل هى المحطة الحضارية الوحيدة فى الشرق المتخلف ، وهى البلد الوحيد الديمقراطى فى منطقتنا ، والدولة الوحيدة التى تسمح بقيام المعارضة ، وإجراء انتخابات هى التى تقرر مصير الحكومة والمعارضة معا ، حتى ليمكن بسهولة تداول الحكم بين الفئات المختلفة ، بحيث تصبح المعارضة هى السلطة ، والسلطة القائمة بالامس هى المعارضة اليوم . وكل ذلك دون أن ننسى أن اسرائيل ، تتمتع دوما بالعطف الذى تناله كل ضحية ، او كل مضطهد ، أو كل معذب ، لاسيما إذا كبر وزنه العقلى والثقافى . ومامن شك ان عقدة الذنب الأوربية تلعب دورها هنا ، وتجعل الغرب يناصر اسرائيل باستمرار، تكفيرا عما ارتكبه بحقها من اثام. ولا باس عندئذ ان يرتكب لدينا نفس الاثام التى يكفر عنها ، لدى اسرائيل . ترى اياتى يوم نتمتع نحن فيه بنعمة هذا التكفير ، كما تنعم به اسرائيل ، منذ اكثر من ثلاثين سنة؟

وعلى ذلك فان مهمة الاعلام العربى صعبة جداً ، ذلك أن عليه ان يحمل صورة حياتنا ، او ان يستند الى جمالها الموضوعى ، ليكسب لنا عطف الآخرين . إذ ان للعطف نفسه ثمنا . وليس من عادة الانسان ان ياسف على كل مظلوم او ميت . بل انه يخص بالاسف ذلك المظلوم المتميز وحده ، او الميت الرفيع المستوى ، لا كل مظلوم ولا كل ميت . أو لم يقل رينان يوما ما إن موت الإكرانى الجلف ليس اكثر من ساعة توقفت عن العمل ، في حين أن موت الفرنسى ، حادثة تاريخية ، لما للفرنسى من رفعة المستوى ؟ وهنا يتساءل الانسان ماذا يستطيع الاعلام ان يجمل من صور حياتنا ؟ ايشيد بالحرية التى يتمتع بها المواطن ، او بالقانون الذى يفرض حكمه على الجميع ، او بالعمل الجاد الذى يحيى بها ارضنا الميتة او العبقرية الهائلة التى تبتكر النظريات الحديثة او تنشىء التكنولوجيا المتقدمة ، او بكمية ما يبذله كل منا من

الإعلام العربي في معركة المصير

● وسائل الإعلام في مثل بلادنا تحتاج إلى طرح سؤال كبير وعلامات استفهام كبيرة

الجهد لكى نعيش من خيرات ارضنا وحدها ، دون استيراد للغذاء من الخارج ، او بكرامة الانسان التى نرفعها الى اعلى الذرى ؟ ولقد قرات مرة فى مجلة «الاوروبيو» الايطالية مقالا لقاض متقاعد ، جاء فيه قولـه : إعط العرب جنة وتراهم يقلبونها الى صحراء ، واعط اليهود صحراء ، وسوف ترى انهم يقلبونها جنة . ومن المؤسف ولا ريب ان صورة فلسطين السابقة للاستعمار الاسرائيلى لم تكن صورة للجنة . وكان عليها ان تبقى متواضعة جداً حتى مع اليهود لولا الأموال اللامتناهية التى رصدت لمساعدة المهاجرين الاسرائيليين . لكن العين وحدها احياناً هى التى تحكم ، وتقدر ماهو منظور امامها ، بغض النظر عن كل شىء اخر . وعندما تقارن العين بين صورتى فلسطين العربية القديمة ، وصورتها الإسرائيلية الجديدة ، فانها ستحكم لهذه ضد تلك بالضرورة .

ومن هنا كان على الاعلام العربى ان يكون غاية فى الذكاء ، وسعة الحيلة ، وكبر العبقرية ، لكى يربح لنا شيئاً ما ، فى معركتنا مع اسرائيل . فهل نستطيع ان نضمن فعلا ان يكون اعلامنا قد بلغ هذا المستوى ؟ أو سيبلغه قريباً ؟ .

ومن جهة اخرى ، لماذا نريد أن تكون الصورة الاعلامية فى الداخل ادنى مستوى من الصورة الاعلامية فى الخارج لاسيما واننا ننفق على الاولى ، اكثر بكثير مما ننفق على الثانية . بل لماذا نريد ان نخفق الاولى اخفاقاً مريعاً ، وان تحقق الثانية منجزات لا اكبر ولا اعظم ؟

ومع هذا كله فان وسعنا القول ان من الممكن ان ينجح إعلامنا الخارجى ، اكثر مما ينجح او (يخفق) إعلامنا الداخلى . ذلك ان الحقائق الموضوعية المؤكدة ، المتصلة بنا وبعدونا ، ليست معروفة بدقة فى العالم القادر على التدخل فى قضيتنا هذه . ولا اقول انها ليست معروفة بدقة فحسب بل اكاد اقول : انها قد تكون مقلوبة عمداً ، ضد مصالحنا ، وضد الحقيقة معاً ، ولهذا يجب البحث باكبر جدية ممكنة عن قيمة إعلامنا



وجدواه ، او معنى الانفاق الذى يخص به ، وعما يحققه من منافع او مضار بالنسبة إلينا .

الإعلام الخارجى والاعلام الداخلى

ومن الواضح اننى اركز الحديث هنا على الاعلام ، لا فى صورته الداخلية التى لا يبدو لأحد انها موفقة ، بل فى صورته الخارجية التى تخاطب العقل الغربى ، صاحب الشان الاول فى تعقيد مشكلاتنا او حلحلتها ، تبعاً « للوضعية الذهنية » التى يضعه فيها اعلامنا نفسه اى إعلامنا العربى جملة ، او لاسيما فى مشكلتنا مع اسرائيل . ولو صحت افكار توينبى لكان علينا أن نكون نحن السباقين فى ميدان الاعلام الخارجى ، لاننا نحن الذين نواجه التحدى المحتمل الاكبر . ومن المؤسف أن اعلامنا لا يستجيب لهذا التحدى . ولا تستحق ردوده اية جائزة . ولو صح ان نعامل الاشياء كما نعامل الناس ، إذن لكان علينا ان نعتقل «اعلامنا» لمدة طويلة ، فى زنزانة منفردة !

إشكالية الاعلام العربى

وإذن فلا شك ان للاعلام عندنا اشكالية ذات وجوه متعددة :

● ابرزها ان هنالك معطيات ، تكاد لفرط الوضوح ـ ان تكون من البديهيات ، نراها تنقلب بالاعلام ضدنا ، بدلا من أن تكون معنا ، بحيث يصبح حقنا باطلا ، وباطل عدونا حقاً . فكيف وفق اعلامنا إذن الى كل هذا التوفيق المعكوس او المقلوب ، ثم لايزال مقلوباً ؟ وأى نوع من الجهد يبذل للاعلام ، واية عناية يحاط بها لكي لا يخطئه إلا التوفيق ، ولا يحالفه إلا الاخفاق ؟

● والثانى هو التساؤل عما إذا كان المنطق الذى يستر الاعلام ، من الداخل ، يكبر اكبر النجاح داخل البلاد ، ويخفق اكبر الاخفاق خارجها ؟ او انه لابد لمثل هذا المنطق (إن كان واحداً) ان يخطئه التوفيق فى الداخل والخارج على السواء ؟ وبتعبير آخر هل لدينا منطقان للاعلام واحد للاستهلاك الداخلى. وآخر للسوق الخارجية ، او اننا نقدم الشعير نفسه لدوابنا ودواب الآخرين ؟

● إن من المؤكد أن الاعلام الداخلى يصطدم مباشرة بالواقع الموضوعى ، وسرعان ما يتهدم لدى اى تناقض بين الصورتين الاعلامية والواقعية . إن الواقع المباشر هو الاعلام الأول هنا . وكل إعلام مناقض سينهار بالضرورة .

أما الاعلام الخارجى ، حول مشكلة اسرائيل ، فلا مجال فيه لأى تناقض . ذلك ان الأرض العربية محتلة فعلا ، لا إشاعة ، واهالى الضفة الغربية خاضعون مباشرة لعدوهم فعلا ، لا قولا ، والخسائر العربية فى الحروب الأربع الماضية مع اسرائيل ، حقيقة لا دعاية ، واللاجئون الفلسطينيون واقع قائم لا يجهله احد . واخيرا فان المطامع التوسعية لاسرائيل اكثر من واضحة ، ومطامعهم اكثر من ظاهرة ، ونازيتهم اكبر من نازية الهتلريين ... ترى ماذا يمكن أن يفعلوا لو سلكوا القوة الهتلرية.

والاشكالية الوحيدة فى هذا كله ليست تلك المفارقة العجيبة بين الواقع المؤكد ، وبين قدرة الاعلام على

استثمارها . اما الاشكالية الأكبر والاضخم والاهم ، فهى بلا ريب ، تلك المفارقة بين الحق النظرى «وبين مستحقه» . ترى الا يجب ان يستند إعلامنا ، حول اى موضوع ، الى صورة مقبولة لحياة المواطنين ، والدولة ، فى بلادنا ؟ اولا نلاحظ ان « سمعة » الامة التى تتجلى فى سلوكها العام والخاص فى الداخل والخارج ، هي التى تملى التعاطف مع حقها ، او تحول دونه ، وليس ماهو ابسط ، كمثال ، من ملاحظة الناس وعواطفهم لدى مشاهدة المسلسلات أو الأفلام السينمائية . فهؤلاء الناس لا يتحمسون لغير البطل فى القوة والفضيلة . وليس بينهم من يتحمس للضعيف ، الطائش ، المستهتر . ولا يكفى ان يكون الانسان صاحب حق ، بل إن عليه ان يستحقه ايضا ، بشدة الدفاع عنه .

معطيات الإعلام العربى وقضية فلسطين

واحسب ــ احسب فقط ــ ان فى هذه الدنيا معطيات لا جنسية لها ، اى انها ليست عربية ولا غير عربية ، بل هى صحيحة لدى كل الناس .. ومع ان هذه المعطيات الانسانية معنا موضوعيا ، ضد اسرائيل ، ورصيد ضخم لا اسهل ولا افضل من الاستناد إليه ، فانها تنقلب بقدرة قادر ضدنا ولحساب اسرائيل ، فاما ان عقول الناس كلها مختلة ، وطباع البشر جملة قد انقلبت ، وإما اننا نحن المقصرون الى الدرجة التى نقلب فيها كل حق لنا الى باطل .

وطبيعى ان قلوب الناس تتعاطف مع الضحية ، وتتنكر دوما للظالم ، ولكن هذه المعطيات العاطفية تنقلب علينا انقلابا كليا ، إذ ان التعاطف يتم لحساب الظالم ، المعتدى ، المكرر للعدوان ، وتحجب عن الضحية ، على كثرة ما تلقاه من شقاء . فحتى العواطف الطبيعية تعطلت ، هنا ، واصبحت مجندة مع الظالم ضد المظلوم ، على حين ان العكس تماما هو الذى حدث فى فيتنام ، على اختلاط مشكلتها بمشكلة الشيوعية فكيف يحدث إذن ان الطبيعى من العواطف ينقلب راسا على عقب ، ويصبح الظالم مظلوما ، والمظلوم ظالما ؟

وفى حرب ٦٧ حمد الناس فى الغرب ربهم على انه كتب النجاة لاسرائيل ، الوحيدة ، فى الخضم العربى ، وما انقذها منا ، على كونها هى التى فعلت كل شىء لاثارة تلك الحرب ، كما تقول هى نفسها . ترى كيف يجب ان يكون الاعلام الصهيونى حتى يستطيع قلب الضحية قاتلا ، والقاتل ضحيته ؟ وبأية عبقرية قابلناه حتى لم يدرك احد إلا اننا نحن المجرمون ، واسرائيل هى البريئة ؟

وطبيعى ايضا ان يعرف الناس ان اسرائيل مدعومة بالامبريالية كلها ، وان هذه مستعدة لاثارة حرب عالمية من اجلها ، ويعرفون ايضا ان كل سلاح نحصل عليه هو دفاعى لا هجومى ، وان علينا ان ندفع ثمنه ، مباشرة ، بقدر الامكان . ومع ذلك فقد نجحت اسرائيل فى حمل العالم على الاعتقاد انها «وحيدة» وان المعسكر الشرقى كله معنا . كل العالم معنا وهى تجابهنا منفردة . بالبطولة ! او ليست الحقائق هنا ايضا تنقلب راسا على عقب ، ويصبح صحيحها كذبا ، وكذبها صحة ؟

وبعد حروب اربع ، لم ننتصر نحن فيها ، وخسرنا الاراضى والاسلحة والشهداء ، تطلب اسرائيل الحدود الآمنة . واظن ان من حقنا نحن ان نطلب هذه الحدود ، لان كل الانتصارات الاسرائيلية تمت على حسابنا لحسابها ، لا لحسابنا وعلى حسابها . ومع ذلك مايزال العالم يطلب الأمن لاسرائيل ، ولا يذكر حقوق الشعب العربى فى فلسطين إلا خجلا . وطبعا هذه ماثرة إعلامية لنا . إن الخائف يصبح مخيفا ، والمخيف يلبس دور الخائف . افليس طبيعيا أن نصبح نحن الذين نبنى المستوطنات فى الديار الاسرائيلية ، ونحن اصحاب النزعة التوسعية ؟

جائزة نوبل فى اللامبالاة !

والخلاصة أن الاعلام العربى كله يعيش فى مستوى هابط جدا واقصى همه أن يقنع العرب بأن قضيتهم عادلة ، كما لو انهم كانوا بحاجة الى مثل هذه القناعة . ولقد اخفق هذا الاعلام اخفاقا جعل العواطف الطبيعية ، العفوية ، التى يخفق بها القلب تلقائيا تجاه المظلوم ، تنقلب علينا ، وتصبح مع الظالم ، كما انه رد الخائف الى دور المخيف ، والضعيف الى دور القوى ، والذى ليس معه إلا جهد ابنائه المتواضع ، إلى من يشبه ان يكون كل العالم معه ، بل انه قلب الادوار بيننا وبين اسرائيل ، حتى لكان الامبريالية كلها معنا لا معها . فهل بعد هذا الاخفاق من اخفاق . وهل الاستمرار فى هذا الخط منذ خلقت اسرائيل كمشروع دولة لا كدولة ، حتى الآن ، دون اى تقدم ، نحن حقا صناعه ورجاله ، إلا برهان على اننا نعيش إعلاميا ، وكاننا ننعم باكبر السعادة ، بلا نزاع ولا خصومة مع اى إنسان ، ولا خوف من احد ؟ او لا يستحق على هذه « البلادة الاعلامية » جائزة نوبل فى اللامبالاة ؟

ويبقى ان نعرف هل لهذا التقصير الاعلامى مسوغات ؟ او اعذار ؟ كما هى الحال فى كل صور التقصير التى نشكو منها ، والتى تؤلف فى جملتها « كلا واحداً » لا يتجزأ بحيث لا نجرؤ على القول مثلا : إننا متخلفون إعلاميا فقط ، ولكننا متقدمون فى كل اعدا الاعلام ؟ إن هذا ما سنتحدث عنه فى المقال التالى . إن شاء الله تعالى

د. حافظ الجمالي

الخواء الروحى في العالم يزداد حدة

محمد فتحى

عما قريب سيكون التليفزيون العالمي حقيقة واقعة ليبث مباشرة إلى المنازل عن طريق الأقمار الصناعية

الخواء الروحى الذي يعانى منه الغرب ـ الشرق السياسى ليس فى حاجة الى بيان ـ حقيقة ثابتة لم تعد خافية على أحد ، وليست فى حاجة الى تدليل . انصرف الناس فى الغرب عن الدين ، وأسقطوه كلية من حياتهم حتى فى صورة مرسم شكلى . ربما يستثنى من ذلك المشهد المألوف ، مشهد القس فى مسوحه الأسود يتمتم بضع كلمات خافته ، فى حضور نفر من الناس متشح بالسواد ، حول حفرة ضيقه يغيب فيها جثمان الهالك ثم يهال عليه التراب ، ويختفى من فوق ظهر البسيطة ، وكأن لم يكن بالأمس شيئا مذكورا ، لا طائرة تحمله فوق أجواز الفضاء او صاروخا ينطلق به نحو العوالم الأخرى التى كشف عنها دأبه وخدمته وتغلغله فى البحث وراء أسرار الكون ... من التراب والى التراب يعود .

اذا لم تكن الحضارة الغربية أشهرت إفلاسها مؤذنة بالمغيب ، فطلائع موكب الافلاس بالدوى والتفجير تنذر به ، طليعة من وراء طليعة ..

ما هذه الالوية الحمراء ، والجيش الاحمر ، وبادر ماينهوف وغيرها مما قد تعلم أو لا تعلم ..؟!

ما القلق والاكتئاب والانهيار ، تلك التى تعترى نفوس الملايين فى كل عطفة وكل سبيل ؟!

ما ذبائح الصفن وسكتات القلوب ..لا للعجائز وإنما لأزاهير الشباب ؟!

ما اولئك الذين يلقون بأيديهم الى التهلكة ، فيثبون من فوق قمم الابراج او شاهق العمارات ؟!

ما ذلك الانتحار الجماعى .. بالألف يحتسون على أنفسهم [illegible] شيبا وصبية واطفالا ؟!

ما قهر البيض السود والصراع المرير بين الطوائف [illegible] ليس فى جنوب القارة الافريقية بل روس القاطنين [illegible] اوربا وامريكا ؟!

ما هذا [illegible] التى يمض [illegible] بالرصاص والخطف والذبح وارتهان الرهائن والتقتيل

فاذا لم يكن ذلك بالقدر الكافى فلتحمله الشاشات الكبيرة والصغيرة للناس ، ولتسكبه فى صدور الرضع والصغار والكبار فى شكل صور متحركة طباعة تفرض نفسها فى البيت بالليل والنهار ؟!

ما كل هذا .. إذا لم يكن بداية للنهاية ، وقضاللسامر ، وإيذانا ببساط يطوى ..؟!

لست هنا فى مقام النعى لحضارة الغرب التى غزت المشارق حتى اليابان وذهبت بعقائدها وقيمها أو تكاد ، وقد تكون غزت مجتمعاتنا وظاهرنا ، ولكنها لم تستطع بعد أن تغزو منا الأرواح والأفئدة .

يقيننا ان رب المشرق والمغرب ، يريد بنا خيراً . فرغم صلتنا اللصيقة بالغرب ، وارتباطنا الاقتصادى والاجتماعى الوثيق به واخذنا بحضارته ما يقرب من قرنين من الزمان ، إلا اننا ما نزال حفاظا على ذخيرتنا الروحيه ، لا نسلم فيها ابدا ولا نحكم عليها بالهوان ، حتى ولو كان البديل مركبات وطائرات ومدافع وصواريخ نذود به عن كياننا العدو التريص . والعدو التريص ، فيما أحسب لا يبغى الأرض بقدر ما يبغى القهر وتحطيم سلاحنا الروحى الذى لا يزيد

أن ينثنى ، فما انثنى حقبة وراء حقبة ، منذ كان للاسلام دولة ووجود .

كذلك لا يظن أحد أننى وضعت فوق رأسى عمامة الوعاظ والأئمة انما انا اتكلم من موقع آخر مختلف .. من موقع تلك الأدوات التى يطلقون عليها أجهزة الاعلام او وسائل الاتصال الجماهيرى ، تلك التى تتصل بالناس مباشرة فى كل لحظة وآن ، طريقها نافذ ، لا يقف فى سبيلها حاجز أو مانع ، نافذ الى العقول والأفئدة وقرارات النفوس

من هذا الموقع أخاطب أولئك الذين يحملون فى أعناقهم أمانة الدعوة للدين الحق ، دين التوحيد .

فاذا كانت الدعوة الى سبيل ربك فرضا علينا .. فرضا جليا سويا لا لبس فيه ، أى دون تنكر فى ثوب التبشير ، وبدون إكراه ، فلا إكراه فى دين محمد . فان الأوان فيما نرى قد آن ، لننتشر على الملأ ونبصر بأركان هذا الدين ، وأصوله ، وحقيقته ، ومراميه . وهذه هى الأدوات الفعالة بين أيدينا . نعم أنعمت بها قدرته على الانسان ، فى هذا الوقت بالذات ، ونحن المسلمين لا تنقصنا الخبرة بها ، بل نمارسها وننتفع بها ولعلنا نسرف على أنفسنا باستخدامها فى أغراض الترفيه والتلهية ! أليس من حق إخوة لنا من البشر ، هامت أرواحهم ، وجزعت نفوسهم مستصرخة تنشد السكينة والطمأنينة . أليس من حقهم علينا أن نمد لهم اليد ، يد الهداية الى المرفأ العظيم والملاذ المكين .. .

وما أظننى فى حاجة الى التدليل من الكتاب الحكيم بالآيات التى تحض على الدعوة الى سبيل الله . وما أظننى فى حاجة الى أن أبين أبعاد التوحيد ومراميه ،

وإذا كان أهل الدعوة عندنا والأوصياء عليها يخصصون الملايين للمبانى والمطبوعات بسيارات القوافل وغيرها من محليات ــ ولهم فى ذلك ثواب ــ فقد يكون أيضا من سبل الثواب تخصص حصة لإعانة الحيارى ، وهديهم الى دين التوحيد .. التوحيد فى هذه الحقبة التى نعيشها ونعاصرها ليست مجرد كلمة تقال ، ولكنها بينة المعنى والمغزى والحتمية ، والحيرة أيضا ليست كلمة نرددها بل هى حقيقة واقعة ملموسة ، ومسألة تشغل أذهان المفكرين والفلاسفة والأوصياء على حضارة الغرب ، ومنهم من يتطلع بالفعل للاسلام ويعكف على دراسته ، بل إن شخصيات لها وزنها وأعدادا لها دلالتها ، من سماع الفكر والمتنورين فى الغرب آمنوا بالاسلام واعتنقوه دينا .

كل الظروف ــ يا أمناء الدعوة ــ مواتية ، مثل هذه المهمة فيما أرى تضطلع بها دول المسلمين عامة ، وللمسلمين هيئات ومؤسسات ومنظمات ومؤتمرات وجامعات واتحادات إذاعات ، لا أحسب الناس قد لمسوا بعد فعاليتها فى مجال الدعوة غير المحلية . بل لعل لأهل الدعوة مواقف غريبة تعز على الافهام . فلقد جاءت نبأ تلك الأفلام التى انتجها أفراد غيورون على الاسلام ، تكشف عن بعض الجوانب المضيئة فى الاسلام ، وعرضوها فى بلاد الغرب حيث لقيت استجابة وتقبلا . ولكن بدل أن يعينها ويشجعها أهل الدعوة وقفوا منها موقف الرافض المعادى ؟!

ما يزال بعض الناس من أهل المسئولية الاعلامية الاسلامية ينظرون الى أجهزة الاعلام العصرية نظرة مشوبة بالحذر ، فالسينما والتلفزيون فى نظرهم ، موضع شبهة وارتياب ، ولكن هذه الأجهزة ــ لو يتدبرون ــ مثلها مثل الكتاب ، يحمل الحكمة والفضيلة كما يمكن أن يحمل بين طياته الفجور والكفر . إن هى إلا وسائط يسخرها المرسل كما يشاء من رسائل ، كالاناء تسكب فيه السم أو تسكب فيه الشراب الطهور ، اذا كان التلفزيون ــ أو القلم ــ يعرض العرى والفجر والمراقص فهو أيضا يعرض تلاوة الذكر الحكيم وشعائر الصلاة ومناسك الحج ليس للأداة ذنب فيما تسف ، إنما الذنب ذنب من يستخدمها .

أليس من العجيب إذا أن نحرم الدعوة من هذه الأجهزة الخارقة التى أنعم الله بها علينا ، مؤثرين أدوات تقليدية تقلية غير ذات أبعاد أو فعالية ؟!

هذا العصر الذى نعيش فيه يسمونه عصر التلفزيون ، ويسمونه عصر الأقمار الصناعية ، ويسمونه عصر الاتصال . خاسر ذلك الداعية الذى يتجاهل هذه الوسائط الالكترونيه التى يتعذر عليك أن تجد واحدا من البشر لا يتعامل معها بشكل أو بآخر . عما قريب سيكون التلفزيون العالمى حقيقة واقعة ، بحيث يستطيع أن يبث عن طريق الأقمار الصناعية مباشرة الى أجهزة الاستقبال فى المنازل من لندن وباريس ومكة وموسكو والقاهرة وروما الى جميع أنحاء الدنيا . فهل أعددنا لهذا اليوم عدته ليؤدى فريضة الدعوة ؟

منذ بضعة أعوام عقد فى لندن مهرجان اسلامى عرض فيه المسلمون فنونهم ، وخطب فيه دعاة المسلمين . قال محمد عبده يمانى كلمة مر عليها الناس مر الكرام ، ولكنها تحمل فى طياتها حقيقة عميقة ناصعة قال .. نحن المسلمين لا نقدم للعالم النفط فحسب فنحن نملك ما هو أغلى وأثمن من النفط ، نملك كنز الاسلام . يا لها من قولة صادقة بليغة ! ولكن ...

الى متى يظل هذا الكنز ــ يا أمناء الدعوة ــ مغلقا بالضبة والمفتاح .. فى حين تظمأ نفوس البشر وتهفو أرواحهم اليه ؟!

لا مراء فى أن الاسلام ، إذا حققنا رسالته التوحيدية حقيق به أن يبعث فى حياة المجتمع البشرى قيم الحقبة الاسلامية الأولى ، بما انطوت عليه من توحد وتماسك وعدالة وتعاطف وسماحة وكرامة ، وشجب للعدوان ، وبعد عن التعصب وإنكار لتلك السبل الدموية التى تسلكها الايديولوجيات المتصارعة ، تلك التى تغمر ساحة المجتمع الانسانى بالقرب منا خاصة فى القارتين اللتين ننتمى اليهما وهما افريقيا وآسيا ..

فهل لدينا العزم والثقة ..

وهل يستجيب الدعاة لفريضة فرضت عليهم وأمانة وضعت فى أعناقهم ..

هل يجمعون صفوفهم ويسخرون طاقاتهم وعقولهم لتحقيق هذه الغاية العظمى ؟

محمد فتحى

الدراسات الإعلامية العربية فى أزمة

د. فاروق ابوزيد

● أبرز مظاهر الأزمة التى تعانيها الدراسات الإعلامية العربية هو ذلك النقص الشديد فى أعضاء هيئة التدريس

● العديد من المعاهد الإعلامية العربية تفتقد وجود نظرية واضحة

اربعون عاما مضت على قيام أول معهد علمى اكاديمى لتدريس الاعلام فى الوطن العربى .

واليوم يوجد ستة عشر معهدا اكاديميا للتدريس الاعلامي فى عشر دول عربية ورغم ذلك فمازالت الدراسات الاعلامية العربية تعانى من أزمة شديدة ! هذه الأزمة لا تقتصر مظاهرها على النقص الملحوظ فى اعضاء هيئات التدريس أو فى تخلف المناهج أو فى قلة مايصدر من بحوث ودراسات .. وإنما تمتد مظاهر هذه الأزمة لتشمل ايضا غياب اى شكل من اشكال التنسيق أو التعاون بين هذه المعاهد الاعلامية وبين اجهزة الاعلام فى الدول العربية التى توجد بها تلك المعاهد . وهو الأمر الذى يظهر تلك المعاهد وكأنها تعمل فى فراغ . ويكفى انه فى الوقت الذى تشكو فيه أجهزة الاعلام العربية من ندرة المتخصصين فى الاعلام .. نجد العديد من خريجى المعاهد الاعلامية العربية يعملون فى غير تخصصاتهم .. !

النشأة .. اجنبية

إن تاريخ الدراسات الاعلامية العربية يبدأ عام ١٩٣٩ عندما صدر قرار من جامعة القاهرة بانشاء معهد التحرير والترجمة والصحافة كدراسة تابعة لكلية الآداب بالجامعة .. ولكن الدراسة لم تبدأ فعلا فى هذا المعهد إلا فى عام ١٩٤٠ وقد توقفت الدراسة بهذا المعهد فى عام ١٩٥٤ حينما انشىء قسم الصحافة التابع لكلية الآداب . وفى عام ١٩٧٠ الغى القسم بعد أن تم انشاء معهد الاعلام والذى تحول عام ١٩٧٥ الى كلية للاعلام . وقد ظلت الدراسات الاعلامية قاصرة على مصر حتى بداية الخمسينات حيث بدأت الدراسات الاعلامية تمتد الى بقية البلاد العربية فأقيمت الدراسات الاعلامية الاكاديمية فى كل من تونس والجزائر ، والسودان ، والعراق ، ولبنان .. ثم امتدت بعد ذلك الى المملكة العربية السعودية وليبيا .. وفى العام الماضى بدأت اول دراسة إعلامية فى جامعة العين بدولة الامارات العربية المتحدة . وفى هذا العام دخلت الدراسات الاعلامية جامعة قطر . وهناك تفكير جدى فى إدخال الدراسات الاعلامية فى كل من الكويت والصومال .



إن عمر الدراسات الاعلامية العربية اربعون عاما باعتبار ان معهد التحرير والترجمة والصحافة هو أول معهد عربى أكاديمى لتدريس الاعلام فى الوطن العربى ولكن من الضرورى أن نعترف بأن العالم العربى قد عرف الدراسات الاعلامية الاكاديمية قبل انشاء هذا المعهد بخمس سنوات أى فى عام ١٩٣٥ وذلك عندما انشأت الجامعة الأمريكية بالقاهرة قسما للصحافة وقد ظل هذا القسم قائما حتى عام ١٩٥٤.

● نقص الاساتذة !

إن ابرز مظاهر الأزمة التى تعانيها الدراسات الاعلامية العربية هو ذلك النقص الشديد فى اعضاء هيئة التدريس .. ولكى ندرك فداحة هذا النقص يكفى أن نعلم أن كلية الاعلام بجامعة القاهرة لايوجد بها سوى ستة عشر عضوا من أعضاء هيئة التدريس منهم ستة أعضاء معارون الى الجامعات العربية .. ! وانه لا يوجد بهذه الكلية سوى عضو واحد بدرجة استاذ وهو يشغل فى نفس الوقت منصب وكيل الكلية .. وهناك ستة اعضاء بدرجة مساعد والباقون بدرجة مدرس .. فى حين أن الكلية تضم دراسة لمنح البكالوريوس .. وأخرى لمنح دبلوم عالى بالاضافة الى كونها الكلية الوحيدة فى العالم العربى التى تمنح درجتى الماجستير والدكتوراه .. ويزيد عدد طلبتها عن الفين ! بل أن الصورة تزداد قتامة حين تعرف أن قسم الصحافة والاعلام بجامعة الأزهر ليس به سوى استاذ واحد ! . وأن قسم الصحافة بجامعة اسيوط ليس به سوى استاذ مساعد واحد ومدرس واحد !

وإذا كان هذا هو حال الدراسات الاعلامية فى مصر ولها اربعون عاما من الخبرة فى التدريس الاعلامى .. فكيف نتصور الوضع فى بعض البلاد العربية

وبعضها لم يمض على إنشاء الدراسات الاعلامية به سوى بضعة أشهر !

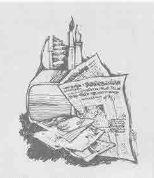
إن العديد من معاهد وأقسام وشعب الاعلام فى بعض الجامعات العربية لا يضم أكثر من عضو تدريس واحد متخصص فى الاعلام ! بل أن بعض هذه المعاهد يعتمد كلية على (المتعاقدين) من الخارج لعدم وجود الأستاذ المتخصص . والأخطر من ذلك أن التوسع فى إنشاء الدراسات الاعلامية فى الجامعات العربية ألجأ الكثير من الجامعات الى تغطية النقص فى أعضاء هيئة التدريس المتخصصين عن طريق الاستعانة بالعديد من رجال الاعلام (الممارسين) ورغم الفائدة الكبرى التى يمكن أن تجنيها الدراسات الاعلامية من الممارسين إلا أن كثيرا منهم يفتقد المواصفات الخاصة المطلوبة فى التدريس الأكاديمي .. إذ أن الخبرة العملية شيء .. والعمل الأكاديمي شيء آخر فلكل منهما متطلباته الثقافية والمنهجية .. وفى حين يصلح الممارس للتدريب المهنى .. فانه غالبا ما يعجز عن الوفاء بمتطلبات الدراسة الجامعية الأكاديمية .



قلة البحوث والدراسات !

ولقد ترتب على النقص الشديد فى اعضاء هيئات التدريس وما يستتبع ذلك من ضيق وقتهم وإزدحامهم بالمحاضرات والانتدابات والاعارات .. ترتب على ذلك قلة مايوضع من كتب ومؤلفات وندرة البحوث والدراسات .

ولكن هذا النقص لا يجب أن يجعلنا ننسى بعض ما قدمه رواد الدراسات الاعلامية العربية من مؤلفات قيمة وخاصة ماقدمه الرعيل الأول ، والثانى من أساتذة الاعلام .. حيث يبرز من الرعيل الأول مؤلفات الأستاذ الدكتور ابراهيم عبده فى تاريخ الصحافة العربية ، والدكتور عبد اللطيف حمزة فى فن التحرير الصحفى .. ومن الرعيل الثانى تبرز مؤلفات الدكتور خليل صابات فى تاريخ الصحافة والطباعة العربية وفى تاريخ وسائل الاتصال ، والدكتور أحمد حسين الصاوى فى فن الاخراج الصحفى ، والدكتور ابراهيم امام فى فن العلاقات العامة والفنون الصحفية ، والدكتور حسنين عبد القادر فى وسائل الاعلام ، والدكتور مختار التهامى فى الرأى العام والاعلام الدولى ، والدكتور نجيب أبو الليل فى تاريخ الصحافة .



ورغم القيمة التاريخية والعلمية لهذه المؤلفات إلا أن كثيرا منها غلب عليه الطابع المدرسى الذى ينقل المعارف الاعلامية الغربية الى الطالب العربى .. لذلك فقد ظل أكثرها أسير المفاهيم الغربية وخاصة المفاهيم الأوربية والأمريكية للأعلام . ولم يمتد جهد هؤلاء الأساتذة الى الواقع الاعلامى العربى لادراك خصوصياته واستنباط القوانين والنظريات الاسلامية الملائمة له .

تعدد المناهج !

ومن بين مظاهر أزمة الدراسات الاعلامية العربية تخلف مناهج هذه الدراسة وتعددها من جامعة الى أخرى .. وقد يرجع التخلف فى بعض المناهج لجهل أساتذة لكثير من التخصصات الاعلامية وإما لسيطرة نظرة معينة على تخطيط هذه المناهج . كذلك لا يوجد اتساق بين مناهج الدراسات الاعلامية فى الجامعات العربية ككل . فهناك جامعات تقتصر على دراسة الصحافة فقط ، وهناك جامعات أخرى تضع مناهج تضم دراسة العلاقات العامة والاعلان والاذاعة والتليفزيون بجانب دراسة الصحافة .

كذلك فالعديد من المعاهد الاعلامية العربية تفتقد وجود نظرية واضحة للدراسات الاعلامية وإذا وجدت هذه النظرية فغالبا ما يشوب تطبيقها قصور شديد ..

مظاهر أخرى للأزمة

ولأزمة الدراسات الاعلامية العربية مظاهر أخرى قد لاتقل فى أهميتها عن المظاهر الثلاث السابقة .. فى مقدمتها عدم الاهتمام باللغات الأجنبية .. بل أن نسبة كبيرة من طلبة الاعلام العرب يعانون ضعفا شديدا فى اللغة العربية ذاتها .. !! وهناك أيضا قلة الاهتمام بالتدريب العملى للطلاب وقد يعود ذلك الى عدم توفر المعامل والأجهزة العلمية فى كثير من المعاهد الاعلامية العربية .. إذ لا يتصور إمكانية تقديم تدريب عملى « معقول » لطالب الاعلام دون أن يكون بالمعهد معمل للتصوير ، ومعمل صحفى ، واستوديو إذاعى ، واستديو تليفزيونى ! فاذا لم تتوفر هذه الأجهزة بالمعاهد الاعلامية فلا مفر إذن من تدريب الطلاب فى أجهزة الاعلام فى البلد الذى يقوم فيه المعهد كالصحف والاذاعة والتليفزيون ومن الضرورى أن نعترف أن التجربة العملية للتدريب فى هذه الأجهزة قد أكدت عدم جدواها تماما .. حيث لا يأخذ التدريب بالجدية الكاملة لا من المسئولين فى تلك الأجهزة ولا من جانب الطلاب أنفسهم .. فالعملية لا تزيد عن مجرد زيارات للتعارف .. لا أكثر .. ولا أقل !

للأزمة .. حل

إن هذه الأزمة ليست مستعصية على الحل وإن كان من الضرورى أن نميز بين حلول عاجلة .. وأخرى آجلة .

الحل العاجل هو الا تفكر أية جامعة عربية فى إنشاء دراسة إعلامية إلا بعد أن تستكمل لها المقومات اللازمة .. أى العدد الكافى من أعضاء هيئة التدريس والمعامل والأجهزة والمكتبة المناسبة .

ومن الحلول العاجلة أيضا إنشاء دورية إعلامية متخصصة . وأن تقوم المعاهد الاعلامية بدور فعال فى تشجيع أعضاء هيئات التدريس على التأليف فى مجالات الاعلام المختلفة سواء بطبع هذه المؤلفات فى مطابع الجامعات أو عن طريق المؤسسات الرسمية فى الدولة أو عن طريق الدعم المادى للأساتذة مقابل ما يضعونه من مؤلفات وأبحاث .

وأما الحلول التى يمكن أن تتم على المدى البعيد فهو ضرورة الاهتمام بتكوين الكادر العلمى الكافى من أعضاء هيئات التدريس والطريقة الوحيدة الفعالة هى تعيين أكبر عدد من المعيدين وتوفير الظروف الكافية لاستكمال دراساتهم العلمية للحصول على الماجستير والدكتوراه سواء بالتفرغ للدراسة بالداخل أو ارسالهم فى بعثات الى الخارج .

د. فاروق ابوزيد



وجه دولة على طريق العصر

انطلاق الإنسان القطرى لبناء المجتمع الصناعى واستثمار موارد الأرض الطيبة

الأهداف الكبيرة والأحلام التى لاتعرف المستحيل من اجل بناء الدولة العصرية

تسع سنوات مضت منذ ان اعلنت دولة قطر استقلالها التام وسيادتها الكاملة على اراضيها ، ومضت تشق طريقها فى قوة وعزم لتحتل مكانها المرموق كمنارة للتقدم والعمران ..

وبعد هذه السنوات الغالية فى تاريخ الامة ، اصبحنا نرى النهضة الشاملة فى كافة ميادين السياسة والاقتصاد والصناعة والثقافة وغير ذلك من المجالات الحيوية الاخرى ، التى جعلت العالم كله ينظر الى إنجازات الدولة بمزيد من التقدير والاهتمام .

ولقد انطلقت الدولة ـ عقب الاستقلال ـ بقيادة أميرها المفدى وباعث نهضتها سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، لتحقيق اهدافها الكبيرة واحلامها التى لاتعرف المستحيل من اجل بناء الدولة العصرية .. مؤمنة بضرورة إعداد الانسان القطرى وإعطائه كل فرص العلم والحياة والنجاح .. منطلقة من ذلك الطموح النبيل الذى يدفعها الى بناء المجتمع الصناعى واستثمار موارد ارضنا الطيبة على احسن وجه ، لتستمر حضارتنا عظيمة واصيلة ، ولتتوفر لنا كل اسباب المنعـة والقـوة ..

فعلى الصعيد الداخلى وجدنا التركيز على الطاقة البشرية ، ليرتفع على اكتافها كل مانحلم به من تطور وارتقاء ، منذ بدا إعداد هذا الجيل من الشباب على ركيزتين اساسيتين : التراث الأصيل بكل قيمه ومثله العليا ، ومعطيات العصر بكل ما فيها من رؤيا مستقبلية وانتصارات علمية عظيمة إلى ان بدانا نرى الكوادر القطرية الواعية المرتبطة بمجتمعها والتى تبذل العرق والجهد من اجل دعم المسيرة المباركة فى البلاد ..

ورأينا الى جوار اهتمام الدولة بالزراعة وتنمية الموارد المائيه والتجارة والرعايه الصحية والاجتماعية ، اهتمامها البالغ بتنويع مصادر الدخل ، واستخدام عائدات النفط وثروة الغاز الطبيعى فى بناء الصناعات الثقيلة والخفيفة ، وبناء المجتمع الصناعى القائم على التخطيط والعلم والدراسة ، لتظهر الى الوجود صناعات هامة فى مقدمتها الحديد والصلب والأسمنت والسماد والبتروكيماويات وتسييل الغاز وغير ذلك من الصناعات التى حققت ارقاما قياسية فى الانتاج واصبحت قاعدة لانطلاقنا نحو الموقع المتقدم الذى نرجوه لبلادنا بين دول العالم ..

وعلى الصعيد الخارجى ، استطاعت دولة قطر ان تحظى باهتمام العالم كله وتحتل مكانتها العالية بين الأمم ، لالتزامها بمبادىء الاسلام والعروبة ، ولحرصها المستمر على مصالح شعبها والمصالح الاقتصادية العالمية ، ولدعمها المستمر للارتباطات الاسلامية والعربية والخليجية ، وتوطيدها لعرى الصداقة مع جميع الدول والشعوب المحبة للسلام ، والتزامها بمبادىء الأمم المتحدة التى تدعو الى تدعيم حق الشعوب فى تقرير مصيرها وإنماء التعاون الدولى بينها لخير البشرية جمعاء ..

إن خطوات دولة قطر فى إنطلاقتها العظيمة بقيادة سمو امير البلاد المفدى خلال السنوات التسع المجيدة منذ ذكرى يوم الاستقلال ، إنما تؤكد على مسيرة الخير ، اهمية الانجازات التى تمت فى الداخل ، والدور البناء الذى تقوم به فى الخارج من اجل رفاهية وإزدهار الأسرة الدولية وتحقيق مصالحها المشتركـة .

« الدوحـة »



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع

٩

وجـــه دولـــة
علـى طـــريق العصـــر

المجتمـع الصناعـــي

.. ان طموحنا هو بناء المجتمع الصناعي في قطر حتى تحقق المصادر البديلة المدخل عن النفط .. وكذلك اننا نعتبر الأجيال المقبلة امانة في عنقنا ولن ندخر جهدا في سبيل تحقيق هذا الامر ، الا اننا نصر على أن يكون اقتصادنا ثابتا ، لتطوير بلادنا على أسس متينة ، ومن هذا المنطلق ، وضمن هذا الاطار ، نتحرك وثقتنا كبيرة بان الله سبحانه ، سيكتب لمساعينا النجاح في خدمة هذا البلد العربي ، وانني اعتبر أن كل ما تحقق ، ولو كبير ، هو انجاز مرحلة في دولة كدولة قطر ، لا تؤمن بنهاية الاصلاحات والانجازات .

من كلمـــات سمو أميـــر البـــلاد
المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني

مسيرة التصنيع وتخطى الأرقام القياسية

الدولة لا تالوا جهدا في البحث عن البدائل لدعم مسيرة التنمية بما يتناسب وتنويـع مصادر الدخل ، حتى لا يظل البترول مصدراً وحيداً للدخل في البـــلاد .

ويأتي التصنيع في مقدمة هذه البدائل .. كقاعدة صلبـــه تمكننا من المحافظة على ثرواتنا .. وركيزة اساسية لبناء مستقبل مشرق لابناء قطـــر باذن اللـــــه ..

ولبناء المجتمع الصناعي القائم على التخطيط والعلم والدراسة ، انشيء المركز الفني للتنمية الصناعية حتى يؤدي دوره في القيام بدراسة خطط التنمية الصناعية للدولة بما يتلاءم مع الموارد والاحتياجات ، هذا بخلاف مهامه الأخرى المتعلقة بالتخطيط لتوفير القوى العاملة للمشروعات ، وخطط التدريب ، وتوفير الخدمات والمرافق الاساسية المتعلقــة بالصناعــة ، ومتابعة التنسيق مع اجهـزة الدولة ..

وبعد دراسات وابحاث شاملة ، اصبح اليوم في دولة قطر عدة مشروعات صناعية هامة ، فقد انتهت الدولة من تنفيذ معظم خطة التصنيع الثقيل ، وهي تنتقل اليوم لوضع خطة انشاء الصناعات الخفيفة والمتوسطة وتطوير الصناعة الثقيلة ..

فمن بين الصناعات التي حققت ارقاما قياسية في الانتاج ، مصنع الحديد والصلب الذي وصل انتاجه الى ٤٠٠ الف طن سنويا ، مما حدى بالمسئولين الى التفكير في توسعة المشروع ومضاعفة الانتاج . وفي مجمع الأسمدة الكيماوية تم تخطى الأرقام القياسية للانتاج حيث وصل في نهاية عام ١٩٧٩ الى ٣٧١ الف طن من الامونيا و٤٩٧ الف طن من اليوريا .. وفي مصنع الاسمنت وصل الانتاج الى ٣٠٠ الف طن وبعد إضافة فرن جديد سيرتفع الانتاج الى ٦٠٠ الف طن .











٩

إعداد القدرات العاليـــة

ان التنمية الشاملة التى تنشدها لمجتمعنا العربى الاسلامى تتطلب ، فى عصرنا الذى تقوم حضارته على العلم ، الاخذ باسبابه فى كل الميادين وفى سائر جوانب الحياة . ولا ريب ان هذا المطلب يضع مسؤولية كبيرة على عاتق التعليم الجامعى فى بلادنا جميعا لانه المنوط فيها بتكوين الكفاءات العلمية اللازمة للمعاونة على تحقيق تلك التنمية . ويزيد فى اهمية تلك المسؤولية انه اصبح من الضرورات الحتمية أن نضع حدا لقصر اعتمادنا ، فى نقل العلم والتكنولوجيا الحديثة الينا ، على العقول الاجنبية . وان الاوان لبذل قصارى جهدنا للعمل على اعداد قدرات عالية من بين ابناء مجتمعنا العربى الاسلامى للمشاركة ، فى تنمية هذا المجتمع على نحو يؤمن له افضل صور الحياة العصرية المتطورة ، وفق مبادىء ديننا الحنيف الذى نستمسك كل الاستمساك باهداب تعاليمه السامية ونعتز كل الاعتزاز بقيمه الرفيعة ومثله العليا النبيلة .

من كلمات سمو أمير البلاد فى حفل تخريج الدفعة الرابعة من جامعة قطر

التنميـــة البشريـــة

إذا كانت الطاقة الاقتصادية ركيزة هامة لقوة الدولة ، فان الطاقة البشرية هى الدعامة الأساسية التى يرتفع على أكتافها كل ما نحلم به من تطور وارتقـــــاء ..

وقد احتفلت دولة قطر فى هذا العام بعيد العلم التاسع عشر الذى يمثل رمزا لتكريم العلم والمعرفة ، وبناء الركيزة البشرية الأساسية للتنمية ودفع عجلة التطوير فى البلاد ..

وبالطبع فان هذه السياسة الشمولية المتكاملة المتوازنة تحقق اهدافها بكل كفاية وقدرة وفعالية ، خاصة وان الدولة رصدت فى هذا العام اضخم ميزانية تربوية فى تاريخ البلاد ، إذ بلغت ٧٦٩ مليون و٤٢٤ الف ريال قطرى .

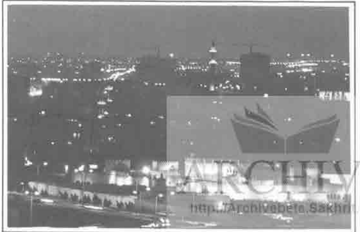
هذا وقد وصل عدد الطلاب فى مراحل التعليم الابتدائى والاعدادى والثانوى عام ٧٩/١٩٨٠ الى ٣٨ الف طالب وطالبة وعشرة طلاب ، بزيادة عن العام الماضى بلغت الفين و ٣٥٠ طالبا وطالبة ..

وقد استطاعت الجامعة القطرية خلال الأعوام الماضية ان تتشعب فى برامجها ، وتتشعب فى نوعيات خريجيها فى كلياتها الاربع : كلية التربية ، كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، كلية العلوم ، وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية .. وفى العام الدراسى القادم تبدا كلية الهندسة نشاطها العلمى بعد استكمال الاجراءات الخاصة بانشائها ..

إن جامعة قطر استوعبت هذا العام ١٢١٠ طالبا وطالبة .. بينما التحق بالجامعات العربية والاوربية والامريكية ١٢١٢ طالبا وطالبة .

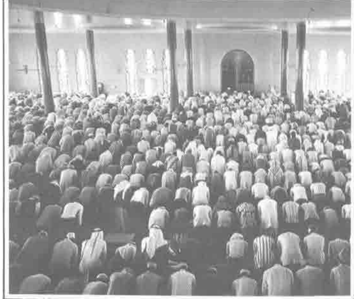












● الطاقة البشرية دعامة الحاضر وأمل المستقبل في مسيرة التقدم
● في العام الدراسي القادم تبدأ كلية الهندسة نشاطها العلمي



وجه دولة على طريق العصر

أسلوبنا فى التحديث

نحن هنا فى قطر لنا سياستنا المرسومة على أساس وجوب تحقيق نهضتنا الشاملة بالتدرج الهادف الواعى الذى تتطلبه طبيعة مجتمعنا وواقع ظروفنا وحقيقة حاجاتنا وقدراتنا .. ومع اقتناعنا بوجوب العناية كل العناية بالاستجابة لمتطلبات التحديث لمسايرة ضرورات عصرنا ، فاننا نؤمن فى ذات الوقت بوجوب ان يلتزم اسلوبنا فى التحديث بمقتضيات الولاء لقيمنا التراثية الاسلامية السامية والتمسك بمثلنا العربية التقليدية الرفيعة حفاظا على اصالتنا الدينية وصونا لمميزات شخصيتنا القومية» ..

من حديث لسمو أمير البلاد المفدى
إلى صحيفة «لوموند» الفرنسية

نحو مستقبل أفضل

إذا كانت الصناعة والتجارة هى الهدف الأسمى فى التنمية ، فان الزراعة والامال المبنية على تطويرها جعلت الدولة توجه اهتماما كبيرا لزيادة الرقعة الزراعية ، خاصة وان مايزرع فى البلاد وصل الى حوالى سبعة الاف هكتار ، بينما الارض الصالحة للزراعة تصل الى ٢٨ الف هكتار ..

ولهذا فان كل الجهود موجهة الى اقامة مزارع التجارب لدراسة وتحسين الانتاج الزراعى ، وزيادة مصادر المياه العذبة ، ومد شبكات الرى

ومن اجل حياة افضل للمواطن القطرى ، فان الخدمات الاجتماعيةتلعب دورها البارز لتحقيق كافة الضمانات للمواطن .. فالرعاية الاجتماعية ، وتحسين مستوى المعيشة ، وتوفير الامن للمواطن كل تلك الأهداف وغيرها ، تتحقق اليوم فى المجتمع بصورة واضحة ..

وتعمل الدولة على توفير الرعاية الصحية لكل مواطن ولكل مقيم فى البلاد بالمجان ،

ويقوم الاعلام القطرى بدوره البارز فى مواكبة النهضة الشاملة ، منطلقا من القيم والمبادىء الاسلامية ، وبوحى من الرسالة الحضارية التى توجه التطلعات المستقبلية فى البلاد ..

وقد واكب النهضة الاقتصادية والاجتماعية حركة عمرانية شملت كل البلاد ..

واصبحت مدينة الدوحة كعاصمة ملتقى لكبار رجال الاعمال والاقتصاد والزوار ، واصبحت تعقد فيها اهم المؤتمرات والندوات

وهكذا نرى ان دولة قطر وهى تحتفل بعيد استقلالها التاسع ، انما تحتفل بانجازاتها الكبيرة فى كافة المجالات















استراتيجية الإعلام القطري
تسعى إلى تحقيق الحضور
الكامل على الساحات الدولية

يوسف أحمد

معارض الهواء الطلق في قطر؟

جانب من المعرض الأول للفنانين الثلاثة في مدينة الخور

صبابة الشاي : حسن الملا

طبيعة صامتة : يوسف أحمد



الوضوء : محمد علي

- لماذا ننسى أن المجتمع القديم مارس الفنون التشكيلية بكل أنواعها؟
- المناقشات التي دارت بيننا وبين أهالي مدينة الخور حول السفن القديمة

اى حركة تشكيلية حديثة فى اى بقعة من ارجاء اى مجتمع حديث التكوين مثل المجتمع القطرى ، تلاقى دائما صعوبات فى التغلغل داخل هذا المجتمع للتعبير عن معاناته اليومية واستيعاب المجتمع نفسه لهذه المعاناة .. خاصة وان المجتمع القطرى اليوم وهو يمضى فى حركته نحو الامام فى حاجة الى تنمية للمشاعر والاحاسيس التى يعززها الفنان القطرى سواء فى مجال الفنون التشكيلية او فنون الموسيقى او الشعر او غير ذلك من الفنون التى تعتبر غذاء هاما للنفس والروح .

وقد نجد بعض ابناء هذا المجتمع فى خضم ما يتوفر لهم من وسائل وما لديهم من امكانيات مادية ، ينسون ان المجتمع القديم قد مارس الفنون باشكالها وانواعها بما فيها الفنون التشكيلية ، فمن منا لم يعرف ان اجداده مارسوا الحفر على الابواب والخشب ، وزينوا جدران بيوتهم بالزخارف الاسلامية والخطوط العربية ، وصمموا سفن السفر والغوص بحثا عن اللؤلؤ ، وتفننوا فى الازياء الشعبية وادوات الزينة والحلى ، الامر الذى يجعلنا مطالبين بان تكون هذه الفنون خلفية طبيعية للتلقى والاستجابة لما يقوم به الفنانون التشكيليون المعاصرون فى قطر .

فالواضح ان حركة المعارض الفنية فى قطر كانت تسير على روتين ورثناه مع غيرنا من البلاد العربية ، واعتبرنا نموذجه هو النموذج الامثل .. وكان ذلك الروتين يقتضى حصر المعرض فى قاعة مغلقة ، وقد يكون بعد القاعة او موقعها عاملا من عوامل الفصل بين اللوحات المعلقة وبين الجمهور القطرى ..

ولذا كان لابد من تقريب المسافة .. واحداث حركة تقرب المجتمع من رؤيا الفنان .. ومن هنا بدات تظهر الى الوجود معارض الهواء الطلق ..

فقد اجتمعت مع اثنين من زملائى الفنانين وهما محمد على وحسن الملا ..



حسن الملا — يوسف أحمد



محمد على

وقررنا ان نصل الى الجمهور بدلا من انتظارنا وصول الجمهور الينا .. وهكذا ولدت فكرة الاصدقاء الثلاثة فى عام ١٩٧٧ القائمة على اساس عمل معرض فى الهواء الطلق على ان يتم تحديد اكثر الشوارع اهمية واكثر المناطق التى يتواجد فيها الناس باعداد كبيرة والمناطق الأثرية الهامة مثل سور متحف قطر ، لتصبح تلك المناطق والشوارع معرضا مفتوحا لكل افراد المجتمع ..

ولم نكتف بمدينة الدوحة وحدها ، بل جعلنا التجربة تتجاوز العاصمة وتذهب الى مدن الخور والوكرة ودخان ..

ووضعنا نصب اعيننا فى تلك التجربة محاولة تقريب الفن التشكيلى بمفهومه العميق الى الفرد البسيط ، فركزنا فى موضوعاتنا على الانسان القطرى وظروف حياته ومعيشته اليومية فى قالب فنى متطور .. وزرنا المدن القطرية وعشنا فيها نستلهم اعمالنا حتى تكون مرآة للمجتمع الذى سنقدم له فنوننا ..

ووجدنا التجربة تحقق نجاحا فى مناطق كثيرة ، حتى ان الأصدقاء الثلاثة عندما عرضوا اعمالهم فى مدينة الخور ، جاء اهل المدينة وخاصة كبار السن منهم ودارت مناقشات حول السفن التى راوها فى اللوحات والتى استقوها من ميناء الخور القديم ، واستطاع بعض هؤلاء الاهالى التعرف على سفنهم من خلال اللوحات التى قدمت فى المعرض المتنقل

ولم يغفل الاصدقاء الثلاثة وضع خطة لتشجيع الجمهور القطرى على امتلاك اللوحات وتعليقها فى داخل المنزل ، فقد كانت الاسعار رمزية بحيث يستطيع اى هاو اقتناء اللوحة والاحتفاظ بها !

وبعد نجاح تجربة الاصدقاء الثلاثة فى عام ١٩٧٧ اقيم معرضان آخران فى الهواء الطلق ، احدهما فى عام ١٩٧٨ والثانى عام ١٩٨٠ .. اما لماذا لم نر معرضا فى عام ١٩٧٩ ؟ فان السبب يرجع الى سفرى لدراسة الفنون فى الولايات المتحدة الامريكية وسفر زميلى الفنان محمد على لدراسة الفن بالمملكة المتحدة ..

وفى هذا العام وصلنا فى اجازتنا الصيفية ، والتقينا نحن الاصدقاء الثلاثة لنتفق على إقامة معرض فى الهواء الطلق خلال شهر رمضان المبارك ، واقمنا المعرض بعد تجنب الاخطاء السابقة والذهاب الى القطاعات الرياضية للاستفادة من الجمهور الرياضى ..

والحق اننا بعد اقامة معارضنا الثلاثة فى الهواء الطلق ، اكتشفنا ان الجمهور القطرى لديه رغبة واستعداد للاستمتاع بالفن التشكيلى ، وان الشباب القطرى بالذات يؤمن باهمية اللوحة فى المكتب او المنزل ، ويأتى ايمانه هذا من خلال مشاهداته فى الدول الأوربية والامريكية وغيرها ، فقد وجد اثناء رحلاته كيف ان اللوحة الفنية تدخل فى الحياة اليومية للانسان هناك ولذا فاننا نتمنى ان نرى اليوم الذى تزين فيه مكاتب موظفى الدولة بلوحات الفنانين فى قطر ..

يوسف احمد



عايدة الشريف

من مذكرات شاهدة ربع قرن

سياحة في وجدان انسان

- يختلف عن الكتاب السياسيين في أنه لا يكتب شيئا ويضمر شيئا آخر
- شخصيته لها صفات الضمير .. لا تظهر على السطح وإنما تختفي في الأعماق
- أقوال وأفعال تنم عن الشخصية الدرامية التي يملكها بين جنبيه

عرف الأستاذ توفيق الحكيم كثيرا من الأسباب الخفية التى كانت وراء فشل زيارة سارتر الى القاهرة ، ولكن هذه المعرفة تمت بأثر رجعى واعتقد اننى اسهمت فيها كثيراً وتعرضت فيها الى مشادات ومجادلات طويلة المنى فيها كثيرا ، كانت نهايتها مبادرته اللطيفة بمصالحتى بعد ان تأكد من صحتها !!

كنا بعد لحظات التأكد هذه ـ مارس ٦٧ ـ نقرأ رسالة صحفية كان قد بعث بها من بلد أسيوى الى جريدة الجمهورية الكاتب محمد عودة . وجلسنا نحلل ما جاء بتلك الرسالة التى وصفها توفيق الحكيم بأنها تكشف عن شفافية الفنان المرهف . وهى التى تجعل محمد عودة ينفذ الى حقيقة الأحداث الجارية ويقدر فى اعجاز نتائجها ، وحدسه قلما يخيب .

وساد صمت بعد ذلك ، وفجأة وجدت الأستاذ الحكيم قد سرح خياله متفكرا كعادته ، ثم عاد يسألنى : هل تعرفين من كان باستطاعته إنجاح زيارة سارتر الى القاهرة ؟ استفهمت فى لهفة ؟ فأردف قائلا : إنه محمد عودة .. لقد كان باستطاعته وحده ـ لو انه فى القاهرة ـ أن يستل الرفقة السارترية من أيدى المشرفين وكانوا سيقبلون عن طواعيه ..ثم يحلق بهم الى افاق اكثر جدوى ، كان سيأخذهم مثلا الى بلدته حيث يرتدى سارتر الجلباب الريفى «والبلغة» الشهيرة فى قدميه ، ويجلسان معا تحت شجرة جميز ويتحاوران على طريقة عودة الاخاذة عما يعن لهما من موضوعات سيوجهها عودة بذكائه المعهود بحجته وظرفه الى مبتغى الزيارة !!

وافقت على هذه التصورات ـ رغم أنها جاءت بعد فوات الأوان ـ واعتبرتها مصالحة لى عبر صديقى محمد عودة ، ذلك ان سارتر بالفعل بمثل ما احب المصريين وجموعهم وحشودهم ، كانت تحدوه دائما رغبة عارمة فى ان يترك فى ربوع مصر بتلقائية الاحساس المباشر والمعرفة المباغته كى يلتقى بالمصريين مواجهة وبلا وسيط ، بدليل انه كان يضيق بشروح المترجمين اثناء زيارته للآثار .. لانه كان يحب ان يتامل وحده ويتلقى الاجابة على كل ما يريد ان يعرف فقط .. ومن ملامح شخصية محمد عودة بالفعل انه قد يصول ويجول لتوسيع دائرة الموضوع الذى يتحدث عنه ولكنه يبقيه دائما متجها فى تصويب محكم دقيق نحو الهدف الذى يرمى اليه .

تلك لمحة من ملامح شخصية الكاتب المعروف محمد عودة ومدخل اليه :

فمن هو هذا الكاتب الذى كان غيابه فى اقصى الشرق سببا فى فشل زيارة سارتر لمصر فى تقدير توفيق الحكيم ؟ وما هى التركيبة الثقافية والنفسية لمحمد عودة ؟ وهل استمر رأى الحكيم من محمد عودة الى يومنا هذا ؟ ولماذا ؟ وأين الحقيقة ؟ وما هى أبرز الخطوط السياسية والاجتماعية فى انتاج هذا الكاتب ؟ وما هو رأى مثقفينا فيه ؟ وما هو الرأى المقابل للقيادات العربية فى هذه الشخصية ؟ وأخيرا رؤيتى الذاتية المتواضعة كشاهدة ربع قرن تلميذة وصديقة لهذا الكاتب الذى وهب حياته لقضايا امته من خلال الكلمة الشريفة والموقف الشجاع ؟

وفى الحقيقة ان محاولة الولوج الى فهم ابعاد شخصية محمد عودة تحتاج الى اكثر من طريق ومسلك ، إذ ان كل هذه المنافذ تلقى شعاعا على جزء من شخصيته العريضة المتعددة الجوانب والأبعاد ، الأمر الذى يفرض الطواف بها جميعا حتى نتمكن من تركيب جزئيات ومفردات شخصيته الكليه .

لا تناقض

على اننا إذا اردنا تصوير جانب من شخصية محمد عودة للقراء من خلال حكمه على توفيق الحكيم الذى طالما انتشى لكتاباته التى تعرض فيها بالثناء والاعجاب لفنه فستكون الصورة غائمة ، ذلك انه قد اختفت منها اشياء وتجلت اخرى .. حتى لقد أضحت شديدة التناقض ، *لدرجة انه ورد لجريدة الجمهورية التى كان عودة يومها (سنة ١٩٧٥) محررها السياسى ، خطاب مفتوح من قارىء ريفى يقول فيه : لقد



محمد عودة

قرات من زمن كتب الفه الكاتب محمد عودة قال فى طيقته أن الاستاذ توفيق الحكيم هو الفنان الذى عبرت كتاباته عن ضمير مصر وروحها الوثابة ، ثم قرات اخيرا كتاب «الوعى المفقود» لكاتب يسمى محمد عودة يرد فيها على كتاب عودة الوعى لتوفيق الحكيم كتب على غلافه : «ليس هذا الكتاب ردا على توفيق الحكيم ولكنه دفاع عن الشرف السياسى والثقافى لمصر» وشرح داخله بالنقد المر شخصية توفيق الحكيم ايديولوجيا وفنيا ، مفندا كل ما ذهب اليه من ، البرج العاجى ، الى التعادلية ، الى لقب عدو المراة ، الى انتسابه لدار اخبار اليوم ثم الأهرام من بعدها والتى كانت تمثل الموقف الرسمى الذى انصب عليه وعلى عصره هجوم توفيق الحكيم فى كتابه «عودة الوعى» .. ثم وصف الكاتب محمد عودة توفيق الحكيم بقوله «لم يكن هناك إبتذال للكاتب والكتابة عامة اشد رخصا من هذا .. لكن الرؤية الأعمق كان هذا توفيق الحكيم على حقيقته ومجردا من كل المسوح !» .

ويتساءل المواطن الريفى فى اخر رسالته : فهل محمد عودة صاحب الاقوال الإيجابية عن الحكيم هو محمد عودة كاتب الوعى المفقود» الذى هلهل الحكيم

وعندما رد محمد عودة على هذه الرسالة بعنف وسخط تعجبت !! لولا اننى فى اليوم التالى قابلت الكاتب الروائى ثروت اباظة الصديق الصدوق لتوفيق الحكيم .. وإستهلنى بقوله : ارايت كيف تمكنت من استفزاز محمد عودة ؟ فعرفت ان ثروت اباظة هو الذى ارسل الخطاب المفتوح .. وان عودة ادرك بفطنته ما وراءه ، فكان رده العنيف والساخط ولو أن ثروت اباظة قد وقع الرسالة باسمه لكان هذا افضل واجدى للحوار فليس محمد عودة من الذين يضيقون بالحوار .

واذكر اننى قلت يوما للاستاذ ثروت : على اى حال فانا ارى أن الكاتب عودة لم يتناقض مع نفسه ، بدليل استهلاله لكتابه «الوعى المفقود» بالقصة المشهورة للموسيقار الشاب الذى قال للمايسترو الكبير : بالنسبة لتوسكانينى الفنان فانني احنى راسى وبالنسبة لتوسكانينى الانسان .. وخلع حذاءه وانهال عليه» وانا ارى كذلك ان عودة الاول هو عودة الثانى والمحق ايضا .. فقال ثروت اباظة : لا اتوقع منك غير ذلك فانت من اصدقاء عودة .. قلت على الفور «وانا فعلا من اصدقائه واعتز بذلك» ومع ذلك فاننى ساحاول ان احمل القارى فى سياحة ارجو ان تكون موضوعية عبر شخصية هذا الكاتب الذى اعترف اننى كنت اكتب من منطلق الاعزاز له ..

كتب .. ومعارك !

وعندما نقترب من شخصية محمد عودة من خلال مؤلفاته التسع ، فسنجدها تنقسم الى قسمين .. إما كتب عن حركات وطنية اقامت عمد دولتها مثل كتابه عن «الصين الشعبية» الذى وافق الرئيس جمال عبد الناصر شخصيا على نشره كاملا بعد إعتراض الرقابة عليه عام ١٩٥٥ ، ثم كتاب ثورة ٢٣ يوليو ـ المصرية ـ ، او «رحلة فى قلب نهرو» .. وإما كتب ترد على افتراء راه يجثم فوق حقيقة يراها قد زيفت مثل «الوعى المفقود» والذى انبرى فيه بالرد على كتاب توفيق الحكيم «عودة الوعى» ، او «الباشا والثورة» وهو رد على مقالات كتبها فؤاد سراج الدين باشا ، سكرتير حزب الوفد السابق ، او كتاب «سبعة باشوات» الذى حلل فيه نماذج بشرية من الفئة التى إنهارت .

والسؤال بعد ذلك هل تكفى القراء مناقشة مؤلفات عودة للحكم عليه او التعرف على شخصيته ؟ اقول ان ذلك المسلك لا يكفى لا سيما والقسم الاخير من الكتب معارك يجب معرفة من خاضها

الناشىء الحائر

اما اذا ذهبنا الى تصويره من خلال ما كتبه مثقفو عصره عنه ، اذن لوجدنا ان خطوط المحافظين والتقدميين تتشابه في رسم جانب من شخصيته الاسرة ..ذلك ان هذه الأطراف البرجلية قد تمحورت عنده فى قضية واحدة هى الدفاع عن التراث .

العلامة المحقق محمود محمد شاكر إختاره شاهدا على كتابه «اباطيل واسمار» فى الجزء الأول والثانى حيث ضمن رده الباتر على مقالات الدكتور لويس عوض التى نشرها فى الاهرام تحت عنوان «على هامش الغفران شىء من التاريخ» حيث جاء رد محمود شاكر دفاعا عن امة برمتها هى امته العربية الاسلامية .

وقد رسم الاستاذ شاكر فى كتابه ملمحا من شباب محمد عودة فقال : «عرفته ، منذ كان ناشئا ، ثائرا شديد الحفاوة بالمعرفة ، مقبلا عليها ، على حيرة كانت تنتابه وتموج به ، وكان معذورا فى حيرته لأن زماننا ذاك ، كان ميتة من الاحياء ، من لا يجد فى نفسه شيئا من الحيرة التى تفضى الى نفض اليد من كل شىء . ولو بلغ ان يرفض الحياة بفراق الحياة ، لكان معذورا ايضا واجبته يومئذ ، ولكنه ضل عنى سنوات واضللته ، ولم اتبينه فى الناس الا بعد سنوات طوال ، ولم تنقص غيبته عنى شيئا مما كنت أجده له فى نفسى .. مع انه جاء وقد تغير امره ، وحمدت من امره شيئا وانكرت أشياء» .

حول مائدة المعرفة

اما الطرف الأخر من البرجل وهو



محمد عودة ويوسف الشريف فى لقاء مع الرئيس الصومالى سياد برى

د.لويس عوض فقد وصفه لى شفاها عندما سالته عنه قال : عرفت محمد عودة بعد عودتى من البعثة ، محملا بالافكار الجديدة مبهورا بالآراء الليبرالية .. فوجدت لدى الشاب محمد عودة زادا من هذه الافكار نابعا من روحه المتجددة الفياضة يتجاوز زادى منها ، فارتبطت به واحببته .. وكان يتوه منى كثيرا من تشعبات الحياة .. ولكن الشرارة الأولى التى تركها فى نفسى ظلت تتاجج .. فعودة صديق عندما يغيب ، صديق عندما يحضر لنجده انسان فى ضيق .. فقد حدث ان هاجمنى بعنف اثر صدور كتابى «المحاورات الجديدة» الا انه سبق ودافع فى مواجهة محمود شاكر عن مقالاتى «على هامش الغفران» .

ومن المعروف ان الدكتور لويس عوض كان قد صور محمد عودة دراميا فى كتابه «المحاورات الجديدة او دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية» وهو كتاب صدر اوائل عام ١٩٦٧ عقب معركة قامت بين الشيخ الغزالى والفنان صلاح جاهين ، حول وضع المرأة المعاصرة وهل هو مختلف عن سابقتها ، فاتخذه لويس عوض محورا لمناقشة التراث حيث تصور اجتماع نماذج بشرية شائعة لأدباء مصر وفنانيها حول مائدة المعرفة بعد أن صنع لكل منهم قناعا ..

اعطى لويس عوض محمد عودة قناع «المخلص الراسى» وشبهه بفالق الشعرة الذى يلمح الفروق الدقيقة بين المذاهب المختلفة . وبالتالى القادر المتمكن على تصويب اى حوار دائر . ثم يختفى ليظهر فى معركة جدلية اخرى فكرية او سياسية . بينما صور لويس عوض الأستاذ محمود محمد شاكر فى شخصية مجاهد بن الشماخ وجعله يهتف فخورا بانه سلفى لأن كل سلف صالح «ويقصد التراث».

ومرة اخرى نتساءل هل تصلح اراء الاصدقاء او الخصوم نبراسا لفهم ابعاد شخصية محمد عودة ؟ .

● ● ●

واذا حاولنا إستكشاف ملامح صورة محمد عودة من خلال فكره وكتاباته السياسية فاننا نراه يختلف عن المحللين والكتاب السياسيين ، انه لا يكتب شيئا ويضمر شيئا اخر ، ولا ينطوى على اسرار لا يبوح بها او يلمح عنها فى غموض وتوريه تستوجب الاستجلاء والبحث فى خباياها ، بل إن كتابات عودة تحمل فى مظهرها ما تحمله فى مخبرها .. فهو يحمل ضميرا لا تستطيع اعتى موجات المناصب والاغراءات اختراقه ، لذلك يعمل له رجال السياسة الف حساب لرايه فى كلماتهم ومواقفهم وتراجعاتهم وعلى البعد ايضا !

● ● ●

عودة اذن شخصية لها صفات الضمير ، فهى لا تظهر على السطح وانما تختفى فى الاعماق .

ولكن كيف يتاتى لى كشاهدة ربع قرن تصوير شخصية هذه بعض صفاتها ، لا سيما وانا لم اسع فى حياتى الا لمعرفة ثلاثة معالم فى عالمنا الفكرى .. الاستاذ نجيب محفوظ لاننى عندما قرات له بين مرحلة الدراسة الابتدائية والثانوية قصته الرائعة «زقاق المدق» اعتبرت نفسى مكتشفة ، لذلك سعيت الى ندوته الصباحية بكازينو الاوبرا ، لكى اتاكد ان إكتشافى ساع فى الارض على قدميه كبقية خلق الله ، والشخصية الثانية كانت الدكتور محمد مندور ، لأن اعجابى بكتاباته غير مسار حياتى من الرسم والتشكيل الى الكتابة والتفكير ، فاعتبرته مسئولا عن اية مشكلة تصادفنى فى دراساتى الادبية ، ثم العلامة الاستاذ محمود محمد شاكر ، لاننى عندما قراته رسمت له فى خيالى صورة عن عالم مغترب حاد التوهج وشغفت ان اطابق صورته فى خيالى على حياته المعيشية ، !

اما الاستاذ محمد عودة فقد وجدتنى صديقة له فجاة لا اعرف كيف ولا اين تعرفت عليه اول مرة ، كل ما استطيع قوله أن معرفتى كانت على عكس معرفتى بالشخصيات الثلاث التى سعيت اليها ، اى اننى عرفت شخصيته ثم تتبعت كتاباته بعد ذلك .. ولا اعرف بالضبط إن كانت هذه الصداقة قد عقدتها الصدفة الحسنة ، ام انها تمت وفقا لكلام علم النفس حول عقدة «عصاب القدر» تلك التى تحتم على الانسان التجاذب مع اشخاص بذواتهم يحبهم ويالف صحبتهم ، ويتنافر مع آخرين ليسوا على هواه اويسببون له المضايقات .. ولذلك فاننى ما صادقت الا قليلا هؤلاء الذين لم احبهم ولم تود بى الايام يوما لالفتهم .

واذا كانت معرفتى بكل من سعيت اليهم قد اكدت فى نفسى او اضافت شيئا او اشياء .. فان الشىء الذى




توفيق الحكيم

وصلني من محمد عودة هو الالتفات اليومي الى القضايا السياسية لا سيما في وطننا العربي .. والتعرف على بعض هذه القيادات عن قرب او بعد من خلاله ، سواء عن طريق حديثه او كتاباته او صحبته بجانب معرفتي بالاجانب المهتمين بالشئون العربية الذين يزورون القاهرة ويعتبرونه وجهتهم ..

لقد كان عودة بحق هو الشوكة الموسيقية الرنانة التي رنت في حياتي فايقظت حفلة السياسة بكل ماسيها ومباهجها .. ولا اعرف إن كان التزامي بالكتابة وعدم التزامي بالسياسة يرجع الى ظروفي الشخصية او بسبب المنبع ذاته .

كان حديثه لا يخيب ابدا وقد وقع الكثير مما كان يتنبأ به ولا اريد ان انكأ جرحا او جروحا بايراد بعض هذه التوقيعات المعيبة في الافكار والاوضاع والشخصيات ، كان شديد الحساسية وكان ينفذ الى ما وراء الحدث او الجنس .

علماني .. وغيبي

واذكر قبل عام ٦٧ انني تعرفت مع عودة الى الكاتب السياسي اليهودي المصري الاصل الفرنسي الجنسية إريك رولو .. وإستمعت لمحاوراتهم معا وكانت تدور حول إمكانية التعايش السلمي بين مصر واسرائيل .. عندما سألت عودة كيف سمحت باستمرار هذا الحوار بينكما قال : لابد ان تعرفي ان اريك هو اليهودي المصري الفرنسي الطيب ، الذي يحب العرب بمثل ما يحب اليهود بمثل ما يحب فرنسا.. وهو كما تلاحظين له ولاءات ثلاثة متناقضة في الواقع وهو مع ذلك يحلم بالتقاء هذه الولاءات عبر جسر حضاري ديجولي مثالي .. ويهيأ لاريك رولو خطوط ودعائم هذا الجسر ممتدة عبر ولاءاته ، انه يحلم والاحلام لا تناقش والأيام بيننا ؟!

وإذا صورت انا هذه الشخصية الفذة للكاتب الصحفي محمد عودة بالتمايز مع الكتاب الآخرين من جيله وتخصصه مستهدية بما تبدى من وصف الآخرين له رغم تناقضهم فاني اقول : ان هناك شخصيات تشدك اليها لاول وهلة ، ولكن سرعان ما يفتر ذلك الاحساس وينجاب عنك ، بعد ان تبدو لك ابعاد هيكله الانساني ، اما شخصية عودة فهي على العكس ، قد لا تخطفك هيئته او تستاثر بك .. ولكن سحر شخصيته يتبدى لك الهوينا ويسري الى نفسك ليستقر .. فلا تستطيع ان تنفصل عنه مهما بلغت مشقة البعاد .. لذلك فان السؤال عن محمد عودة هو اول ما يبادر به العائد من إجازته في الوسط الثقافي .. واول سؤال يوجه لمصري من الوسط الثقافي في الخارج ياتي دائما حول اخبار عودة .

تلك هي الحقيقة التي تجعلك بعد ذلك لا تتعجب من ان عددا من المهتمين بالشؤون العامة يعتبرون ان مصر بلد عودة اوهبتها الذي نذرته لمعترك السياسة : في الهند مثلا علقت صحيفة شنكس الذائعة الصيت على وصول عودة اليها في إحدى زياراته بعبارة : «واخيرا يصلنا عبق مصر ممثلا في الدكتور عودة» وهناك طرفة يرويها الكاتب المسافر محمود السعدني يقول : انه كان مع محمد عودة في مؤتمر بالأردن والح الاستاذ عبد الله الريماوي في استبقاء عودة الى ما بعد المؤتمر للحوار والمناقشة في موضوعات تهم البلدين ؛ فاعتذر عودة باعتزامه السفر في الغد ..! وفي هذا الغد حدث ان وقعت طائرة مصرية في حادث اليم .. فلما شاهد الأستاذ الريماوي السعدني ساله عودة مات ؟ فرد الريماوي بالنفي لانه لم يسافر على هذه الطائرة ، ومن بعدها يسال السعدني كلما غاب عودة عن مجلس : عودة مات ؟ وتكررت هذه القولة على شفاه كثيرة حتى صارت مثلا على ان بقاء عودة على ظهر الحياة .. رمز لكل شيء رائع يستحق ان يعيش .

شخصية درامية

اقوال واقوال تنم عن الشخصية الدرامية التي يملكها عودة بين جنبيه فاذا كان لكل سمة مميزة فان كل السمات المتناقضة بين الابيض والاسود هي ميزات عودة ، وتستطيع ان تقول عنه وانت مرتاح البال ..إنه إيجابي وفوضوي ، متواضع ومتكبر ، كريم وبخيل ، لاه وجاد ، علماني وغيبي ، مخلص وغير مخلص .

وبالطبع لا تدل هذه الأوصاف جميعا عن تناقض بل عن إنسجام وتكامل في شخصيته ذلك ان ايا منها عندما تتبدى في إطارها الزمني وظروفها الموضوعية امامك تصبح سمة مميزة له ومقنعة في وقتها .. لذلك يقولون : يا حظ من جاء عودة معه ، ويا ويل من جاء عودة ضده فاذا الحقت هذا المثل بمثل اخر قيل ايضا في عودة .. وهو ان كلماته اكثر انتشارا من جريدة الاهرام لعرفت سرا اخر من خفايا شخصيته فهو يتواجد في كل مكان وسط شلة من الأصدقاء .. متجددا ومتحمسا دائما واكثر متابعة للاحداث من جيله ومن اجيال الشباب .. وإذا كان البلبل خاصته التغريد .. والزهرة طبيعتها ان تفوح ..فان عودة ، قليل الكتابة الا إذا وجد ما يسعده او يستفزه

ديدنه الكلام والحوار ، تجده في مجلس الصداقة الحميمة ، ساخطا او حامدا وفقا للطقس الذي يعيشه والمناخ النفسي الذي يؤثر فيه ، وسقوط او شموخ فرسان الكلمة على طريق المناصب وعتبات الحكام ، وتجده في مجلس الادب اديبا وشاعرا وناقدا وموسيقيا ، وفي مجلس الانس مفاكها ومحدثا من اظرف ظرفاء زمانه .

ومحمد عودة عندما يتكلم وينقد تتماوج نبراته لتقد في كثير من الاحيان ودون قصد ، من يحكي عنهم .. قسماته

المعبرة تجسدها ، اصابعه الرشيقة تؤكدها ، وجهه الابيض المستطيل الباسم الغاضب القسمات ، وعيونه الجاحظة البراقة تتارجح الى الداخل والخارج وشمالا ويمينا فتعطيك صورة دقيقة عمن يصف .. فكانك تشاهد من يحكى عنه وعنهم مشاهدة العيان ، إعتذاراته واستدراكاته ومراجعاته لنفسه إذا شعر انه بالغ أو اماله الهوى لراى عام ،وإراد ته التى يحكمها فى الانصراف عن هذا الموضوع المثار ، يحدوه الخوف من ظلم الضمير ، ودرءا للتطرف فى النقد والاغتياب ، كل ذلك يؤكد ان إرادته الصادقة تفيض من كلماته ، وان العزيمة التى تضطرم فى وجدانه تؤكد ان ما يقوله هو الصدق ذاته ..

نعم هكذا عودة الذى عرفته يتكلم ويتالم ..يثور .. ويهدا .. يسخط ويرضى وسواء كان الموضوع كتابا او مقالا او حوارا او انفعالا .. فلم اشهد فى مسلك عودة ابدا ميلا للخروج عما يعتقد انه الوصول الى الحقيقة !

وقد تعودت وشقيقى يوسف الشريف على لقاء الأستاذ عودة بين جمع من المثقفين والكتاب فى منزلنا او منزل احدهم .. وهو على عادته مع اصدقائه يلح ان يصحبنا معه لزيارة اصدقائه من القيادات العربية ـ اللاجئين او الزائرين لمصر ـ نقضى صحوقمن النهار وجزءاً من الليل .. وهو متواضع دوما وهو يعرض لمعلوماته وثقافاته وخبراته .. فنعجب واظل امام هذا الجيشان الروحى واذنى مشدودة ساهمة سابحة فى كل هذه المعالم التى عاشها والعوالم التى إرتادها .. افكر فى الذهن الذى لا يكل واللسان الذى لا يفتر والتقليد الذى لا يضاهى حتى ان المخرج صلاح ابو سيف عرض عليه منذ زمن بعيد ان يقوم بدور كاتب فى احد افلامه ، ولكنه اخذ الامر على انه دعابة لا اكثر ..

ثم هناك زاوية القلق الذى لا يهدا فى شخصية عودة وقد قال عنه كامل الشناوى يوما :«عودة يذهب الى الجيزة عن طريق طنطا» .

اطول يوم فى التاريخ

وإذا كانت شخصية عودة الرحبة قد



كامل الشناوى

مكنته دائما من مصاحبة الأطراف حتى المتناقضةباعتبار ان الخلاف فى الراى لا يفسد للود قضية ، فان هذه الاطراف نفسها جسدت فى نفسى وترجمت فى الوقت ذاته معنى التعبير الادبى «اطول يوم فى التاريخ» الذى اطلقته على يوم معاناتى النفسية فى ٥ يونيو ـ حزيران ـ ١٩٦٧ !!

فى هذا اليوم كنت اباشر عملى كالمعتاد فى لجنة القراءة بمؤسسة السينما وكان بشارع عدلى .. وفجأة سمعت هدير اصوات الجماهير .. فنظرت برأسى من النافذة استطلع ما حدث ، فصافحت اذنى اولى بشائر النصر «ثلاث واربعون طائرة» ثم ثانى بشائر النصر ... «سنصلى فى تل أبيب» .

كان المواطنون يتجمعون حول اجهزة الراديو وصوت احمد سعيد يجلجل بهزيمة اسرائيل ونصر العرب ، تركت مكتبى ونزلت الى الشارع .. ولا اعرف كيف ولماذا لم يتسرب تهليلهم الى نفسى ، سرت الى شارع طلعت حرب .. وفى موازاة مقهى ريش ، لمحت الأستاذ محمد عودة ، منهاراً على احد مقاعدها وحيداً .. فذهبت إليه أستفسر عن حاله وحالنا فى الحرب ، سالنى اين وجهتى وقلت : ذاهبة الى جريدة الأهرام ـ كانت فى باب اللوق ـ لاعرف حقيقة الموقف .. اننى استمع الى هدير المواطنين ولا اهتز .. لا اعرف لماذا ؟ قال وصفرة شديدة تجتاح بياض وجهه وقد إحمرت عيونه وكانها مجهدة .. ولم ينم من ايام : «الحرب توقفت وإنتهت» كان الوقت بالتحديد الحادية عشر والنصف صباحا .. هلعت «كيف ؟» حارت الكلمات على لسانه



ثروت أباظة

وكانه فقد النطق :«انت تتذكرين حديثى يوما مع براماكوف وبلاييف .. قلت نعم : يوم قلت انت عنهم انهم الجناح المناصر للعرب بين كتاب الاتحاد السوفيتى ، قال نعم لانهم لعبوا دورا كبيرا فى تغيير الموقف السياسى والايدلوجى لبلدهم تجاه مصر .. وتجاهنا نحوهم ايضا كنا نرى اننا لا بد ان نحارب إسرائيل وننتهى من مشاكلنا معها .. وكانوا يقولون لا ، إنها مغامرة .. عليكم أن تديروا معركتكم مع اسرائيل سياسيا وبلا حرب ، وقد حدث ان تم بالفعل اتفاق بين مصر والاتحاد السوفيتى واخر بين إسرائيل وامريكا على الا يحدث هجوم من اى من الجانبين على الآخر ، وكانت هذه هى لعبة الدول الكبرى .

قلت له : «اتذكر هذا كله ولكن ماذا حدث اليوم ؟ قال : لقد سمعت مثلك هذا التهليل الجماعى واننا سوف ندخل تل ابيب فى المساء .. فاتصلت ببراماكوف تليفونيا لكى اتشفى فيه ومن اقواله السابقة .. فرد على ببرود واسى ، وعندما سالته عن معلوماته .. قال :«مر على بالبيت» .. فذهبت اليه على الفور .. وما ان دخلت منزله حتى وجدت جمعاً من المراسلين السوفييت قد انكفات وجوههم على ايديهم .. وكانهم فى ماتم ، وصحت فيهم بتشفى : «هل سمعتم ما حدث ؟ وقال اغلبهم بالانجليزية : ماساة كبرى !! وقبل ان يصل التعبير الى نفسى وجدت براماكوف ياخذنى بعيدا عنهم ويضع يده على كتفى بعطف الصديق وهو يعبر عن مرارة الاتحاد السوفيتى إزاء ما حدث : «عودة لقد وقفت الحرب .. انتهى سلاح الطيران المصرى» .

اتذكر الآن جيدا ان عودة قال لى هذا الكلام وقد شاب صوته رنة حزن عميق .. وسمعته يهذى بعبارات مبهمة وغير مترابطة ، لقد وقفت الحرب واتى عصر عرابى .. سيحاكم وينفى .. كثيرون .. وتحتل مصر .. خمس وسبعون سنة تمر وغير مسموح لمصر ان ترفع راسها .. من هو خنفس الجديد .. وهى صوته .. ثم إختفى عودة ..»

كنت قد وصلت الى جريدة الأهرام حيث وجدت اغلب الصحفيين قد تركوا اعمالهم ووقفوا يرقبون ماكينات التيكر وهى تدور بالاخبار .. وكان اول الاخبار «الكابوسيه» حول سقوط العريش .. وخرجت من الأهرام ولكن اين اذهب ؟! قدماى تسعيان بى الى الشارع الموازى لمجلس الامة حيث مقر مجلة «الكاتب» .. وهناك وجدت الأستاذ احمد عباس صالح والاستاذ عبد الجليل حسن واخرين يتناقشون حول صحة اخبار بشائر النصر ، ويأتى الكتاب تباعا وكانهم على اتفاق .. الكاتب والمخرج بهاء طاهر .. الدكتور عبد الغفار مكاوى ، وما ان دخل الأستاذ نبيل الهلالى المحامى ، حتى بادره عباس صالح بالسؤال : «الا تلاحظ اننا لم نسمع فى البيانات شيئا من اعمال سلاح الطيران المصرى ..؟ اين سلاح الطيران المصرى ؟»

جلس نبيل الهلالى مفكرا ثم قال : إننى مثلك اسأل عنه ولو ان هناك اخبارا مطمئنة تقول ان سلاح الطيران المصرى موجود فى يوغسلافيا .. وسيظهر فى الوقت المناسب .. تحير الجمع وانا اتخوف الادلاء بما قاله لى عودة منذ قليل حول هزيمتنا المبكرة .. وانفض الجمع فى حيرة .. ولكن الى اين اذهب .. الى المنزل .. إننى سانهار .. على بالسير .. ومشيت على قدمى الخائرتين الى حيث منزل الشاعر صلاح عبد الصبور فى شارع نوبار ..

صلاح ايضا لا يصدق ما يذاع .. قلت له اننى كنت فى الأهرام .. قال وانا ايضا وقدمت قبلك .. واشار لى الا افصح بشىء مما عرفته ، جلسنا وامامنا اربع علب من السجائر .. زوجته السيدة سميحة غالب تتعجب من الوجوم الذى حط على .. ولأول مرة فى حياتى اقبل على السجائر



د. لويس عوض

بشراهة ايضا .. اقف فى بلكونة الدور التاسع حيث شقة سميحة وصلاح فاجد أن راسى تغلى وتكاد ان تنفجر .. اكاد أهوى من عل ماذا اقول ؟! قالت لى سميحة زوجته مندهشة لحالى .. لماذا تفعلين فى نفسك كل هذا وليس لديك احد فى الجبهة .. انا لى اربعة إخوة فى الجبهة ، آه .. ما يهمنى الآن ليس إخوتى إن همى هو مصر .. إننى بما احمله فى صدرى من معلومات موجعة ومكبوتة غير مرغوب فى وجودى .. وكان على أن اذهب الى منزلى .. انهار .. اقول .. يحدث اى شىء

هناك وجدت إخوتى واخواتى فى حالة من الفرح .. كان الوقت مساءا والمذيعة سميرة الكيلانى تقرا النشرة .. وقالت فى نهاية إحدى البيانات العسكرية «ولم تعد إحدى طائراتنا» ووجدتنى اقول فجاة بصوت عال «إحدى ام كل» ويفزع إخوتى ويؤنبونى على إزعاجى لفرحهم : «كيف تقولين مثل هذا الكلام ؟ إن سميرة الكيلانى قد اذاعت الآن رقمين للتليفون يبلغ عن طريقهما المواطنون عن مثيرى الاشاعات .. قلت لهم : «فلتتصلوا وتبلغوا عنى .. فأى مكان سواء مادامت مصر محتلة !! فتصوروا اننى جننت أو ان فى بيتهم جاسوسة .

مرت ايام ثقال خلت فيها انه لن ينبت الزرع مرة اخرى فى مصر ولن تطلق الحناجر ضحكاتها .. ولن ينصب فرح على بيوتها وستنتهى عملية الزواج والانجاب .. اوقات ممضة. مرت على وانا لا اعرف لمن اقول والى من اسمع . فقد غاب عودة .. وفى يوم ٩ يونيو كنت

فى فندق دى روزس بشارع طلعت حرب ازور الأديبة السودانية خديجة صفوت وزوجها وأولادها .. وقدم عودة علينا مهمل الثياب زائغ النظر ولكن روحه وثابة والسخرية الحلوة على امر المواقف لا تفارق فمه .. لا اعرف لماذا كان الجو مكفهرا .. اشعر دائما ان الطقس يلقى ظلاله على المواقف الحساسة فى حياتى استمعنا معا الى الخطاب الحزين على شاشة التلفزيون .. إحتباس الدم فى الوجه مختلف عن يوم الانفصال .. لم نكمل جلستنا .. هبطنا الى الشارع تائهين .. وعودة رغم انه يكاد يبكى .. يقول لى : استمعى .. كان هناك أموات تتجمع وتتصاعد الى عنان السماء ومختلطة بالظلام تردد «يا ابو خالد انت القائد ... ولم تمض اكثر من ربع ساعة حتى سمعنا صدى صوت المدافع المضادة للطائرات .. ومع ذلك ظل عودة يردد نفس المقطع .. يا ابو خالد انت القائد .. وانصت السمع .. ولا اعرف كيف سمعته .. وفجاة شاهدت جموع الشعب تخرج من كل مكان كالنمل فى كل ربوع القاهرة . ومن الكفور والشقوق والنجوع ومن تلابيب الأرض .

ورغم سخطى على الموقف ككل إلا ان عودة بدد بتصرفاته العفوية الطفولية الكثير من اساى وحزنى .. كان يردد بفرح وأمل ... «نعم خسرنا المعركة .. ولكن لكى نصنع شكلا جديداً للظروف الجديدة .. سنوزع السلاح فى كل مكان ..مليشيات .. محطة إذاعة .. جريدة .. ولن نستسلم ابداً وسوف نبدأ مسيرتنا الطويلة من جديد ضد اسرائيل والامبريالية ».

لقد جعلتنى عودة بكلماته هذه اتخيل فيه احد الانسانيين القدامى او الجدد الذين قرات عنهم .. ولا يعرف اليأس طريقه الى إرادتهم وتصميمهم ،نعم لقد كان عودة دائما كما عرفته يخلق الأسس الأخلاقية التى ترضيه وتشبع روحه .. ينقب فى خياله وفى نفسه حتى يعثر فى مفردات التراث على شىء يبنى به جسرا من التوافق والانسجام يوصله الى المصير الذى يحبه لمصر. فدل رد فعل خياله على ان عودة بجانب انه انسان متفرد الشخصية والموهبة فانه

من مذكرات شاهدة ربع قرن



مع الرئيس اليمنى الراحل حسين الغاشمى

السياسى المناضل والمؤرخ الذى يرسم خطط المواجهة المطلوبة للموقف المطروح على بلده فى لمحة عين وبلا تراخى وبلا سفسطة .

فقير هندى أسطورى

واذا كان يحق لى الحكم على محمد عودة فاننى اقول بلا زيادة او نقصان انه الوطنى الحر .. والمثقف الملتزم بقضايا امته الذى يعرف واجبه ودوره بين الاجيال التى جاءت بعده فهو لم يبتعد عن مقهى ريش الذى يجمع بين شتات المثقفين يوما ، يناقشهم ويحاورهم ويسخر منهم ويسخرون منه ويحل قدر الطاقة كثيرا من مشاكلهم وينقد اعمالهم ويستمع الى نقدهم لاعماله .. ، لم ينغلق عن معرفة نمط من الناس او الايدلوجيات والتيارات الفكرية .. ورغم انه من اكابر كتابنا إلا انه لم يتكالب على منصب صحفى او رسمى فى الوقت الذى تبوا تلاميذه ارفع المناصب الصحفية ..

وعودة لم يقتن سيارة فى يوم من الايام .. ويوم عرض عليه قريب له شراء سيارته .. إشترط عليه تجربة مثل هذا اللون من الحياة اولا ، فانقطع له هذا القريب كسائق وكان استاذا فى الجامعة ، بعد هذا الاسبوع عادت عبقرية الافلاس لعودة .. فحالت دون مواصلة هذا اللون من الحياة وقال : إن هذه الحياة لا تناسبنى ولن اشتر العربة .. لاننى لا استطيع ان اسير وسط اجساد ابناء بلدى اشعر بهم وبنبضهم ومجاهدتهم للزحام ومشقة المواصلات .. وهذا يفسر لماذا لا يستطيع عودة البقاء خارج مصر طويلا رغم العديد من العروض المغرية التى قدمت اليه للعمل فى مشارق الارض ومغاربها .

سألته يوما عن الفترة التى عمل فيها مذيعا فى إذاعة الهند العربية بعد أن ترك المحاماة وكيف عاشها .. فقال لقد اجتزت هذه الفترة كمدمن الدخان عندما يقلع عنه .. كنت خرمان مصر ، واضاف «لم اكن استطيع البقاء فى الهند لولا اننى احببتها ، لانها بلد كمصر ذات حضارة عريقة وظروف متشابهة ..»

ومحمد عودة كما يعرفه اصدقاؤه لا يستقر طويلا فى مصر وهو على حد دعابتهم حائز على إقامة فيها ..لانه شديد المخاصمة مع واقعها القدرى وظروفها الصعبة ، سريع المصالحة إذا شعر بالحنين اليها وان لديه ما يعطيه لها من فكره وقلمه وتجاربه .

ومن ملامح الأصالة فى شخصية عودة .. انه مبادر للآخرين فى التهنئة بافراحهم .. ولوع بمواساتهم فى محنهم وازماتهم .

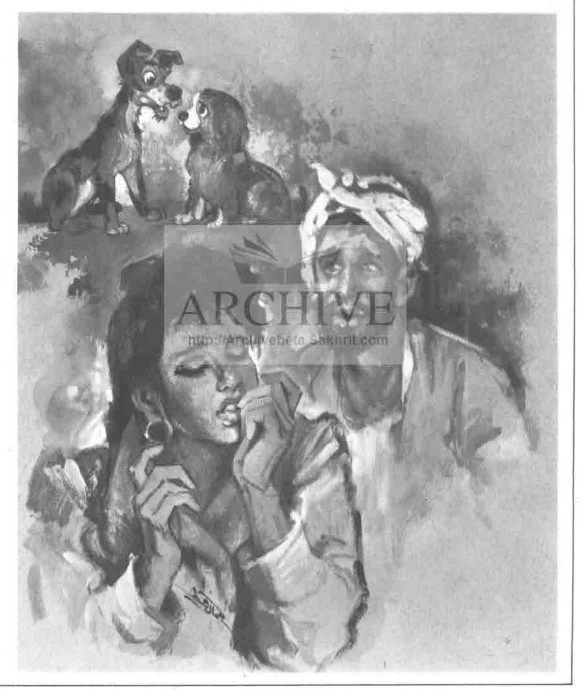
ولا شك ان القارىء بعد هذا كله يتساءل ومعه كل الحق اين يقع محمد عودة من كتاب الادب والسياسة .. ونقول إنك إذا أردت ان تضع عودة بين أولئك وهؤلاء فارجع الى كتبه .. فستجده صاحب ملكه ادبيه من طراز رفيع كما تجلى فى كتابه (سبعة بشوات) .. وانه يصيب من تفكيره بالتحليل السياسى المحلق الذى لا يفتقر الى البديهة والشعور والالهام ، كما تبدى فى كتابيه «الصين الشعبية» ، «رحلة فى قلب نهرو» حيث عقد مقارنة بينهما ..فارجع نجاح الاولى الى التحام الشعور الوطنى والايدلوجية الوافدة .. لان الكونفشيوسيه تعاليم خلقيه او دين بغير إله «على عكس الهنود» حيث إرتطم الوطنيون الهنود بالايدلوجيات اللادينية .. لان البوذية والهندوكية دين باله ..لذلك إصطدمت الاديان ذات الاله بالفلسفة المادية الجدلية ولم يتم الالتحام .. وبينما قضت الصين على الافيون والذباب والمجاعات وحققت الطعام لكل فم .. لم تستطع الهند إلى الآن ان تقضى على الفقر والجهل والمرض .. وعودة من اشد انصار نهرو وحزب المؤتمر وهو يعتقد فى كتابه رحلة فى قلب نهرو .. ان الهند فى ظل انديرا غاندى سوف تقدم مثلا يحتذى للديمقراطية والتنمية والاستقلال الاقتصادى والسياسى بين كل دول العالم الثالث وعندما ياتى ذكر الهند يضم عودة كفيه الى صدره كانه يحتضن محبوبته ..

فمن ينشد محمد عودة فلينشده فنانا يكتب السياسة او يجنح إلى الادب .. فهو جدير بالاصغاء اليه والاقبال عليه فى هذين المجالين .. ولا تثبت هاتان الصفتان لمحمد عودة بدعواه او دعواى ..بل الحكم العدل فى مثل ذلك هو الراى العام لكتبه وشهادة جيله .. وقد توقفنا على شبه تاكيد على مكانته عندهم .. وبالمئات من جزئيات خصاله نجده محبوبا فى وسط المحافظين مرحبا به فى اوساط التقدميين .. وقد ترى الاجيال القادمة فيه اكثر مما راى هذا الجيل .. فى نظرى فهو دائما فقير هندى اسطورى يرتدى لباس العصر .. زاهد فى كل زخرف وبهرج ، يخرج بين التراث والمستحدث ، يعلم الناس ، ويعطى المثل للآخرين .. حبا للحياة .. وايمانا بالمثل .. واخلاصا لكل ما يراه نظيفا وحقا !

عايدة الشريف

بقلم : يحيى الطاهر عبد الله

حكاية على لسان كلب



(١)

أيامى فى الريـــف

أنا ابن الصدفة العمياء

اسمى محظوظ ، ولاسمى حكاية تحكيها امى : « ولدت جروين وجروين وجروين .. وكنت انت احدهم . وقال صاحب الدار لأم اولاده : « اختارى ياأم اولادى من تلك الجراء جروا يحيا مع أولادنا» . اشارت زوجته إليك ـ وقالت : الذى نصفه ابيض ونصفه اسود . فقام صاحب الدار وحمل اخوتك ورماهم فى الخلاء البعيد ـ للجوع والبرد والريح والمطر والحيوان المفترس . وتقدم ابوك منك وشمك ولعقك ـ وقال : انت محظوظ . فقلت انا : مارايك لو تسميه محظوظ؟ . رد ابوك : موافق يأم محظوظ .

القاتل وانا فى بيت واحد

لما رايت صاحب الدار نبحت فى وجهه : انت رجل بلا قلب ، ونبحت فى وجه ابى ـ لما رايته يهز ذيله مرحبا بصاحب الدار : كيف ترحب بقاتل اخوتى؟! . رد ابى : لقد فعل الرجل ما فعله لانه كامل العقل ياصغير العقل . قلت : مادام العقلاء قتلة .. فلنبحث عن بيت صاحبه مجنون . وتنهدت امى : حتى المجنون لا يقبل قبيلة من الكلاب فى بيته . وقال ابى : هل يطعم الفقير قبيلة من الكلاب؟! .. هه؟! الرجل غير قادر وعنده قبيلة من الاولاد . وتنهدت امى : نعم .. الفقر سبب كل بلاء .. الفقر هو القاتل ياولدى .

صاحب الدار وابى واللصوص

ـ يا دنيا .. امورك غريبة «واحوالك عجيبة» !!
ابى وصاحب الدار ـ كلاهما يبيت خارج الدار ابى يحرس الدار بالليل من اللص ـ والدار مبنية من صفيح وطين وقش !! . وصاحب الدار يحرس بقليل بستان الغنى من اللص ـ والغنى نائم !! . ابى ينبح كل الليل ـ بسبب ومن غير سبب ـ حتى يخاف اللص فلا يقترب من دار ليس فيها ما يسرق !! . وصاحب الدار يقضى الليل كله ويتمخط ويبصق ـ بسبب ومن غير سبب ـ وقد يطلق رصاصة فى الهواء ثم يزعق «من هناك؟» : هكذا يخاف اللص فلا يسرق البستان ! . وابى لا يملك الدار !! وصاحب الدار لا يملك البستان !! . اما اللصوص فيسهرون خارج الدور ـ لأنهم بلا دور ، وهم افقر من ابى ومن صاحب الدار .. ولذلك فهم يطمعون فى اشياء صاحب الدار القليلة ـ لولا ابى الصاحى اليقظ !! .. وهم طامعون فى بستان الغنى النائم ـ لولا حارس البستان الساهر والقابض بيديه على بندقية تخرج النار الحارقة من ماسورتها !! .

يوم لا أنساه

جاء ضيوف من اهل المدينة ـ لقضاء يوم فى الريف . وقفز الأولاد والبنات ـ من العربة المكشوفة التى تشبه الأوزة ـ وعانقوا وقبلوا اولاد صاحب البستان وبنات صاحب البستان .

ونطت من العربة كلبة بيضاء .. قليلة الحجم .. نظيفة .. يكسوها شعر غزير ، وكان اسمها «لولو» ، وكان برقبة لولو طوق من الجلد تدلت منه اجراس تدق وتنشر النور ، وكانت لولو رشيقة الخطوة .. مشيها على الارض يشبه الرقص .

اخاف ـ يابى ـ أن يطير عقلى من راسى

قلت : ليت امى فى مثل جمال لولو .

رد ابى : الطبيعة هى التى اهدت لولو شكلها الجميل .. يا جاهل .

صححت كلامى : ليت الطبيعة اهدت امى مثل جمال لولـــو .

رد ابى : لولو من عائلة اللولو .. ونحن من عائلة البلدى .. يا مغفل .

قلت : ولم ظلمت الطبيعة امى وانصفت لولو؟ .. الطبيعة غير عادلة يا ابى .

نبح ابى فى وجهى : لا تنبح فى وجه الطبيعة ام الكائنات ايها الغبى .

وتركنى ابى ـ مع امى ـ ونط فوق سور البستان

ياامى : اخاف ان يطير عقلى من راسى

قالت امى : مالكة السيارة هى صاحبة لولو وهى التى اهدت لولو الطوق وهى التى علمت لولو كل لغات الارض .

فقلت لامى : وهكذا ظلمنا صاحب الدار ـ لان الدنيا ظلمته .. يالها من دنيا ظالمة .

قالت امى : اقنع بنصيبك يا ولدى .. لا تعاند .. حيا بما تلحق بابيك .. فهناك وليمة اقامها صاحب القصر ببستان القصر ـ حتى يرى الضيوف وهم ياكلون الخضرة والماء والمنظر الحسن .

عقلى سيطير من راسى

من فوق سور البستان ـ نظرنا الى مكان الاكل. كانت لولو تاكل من دجاجة مشوية راقدة فى طبق .. وتلعق الخضار والمرق من طبقين .. وتشرب الماء ـ الذى رشوا عليه ماء الورد والسكر ـ من طبق ، وكان امام الضيوف وأهل القصر مائدة فوقها البط المحشو والحمام المشوى والدجاج المقلى واللحم المسلوق ، وكان الضيوف يرمون البقايا من شحم وجلد وعظم فى اطباق ، وكان الخادم الذى يلبس الطرطور يرمى مافى الاطباق على الارض ـ لتاكل كلاب صاحب البستان التى تشبه الذئاب ، وكان صاحب دارنا يقف كالناطور وبجواره خادم بيده دورق الماء الملون .

قلت لابى : اتينا لناكل .. وها نحن نتفرج .

كشر ابى : لست وحدك الذى يتفرج ياعـرة الكلاب .

قلت : هاهى كلاب ارمنت تاكل .

زام ابى : هم اهل المكان ونحن غرباء .. هل فهمت يابلدى يابن البلدى ؟

وقالت امى : الاكل كثير يا محظوظ .. بعدما تشبع كلاب ارمنت وتعاف الطعام ـ سناكل انا وانت وابوك حتى نشبع .. سيبقى الكثير ياولدى

هممت بفتح فمى ـ فزعق ابى : اخرس .. لاتفسد على متعة الشم فهى عندى كمتعة الاكل . ونظر لامى ـ وقال ساخرا : ابحثى عن ريشة وضعيها فوق راس ابنك فهو يظن انه الملك ..

قلت : لا يابى .. سابحث انا عن ريشة واضعها فوق راسى .

وقفزت من فوق السور ، وجريت الى الطعــام ، وامسكت بعظمة بها لحـم .

معركة غيرت مجرى حياتى

حاول الكلب الارمنت الصغير نزع العظمة منى ـ فضربته بالعظمة على راسه ضربة جعلته يصرخ ، وتقدمت امه مكشرة فكشرت انا ولوحت بالعظمة مهددا ـ فوقفت فى مكانها تزوم . وقفز الأب ناحيتى فتراجعت خطوتين وملت شبرين ـ فوقع على الأرض ، ولما قام وواجهنى بعينين تشتعل فيهما النار ـ فضربته على عينه بالعظمة هكذا لم يعد يبصرنى فطاشت كل ضرباته ـ اما انا فقد اشبعته ضربا بالعظمة .

المحاكمة

جاء ابى يجرى ، وكان غاضبا ، وعضنى فى اذنى امام الجميع ، ووصفنى بابشع الصفات . وهتف ولد من الضيوف : اتركوا الكلب الصغير يصارع الكلب الكبير .. اريد ان اتفرج . وصرخت بنت من الضيوف : لا .. لا .. لولو خائفة .. ابعدوا هذا الكلب الصغير المتوحش .

عند ذاك صوب حارس البستان بندقيته ناحيتى ـ فجريت واختفيت بين الاشجار .. وانا انبح واكيل له السباب : يا ناطور .. يا ناطور .. انت تتفرج وهم ياكلون .

الخطبة التى جعلتنى اهاجر

هاج ابى وماج ، وارتجل خطبة قال فيها كلاما له ثقل الاحجار ـ كان يتساقط فوق راسى وانا منكمش تحت الاشجار :

« سيداتى سادتى .. انا احييكم براس محنية .. وانا اعتذر لكم ايضا براس محنية .. فى يوم اغبر ولدت شريكة حياتى هذا الكلب الفاسد .. فى هذا اليوم بكت السماء فسقط المطر وكفت العصافير عن التغريد وجف فى حلوقها النشيد.. ومرت الايام وكبر الفاسد فقل ماء النهر وقل حجم القمر فى السماء .. واليوم أفسد الكلب الفاسد متعة الضيوف واهان كلاب الارمنت ، وافزع المحترمة لولو .. ومن اليوم سارى انا الكلب الصالح النور ظلاما والظلام نورا .. هكذا تختلط الامور بأسادة ـ حين يتطاول مخلوق من مرتبة سفلى على مخلوقات من طبقة عليا .. ومن اليوم ـ لاهو ابنى ولا انا ابوه .. ساطرده ليعيش عيشة الكلاب الضالة .. وسيعلم بعد فوات الأوان ـ لما تسقط على بدنه عصا الشحاذ ـ ان انتقام السماء عظيم .. وصدق الذى قال (لا تشترى العبد الا والعصا معه ـ إن العبيد لانجلس مناكيد) .. والسلام عليكم » صفق الضيوف وصفروا ، وهتف بعضهم بحياة ابى ، وهتف بعضهم بسقوطى .

الوداع

بحثت امى عنى ، ووجدتنى ، وقالت وهى تبكى : قلبى هدانى الى مكانك ياولدى قبل انفى ، وقالت : كبد امك يتمزق ياولدى .. وابوك تكلم بلسان الخوف ..

قلت : لا تحملى همك وهمى يا امى .. انا كرهت الحياة هنا .

فسالتنى : والى اين انت ذاهب ياولدى ؟

قلت : خلف العربة .. الى المدينة .. وراء لولو .. ساجرب حظى .

الرحيل من الريف

جريت خلف العربة ، وناديت لولو المتكمشة فى حضن صاحبتها : لا تخافى يالولو .. ولا تصدقى كلام ابى عنى .. انا كلب طيب ومعجب بك .. والطريق الطويل يحتاج لانيس .. انا ذاهب الى المدينة وانت من سكانها .. انا لا اعرف المدينة وانت تعرفينها .. ساعدينى يالولو .

اخيرا تكلمت لولو — فابتسمت انا ، ، وقالت لولو : لقد افزعتنى بتصرفك المتوحش .. لكنى لا امتنع عن مساعدة من يريد المساعدة . قلت : عشت يالولو .. ودامت لك النعمة التى تعيشين فيها .

فقالت : اشكرك والآن كف عن الكلام حتى لا تغضب صاحبتى منى .. وتعال بالغد مع الشمس الى الفيلا التى ستقف امامها العربة .. ستجدنى وحدى العب فى الحديقة .. باى باى ..

(٢)
ايامى فى المدينة

ليلة فى شوارع المدينة

ليل المدينة بنهارين .. كل نهار بشمسين ، والناس فى المدينة يجرون على ارض الشوارع كماء السيل .. ملابسهم غريبة — وكانهم فى مولد او عيد .

رايت العجب — واذا اتسكع فى اسواق المدينة :

الطير الملون المحبوس — يغنى داخل القفص ؟!، النور بكل لون ، الالوان تغمز وتتبادل الاماكن ، المخلوقات والاحذية والثياب وكرة الطفل — محبوسة داخل اقفاص من زجاج ، المراة المعلقة على الحائط تصرخ بغير صوت — وهى تغرق فى ماء البحر — ولا احد ينجدها !! . الحوانيت اغلقت ابوابها — فقل النور واختفى الناس ، لولا وجود العربات واصحاب العربات لنبحت انا فى وجه المدينة : يامدينة هجرك سكانك .

تمكن التعب من بدنى — فوقفت افكر فى حالى ، وافقت من افكارى على قرصة فى اذنى — فهرشت اذنى . وهمس صوت فى اذنى : لا تهرش من فضلك فانا نملة . نبحت بغضب : ابتعدى . همست : ابتعد انت ايها الكلب عن هذا المكان .. وابحث عن مكان امن يحميك من بندقية الصياد . قلت : انا غريب يانملة .. قادم من الريف .. لاصاحب لى هنا ولا بيت . همست النملة : مسكننا قريب .. تعال معى وقابل امى الحكيمة .. امى ستساعدك ياكلب — فهى تفهم اكثر منى لانها اكبر منى . قلت : انت خيرة يا نملة . فهمست فى اذنى : انا صابرة .. اسمى صابرة .. وساقدم لك خدمة مقابل خدمة . قلت : اطلبى يانملة . همست : سابقى هنا بجوار اذنك واتفرج على الدنيا .. لان ما تراه انت فى ساعات — بفضل خطواتك الواسعة — اراه انا فى شهر وعامين . قلت : اتفقنا موافق يا نملة .

التصقت بساق الشجرة — فزحفت النملة الحكيمة وحطت فوق اذنى وهمست : لو كان بيتى يسعك لقلت لك « اهلا بك فى بيتى »..

وانا لا انصحك بالبقاء فى المدينة — حتى لا تموت ميتة الكلاب على يد صائد الكلاب . قلت : لا اريد ان اغادر المدينة .. لى صاحبة تعيش بقصر وساقابلها فى الصباح .

همست النملة الحكيمة فى اذنى : انت كلب طموح .. ولكن لا تدخل المدينة بالنهار . فسالتها : وهل تبغى لولو هلاكى ؟ .. ردت النملة : لا تفهم كلامى بالمقلوب ولا تظلم لولو .. لولو تعيش فى قصر — ولا يعرف عيشة الشوارع الا من عاش فى الشوارع .. ولولو قد تمشى فى الشارع — فهل كل من يمشى فى الشارع يعرف عيشة الشارع ؟ . الشارع بحرين مالحين يامحظوظ انا احذرك من السير بالنهار فى شوارع المدينة لان صائد الكلاب يعمل بالنهار وينام بالليل وتلك خصلة محيرة من خصال اولاد ادم .

قلت انا بحزن وفرح معا : ضاع لقاء لولو .. والمدينة مباحة بالليل .. ولا اعرف المكان الذى اختفى فيه بالنهار .

ردت النملة الحكيمة : لا .. إذهب الآن الى قصر لولو واترك ابنتى هناك .. وستقول لها لولو ماتود ان تقوله لك .. وعندما يحل الليل إذهب مرة اخرى الى القصر لتعرف ماقالته لولو لصابرة وقد تقابل لولو .. واقضى نهارك بالأحياء الشعبية — فصائد الكلاب يعيش هناك ولكنه يعمل بالمدينة ككل سكان الاحياء الشعبية .



نهار بشوارع الأحياء الشعبية

الناس اكوام ، والقمامة اكوام ، والبيوت خالية من الرجال ، عامرة بالنسوة الجالسات امام الابواب يطبخن ويغسلن وياكلن ويرمين بالفضلات لنا نحن الكلاب — لكن الصبى المتشرد يطارد الكلب بالحجر وينزع العظمة من الكلب ، النهار — هنا — بشمس بلا عيون ، والحياة —هنا— عذاب مابعده عذاب .

ليلة اخرى بالمدينة

على باب فيلا لولو اسندت راسى — فحدثتنى النملة صابرة بحديث لولو ، قالت صابرة ان لولو تقدر موقفى وتقبل اعتذارى عن موعدى معها «ولولو تعتبرنى من ابناء جنسها الحيوانات — مع إنى من عائلة بلدى » « ولولو تعتذر الليلة عن لقائى لانها تنام مبكرة » « ولولو تسهر ايام الخميس — ولكن خارج البيت » « وهى فى كل مرة مع صاحبتها .. فى زيارة للاصدقاء او لمشاهدة مسرحية او سيرك » « ولولو تقول ان اللقاء فى السيرك ممكن .. وعسير فى بيوت الصاحبات ولا يجوز فى السينما ولا يليق فى المسرح » .

وقالت لي النملة : لولو سترى العاب السيرك يوم الخميس المقبل — وهذا من حسن حظك — .. ولولو تركت لك قطعة لحم وفطيرة فوق قاعدة من الحجر يقف عليها تمثال من النحاس لأسد راقد يبخ الماس من فمه .. نط السور يامحظوظ وخذ قطعة اللحم وخذنى معك — لقد نلت مرادك من هنا . قلت : تعالى ياصابرة .. إن ضاقت عليك اذنى حملتك فى عينى .

من اقوال النملة الحكيمة

حكيت للنملتين ماجرى لي فى الريف — من الألف الى الياء . فقالت النملة الحكيمة : « انا لا احب الأنسان ولا اكرهه .. واعجب من ظلم الأنسان لأخيه الأنسان . حياتك مع النمل ستعلمك الصبر .. نحن جموع النمل ننال بالصبر كل ما نريد .

فى السيرك مع لولو

درت حول مبنى السيرك دورتين من بعيد — حتى لا يعاملنى انسان معاملة الكلب الشريد ، عرفت مداخل السيرك ومخارجه — لاضمن السلامة إذا ماحدثت المتاعب ، سادخل فى اعقاب لولو — فيظن الواقف على باب السيرك انى كلب صاحبة القصر ، وساجلس بجوار لولو فى ادب ووقار — حتى لاتشك صاحبة لولو فى امرى وتحسبنى كلب الانسان الذى يجاورها . ضربت المروضة الفيل بالعصا وامرته ان ينام ورفع ارجله فى الهواء ، وصفقت لولو فصفقت انا ، ولما ضرب المروض الهواء بالسوط فرقع السوط وصفر الهواء وخاف الاسد فقعد على الارض وقلد الفلاحة وهى تعجن العجين ، وقامت لولو وقعدت فقمت انا وقعدت ، ومشى الدب بالدراجة على السلك الرفيع المعلق فى الهواء ، وقالت لولو ايها الدب .. سنلتقى كل يوم خميس من اول كل شهر ، وقلت انا : ليتنى اراك كل يوم يادب مرتين .

حديث القلب مع القلب

امامى شهر ثم التقى بلولو فى السيرك .. وبعد الشهر سنلتقى انا ولولو ـ ثم نفترق لنلتقى بعد شهر .. هكذا ستمر السنوات والسنوات يالولو ـ وانت بالقصر فى امان وانا بالشارع فى هوان .. الشهر زمان يالولو والشهر مسافة .. والمسافات تباعد بيننا والزمان يعاديني والسيرك احلى الامكنة يالولو.

اول هزيمة للزمان وهزيمة كاملة للمسافات

قالت لي النملة الحكيمة : لو عرفت الجماعة ماتريد لاقتربت المسافات البعيدة .. قل لى كل ماتريد ان تقوله للولو .. وسانقل انا كلامك لجارتى القريبة .. وجارتى ستنقل كلامى الى جارتها القريبة .. سيجرى كلامك من فم نملة إلى فم نملة حتى يصل الى إذن لولو .... وهكذا لا يتعرض النمل للتعب ولا تتعرض انت للمتاعب .

رسالة الى لولو

ساعمل بالسيرك يالولو .. لاتندهشى وخذى الحكمة من فم النمل .. بالصبر سانال كل ما اريد المروض فى السيرك مسلح بالمسدس والسوط ـ لانه يخاف من لسعة السوط وغدر المسدس .. اما انا فساعلم نفسى بنفسى ـ فلا تخافى يالولو .. لن احتاج الى من يجلدنى او يهددنى .. وانا الآن ابحث عن العاب جديدة تصلح للسيرك .. وحتى نلتقى ـ دمت لى يالولو .

القفص يتكسر

حذرتنى لولو : لن يكون موقفك اليوم افضل من موقفك يوم البستان قلت : حسبت حسابى يالولو ولن اضيع الفرصة .. الكل هنا يضحك على المهرج وعلى محاولاته الفاشلة فى تقليد الاخرين .. وانا ساشترك مع المهرج فى نمرته .. ان فشلت فسيضحك الكل على كما يضحكون على المهرج .. ولو نجحت فساخرج لسانى للزمان .

(٢)

وقفت على الارض بساقين ورميت ساقين فى الهواء .. ومشيت على الساقين الاماميتين مرة وعلى الساقين الخلفيتين مرة ووقفت على راسى .. وكما تتدحرج الكرة الحظ تدحرجت .. ودرت كما تدور الساقية .. وها انا فى الارض مرة وها انا فى الهواء مرة اتفادى ضربات المهرج الطائشة .

(٣)

قال صاحب السيرك ـ وعقد العمل بين يديه : من سيركى نال الشهرة .. وليس من العدل ان تعمل مع صاحب سيرك غيرى .. وسادفع له كل ماتريد من مال .



وقالت رشا صاحبة لولو : برافو ميزو ... وقالت لولو : برافو .. رائع ياميزو .. صوت واحد لم اسمعه .. صوت صابرة .. وقعت صابرة وانا اصنع مجدى .

أيام الهنا كل يوم بسنة

(١)

ـ صرنا نلتقى انا ولولو بالسيرك وبالفيلا ، وكان أهل الفيلا يرحبون بى ويفخرون بالرابطة التى تربطنى بلولو وبهم ، واليوم هش صاحب الفيلا فى وجهى وبش ـ وقال لضيوفه : ميدو فى سماء الفن نجم .. وارتباطه بالمجتمع الراقى طبيعى .. هذا حقه ، واشار الى الحائط «كنا داخل الاطار الذهبى نبتسم من وراء الزجاج ـ انا ولولو ورشا ابنته » ، وكانت الصورة الملونة معلقة فى المكان الذى يستقبل فيه اهل الفيلا ضيوفهم .

(٢)

اسمى ميزو اسكن فيلا ينام فى حديقتها الياسمين ، عندى عربة ليموزين وموتوسيكل اقوم بالعابى فى السيرك بقبعة ودراجة وعصا ، الطوق فى رقبتى والاجراس فى قدمى من الذهب الخالص ، الباعة ينادون على تماثيلى المصنوعة من الحجر والبلاستيك والشمع والسكر الملون فى القطارات والمقاهى وعربات الترولللي باس ، والدمى التى على شاكلتى محبوسة داخل فاترينات كل المحلات ، ولبن ميزو افضل هدية تقدمها الام لطفلها ، وكلما سرت فى شوارع المدينة ـ سد على المعجبون المنافذ وطلبوا بصمتى على صورتى ، ويشق لى حارسى المسلح الفجوة التى انفذ منها ـ فيرمينى عشاقى بالورد واصابع الحلوى واللوز المقشور .

(٣)

ارسلت الرسول الى الريف ـ فجاء ابى وامى واستقر مقامهما فى حجرة تليق بهما بدار الرفق بالحيوان ، وحاول ابى تفسير مواقفه القديمة منى ـ فقلت له : لاعليك ياابى .. عندما كنت تقسو على بلسانك ـ كنت انظر فى عينيك وارى نفسى محاطة بكل حب ، وتركتهما ـ لانى مرتبط باداء دورى فى فيلم «ميزو وعصابة المراة المقنعة»

ـ فـــور ـ

اشتريت نظارة لامى واسنان صناعية لابى ، وقلت لنفسى : لاباس من وجودهما بدار الرفق بالحيوان .. ولا مبرر للحزن فتلك دورة من دورات الزمان لاينالها الا المترف والمحظوظ .

ـ هبة الكلاب أبناء الكلاب ـ

تحت شمس الظهيرة ـ نصب العمال الصوان . دقوا اعمدة الخشب فى الارض ولفوها بالقماش المنقوش .. وعلقوا الرايات واللمبات الملونة .. وصفوا الكراسى واكاليل الورد .

وتحت النور ـ جلست ولولو على كرسيين كبيرين .. نبتسم للراقصة التى تدق الصاجات وتتلوى كسمكة فى الماء .. ونتقبل التهانى من اكرم واعرق عائلات اللولو والوولف والرومى واللوقى ، وفجاة سمعنا النباح العالى البغيض ودق الطبول ونفخ المزمار البلدى وافواه تغنى بصوت قبيح «الدنيا حظوظ .. واليوم يومك يامحظوظ» : انها وفود من الكلاب البلدى وكلاب ارمنت زحفت الى عاصمة البلاد فى مظاهرات صاخبة لتحضر فرحى .

بان الفزع فى وجه كل الحضور : صرخت إناث السلوقى واغمى على ذكور اللولو وتعالت صرخات عائلات الرومى تطلب من الحرس المسلح العون فى وقت الشدة .

نظرت الى حارسى وانا اهوهو غاضبا : يالهم من اغبياء .. لقد انقلب عرسى الى ماتم .. فاشار حارسى الى بقية الحراس ـ وصرخ : اطلقوا الرصاص .. دعوا الرصاص يلعلع .

ـ على النجوم مسايرة الموضة ـ

اشتريت سيارة رولز رويس صفراء ، ونزعت طوق الجلد وعلقت فى رقبتى سلسلة من الذهب تدلى منها تمثال لولو ربة الجمال وربة بيتى ، وعلى وسطى علقت الحزام المرصع بالخنافس المنحوتة من الحجر الكريم .

ـ الشهرة كثمرة الفاكهة: طعمها حلو وبذرها مر

وقتى وزع بين السيرك والسينما والتليفزيون والاذاعة والسهرات والمقابلات والاتفاقات ـ مع المنتجين والموزعين والمخرجين .. وعند الكوافير والمدلك ومقلم الاظافر ، لاارى امى وابى الا قليلا ـ ولكنى أرسل لهما الهدايا والتحيات مع سكرتيرتى ساتى وسائق عربتى فرج الله .

ـ الحرام والحلال ـ

طيبات الارض كثيرة امام عينى وفى متناول يدى ـ لكن اقل القليل منها مباح ، اطبائى فرضوا على النظام القاسى ـ حتى يحتفظ جسمى برشاقته ومرونته ، ومنعات لاأسمع فيها راى الأطباء : تدخين البايب والفرجة على لعب الورق المسماة «كن كان» .

الماضى يطاردنى (أ) ـ

ابنى من لولو ـ له وجهى الكبير وجسم امه الصغير شكله المضحك ابكانى واصابنى بارق جعلنى لاانام ـ الا اذا حضر الطبيب ورشق الابرة فى جسمى : ليجرى السائل الاصفر فى عروقى .

اسم ابنى «لوز» حرف اللام من لولو .. وحرف الواو من لولو وميزو .. وحرف «ز» من اسمى انا «ميزو» ابوه ، لكن الصغير الغبى ينطق اسمه هكذا «لوظ» .. كانه يريد ان يذكرنى باسمى القديم «محظوظ» .. ذلك الاسم الغليظ على السمع والقلب ..

الماضى يطاردنى (ب) ـ

بينما الكوافير يصفف شعرى ـ احسست بقرصة فى اذنى ، كتمت الالم ولم اهرش ، اجلت هذا الفعل الذى لايتفق مع الذوق الراقى ـ حتى اختلى بنفسى ، ولما اختليت بنفسى ـ سمعت الصوت يهمس فى اذنى : انا النملة الحكيمة الصابرة .. اتيت لأرى ابنتى يامحظوظ ، فنبحت فى غيظ : انا ميزو .. وصابرة هناك مع محظوظ ، وهرشت اذنى ـ وانا اعوى كذئب : والان الحقى بهما فى نار جهنم ايتها النملة الحكيمة .. وبلغى سلامى الى صابرة ومحظوظ .

الماضى يطاردنى (ج) ـ

لعقت الدورق الكبير الذى يطفح منه اللبن الدافىء ـ لتهدا اعصابى الثائرة ، ونظرت الى المرآة ـ وانا اكلم خيالى : قل لى ياخيالى .. خيال من انت .. خيال ميزو ام خيال محظوظ !؟ ، وقبل ان يرد دخل الطبيب ورشق الابرة فى بدنى فجرى السائل الأصفر فى عروقى وتراجع الماضى ، ولما اقبل النوم ـ والبسنى نظارة رايت بها كل شىء يحترق .. كل شىء .. والنار تقترب منى وانا لااتحرك ولاافعل شيئا ..

يحيى الطاهر عبد الله

شعر: عبد الله جابر

يلاقيك كل شبابي قبيل اللقا
ويهفو اليك فؤادي لو مزقا
وعيني تهيم بطيفك ان ارقا
ونفسي تذوب بحبك ان أشرقا
وفكري ببحر هواك غدا غارقا
وأنت كما أنت لا تنثني مشفقا

● ● ●

اهانت عليك شجوني وكل عذابي
اهان عليك سهادي وطول انتحابي
أيحيا لحبي بغيرك انت شبابي
وأغدو وحيدا بدنيا الهوى في اغترابي
وهبتك ما بي من الحب حتى التصابي
ولم تدر عن لوعتي في ليالي اكتئابي

● ● ●

احن اليك لأنك فجر حياتي
لأنك روحي وعمري ، لأنك ذاتي
لأجلك ابكي وتحرقني زفراتي
وينتابني الم منك في غفواتي
تركت فؤادي يرجوك بالخفقات
احلت هواي غدا ضاع في السنوات

أوراق بدون ترتيب






من أغنيات الضوء الأسود

ايها الشقيق الأبيض :
إنى ادعوك لتقف بجوارى أمام
الضوء
ثم انظر إلى ظلينا على الحائط
ستراهما أسودين

الأبيات فى راس المقال ـــ من قصيدة لشاعر زنجى لايحضرنى إسمه ـ تصحو الآن فى الذاكرة ، وانا اتصفح ديوان شعر جديد يلتقى بداخله تسعة عشر شاعراً من طليعة الشعراء الأمريكيين الزنوج . الديوان مطبوع باللغتين الألمانية والانجليزية ، إذ هو صادر عن إحدى دور النشر الألمانية فى ليبزج ، بقصد التعريف بروح المعاناة التى يحترق بها المواطن الأمريكى الزنجى ، وهو يواجه اعتى الظروف غير الانسانية فى وطنه امريكا ، بسبب سواد بشرته كما تعرف !!

والشعراء فى هذا الديوان ـباستثناء لانجستون هيوز ، وريتشارد رايت ـ يكادون ان يكونوا غير معروفين لجمهور القارئين باللغة العربية . ولعل المعروفين منهمليسوا معروفين بغير أسمائهم فقط . ربما لأن حركة الترجمة فى بلادنا يخفت صوتها يوماً بعد يوم . وربما لأن الكتاب ـ دونا عن سائر الضروريات والكماليات التى نستوردهاـ يتعرض الى نوع صارم من الاغفال والحجر لسبب من اسباب القصور فى العملة ، والتقصير فى الهدف ، حتى اوشك المثقف العربى ان تتعطل لديه ذاكرة الاحاطة بمختلف الثقافات المتوالدة فى عصرنا،مثلما يقوقعنا كذلك ما يلقاه الكتاب العربى على ايدينا من إهمال النقل باللغات الأجنبية الحية إلى غير القارئين باللغة العربية!!

حقا هناك جهود فردية تقوم بها بعض المؤسسات او الأشخاص . لكنها جهود لاتفى بغرض إنهاض الجسور الثقافية المتبادلة بين الكتاب العربى والكتاب الغربى فى شتى فروع الثقافة والمعرفة . لأنها جهود لايسندها الدعم المالى من قبل الحكومات والهيئات المعنية . وهى بالتالى جهود قاصرة او عاجزة او مهددة بالتوقف . ولعلى هنا اذكر ما يلقاه عاشق انجليزى لأدبنا العربى اسمه «دينيس جونسون ديفز» ، ترك مهنة المحاماة فى وطنه ، وجاء الى بلادنا قارئا ومتفحصاً وقائما باختيار اجود النماذج من الأدب العربى القديم والحديث ، واشدها نفاذاً الى عقل وقلب القارىء الأوروبى ، يترجمها او يكلف بترجمتها ، ويذلل لها فرص النشر فى «هاينمان» إحدى كبريات دور النشر فى لندن . اذكر هنا ما يلقاه الرجل من شظف الاهتمام او بالأصح عدم الاهتمام والالتفات إلى النتائج الهامة لتلك المهمة ، من جانب الجهات الاعلامية والثقافية المفترض أن تكون مسئولة عن تقديم وجهنا الفكرى إلى العالم . ولقد شكا لى الرجل ذات مرة من ان تلك الجهات ترفض ـ حتى ـ ان تشترى لمكتباتها بعض النسخ من تلك المطبوعات على سبيل الاحتفاظ بها ، ومساندة مهمته الصعبة فى ان واحد !

● ●

شجون الثقافة فى بلادنا كثيرة .. كثيرة ! لكنى لا اريد ان ابتعد عن شجون المأساة التى تضوى بهاقصائد الشعراء الزنوج فى هذا الديوان . انها احزان بسيطة وعميقة وهادرة . ولديها القدرة على السخرية ، والتحدى ، والأمل ، والاصرار ، والثقة فى غد افضل قادم لا محالة .

● امريكا فى اشعارهم

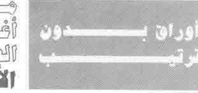
لانجستون هيوز هو امير شعراء الزنوج.

الهذا يستاثر بالصفحات الكثيرة من هذا الديوان ؟

ان «هيوز» ليس شاعراً فقط . إنه كاتب قصصى وروائى ومسرحى . وهو باحث فى احوال الزنوج ، وموسيقى الجاز ، وتجارة الرقيق ، وافريقيا ، والنضال من اجل الحرية . وهو كذلك دارس ومحقق لأشعار غيره من الزنوج . مثلما ترجم عن الفرنسية والاسبانية روايات ودراسات وقصائد . وله فى كل ذلك مجلدات على ان الشعر كان خطوته الأولى فى رحلة التعبير .

وعمره تسعة عشر عاماً .. كتب اولى قصائده تحت عنوان «زنجى يتحدث عن الأنهار» . وفيها يعبر عن عالم فسيح تحلق فيه روحه بجناحين قادرين على احتواء العالم . ولان الأنهار عميقة وقادرة على الخصب والنماء ، فان روحه كذلك عميقة كالانهار ، ولديها القدرة على العطاء .

كانت تلك القصيدة اولى شرارات إثبات الذات الزنجية فى اشعاره فاذا تخطى حدود الرومانتيكية التى يبدا بها الشعراء عادة ، وجدناه يخاطب الرجل الأبيض بصوت هادر وشديد اللهجة . إنه يعانى وضعه الاجتماعى فى قاع المجتمع ، لكنه يعى ابعاد قضيته .





المواقف الصعبة في حياة الزنوج الأمريكيين .. هي طابع حياتهم اليومية !

يقبض على الحقيقة،وهي ان امريكا وطن السود والبيض معا ، فلما يغنى لوطنه امريكا ، لايتردد في ان يفصح عن موقف الرجل الأبيض منه . يعلنه ساخرا وقويا وواثقا من صوته وغده :

انا ايضا اغنى امريكا
إننى الشقيق الاسود
يدفعون بى الى المطبخ كى اكل
حين ياتيهم صديق
لكنى اضحك
وآكل جيدا
وانمو قويا
غدا
سوف اجلس الى المائدة
حين ياتيهم صاحب
وعندئذ لن يجرؤ احد
ان يقول لى:
تناول طعامك في المطبخ
والى جانب هذا
سوف يرون كم انا جميل
وسوف يخجلون
فانا ايضا امريكا .

● الموت النبيل

الحلم والاصرار والثقة في استعادة أمريكا الام والوطن ، هى الأنشودة التى يتغنى بها الشعراء الزنوج . إنهم يدركون أن النضال والمقاومة هما الطريق الى تحقيق الحلم . وإذا كان الرجل الابيض يفرش الموت فى طريقهم صباح مساء ، بقصد إهانتهم وإذلالهم، والتخلص منهم وكسر شوكتهم ، فلماذا لايموتون فداء لقضيتهم ، وانتزاعا لحقوقهم فى الوطن والحياة .

يقول «كلود ماكاى» فى قصيدة تحمل عنوان البيت الأول فيها :

إذا لم يكن مفر من الموت
فلا ينبغى ان نموت كالخنازير
تصاد وتحبس فى حظائر قذرة
بينما الكلاب المسعورة الجائعة
من حولنا تعوى
ساخرة من جموعنا الملعونة
إذا لم يكن من الموت مفر
فلنمت ميتة نبيلة

ان الوحوش فى قصيدة «ماكاى» هم الرجال البيض فى وطنه أمريكا ، أولئك الذين ازروا به وبابناء جنسه ، منذ ان تاجروا به رقيقا ، وحرموه من ابسط الحقوق الانسانية ، وجعلوه معادلا للماشية فى حقولهم ومزارعهم ، وفى كل الاعمال الحقيرة . إنه يريد ان يرغمهم على ان يحترموا آدميته وإنسانيته ـحتى ـ وهو يلفظ انفاسه الأخيرة . وهو من اجل ذلك يستصرخ قومه وابناء جلدته كى يقاوموا عدوا مشتركا ، مهما يكن الموت فى انتظارهم :

ماذا بقى لنا قبل ان نتمدد
فى قبر بلا ابواب ؟!
كالرجال .. علينا أن نواجه المجرمين
من اجل ان نشق لنا طريقا افضل
مصرين على خلق عالم اجمل
يضم كل الناس .. كل الوجوه
كل ادم .. وكل حواء
واجيالا جديدة.

فلتنشا ارض جديدة
وليبرز جيل ثان مشحون بالشجاعة
ولينهض من عشق الحرية قوم
ولينبض فى الدم وفى الأرواح بهاء
يفيض بالعافية
ولتكتب اغنيات الفرح
ولتصمت اغنيات المراثى
وليندفع الآن نوع من الرجال
يقبض على زمام الامور

● معا أمام الله

إن الزنجى لايمل مواجهة الرجل الابيض والتصدى له . فهو اخوه شاء ام لم يشا . إنها اخوة الوطن . واخوة الدين . واخوة الانسانية .

ولأن العدل فقد مجراه فى قوانين الرجل الابيض . ولأن الرجل الابيض يصم اذنيه وقلبه عن كل هواتف الروح المعذبة التى تتلمس الحياة كريمة وانسانية .. فان الشاعر الزنجى «جوزيف سيمون كوتر» يدعو اخاه الأبيض لأن يحتكما معا الى «الله» . فهو العدل الحقيقى :

يا اخى . تعال
ولنذهب معا الى الله
فاذا نحن واقفون امامه
سوف اقول
يا إلهى : اننى لا احمل بداخلى
بذور الكراهية .
لكنى مكروه !
إننى لا اجلد احدا
لكنى اجلد
إننى لا اشتهى ارضا ليست لى
لكن ارضى تشتهى
إننى لا احتقر الناس
لكن ناسى محتقرون
وانت يا اخى : ماذا ستقول ؟!

● فى مرايا النهر

لكن الشاعر «وارنج كنى» يقف امام فتاة زنجية بائسة ، فقدت كل إحساسها بالذات . تلاشت مشاعرها الانسانية بانوثتها تحت ضغط الازدراء المهين من جانب الرجل الأبيض .

يقف الشاعر امام هذه المشاعر الاليمة فى صدر الفتاة ، مدافعا عن انسانيتها ،

الحلم والإصرار والثقة في استعادة أمريكا الوطن والأم .. هي الأنشودة التي يتغنى بها الشعراء الزنوج

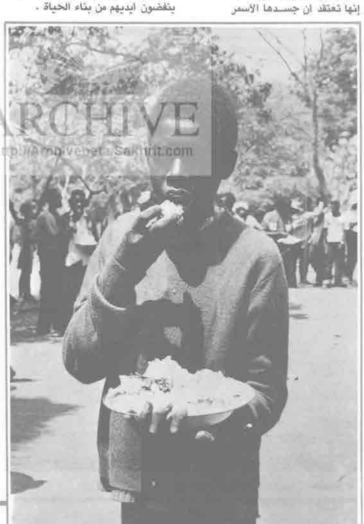
وجمالها الحقيقي . معلنا إدانته لصلف الرجل الابيض ، الذى يحول دون ان تعبر الروح الزنجية عن ذاتها . بل هو يطمس الاحساس بهذه الذات لكى يبدو كل شيء دميما فى عالم الزنوج :

هى لا تدرك اسرار جمالهـــا
إنها تعتقد ان جسدها الأسمر
دون بريـــــق
لو انها استطاعت ان ترقص عارية
تحت اشجار النخيـــل
وتاملت صورتها فى النهـر
فانها سوف تعـرف .
لكن ليس هناك اشجار نخيل فى الشوارع
وطبق الماء لايعكس الصور !

صباحه الأخير

المواقف الصعبة فى حياة الزنوج الأمريكيين هى طابع حياتهم اليومية .إنهم يتوقعونها ويواجهونها مثلما يتنفسون الهواء الفاسد فى كل مكان الظلم والكراهية والازدراء والموت .

لكنهم أبدا لا يتوقفون عن الأحلام . ولا ينفضون ايديهم من بناء الحياة .



عندما يقف الشاعر «روبرت هايدن» امام حادث الموت رميا بالرصاص لواحد من الزنوج .. فانه يحيل الموقف العادى الى مهرجان فى قمة المأساة . انه مهرجان الموت بايدى الجلادين البيض . وهو مهرجان الحياة فى عروق الزنوج بالرغم من الموت :

وفى النهاية بكى كطفل
لم تكن هناك طبول ولا اعلام
كان صباحه الاخير والمجهول
لم يستطيعوا ذلك الصباح
ان يحولوا بين الجمهور
وبوابات القصر الكبير،
بحراسه ، وغرفاته السرية ،
وطرقاته المختفية
كانت الأوراق شاحبة
فوق الأشجار المتشابكة
عندما ساقوه الى حديقة الموت
وعندما بكى كطفل
صرخت البنادق
«جوتر داميرونج»
سقط بفمه مهشما
داخل الأرض الرطبة
واخيرا نام بلا الم
تحت اوراق الشجر المتساقطة،
والضبـــاب
ثم عادوا الى المدينة المدمرة
ليقيموا بناءها من جديد !!

● وبعـد

فما قصدت فى هذه العجالة غير ان ارفع صوتى اثناء قراءة هذا الديوان ببعض النماذج التى بلغت مجموعها أربعا وستين قصيدة ومقطوعة غنائية مصحوب بعضها بالنوتات الموسيقية .

وكلها تدور فى فلك الموضوع الذى تشير إليه النماذج فى هذا الالماح السريع ، وإن تمايزت اصوات الشعراء . وما يؤخذ على هذا الديوان هو ان دار النشر الألمانية التى قامت بجمعه وطبعه ، لم تضع فى اعتبارها تصديره بدراسة تضيء على حركة الشعر الزنجى وهو امر له اهميته لمن يريد ان يتقصى علاقة الشاعر الزنجى فى امريكا بقضيته وبالخط البيانى لها منذ ان اصبح الزنوج مشكلة فى قلب العالم الجديد .

«عبد القادر حميدة»

رسالة مهرجان كان السينمائي

أفلام اضطهاد اليهود من أمريكا.. إلى المجر وفرنسا.. والعرض مستمر!!

رءوف توفيق

انهم لايكفون عن صنع الافلام التى تحكى عن اضطهاد اليهود (!!) .. ولا تكف اسرائيل عن الالحاح بانها جنة صناعة السينما فى الشرق الاوسط (!!)

.. ولا تكف السينما الاسرائيلية عن فتح اسواق لها فى كل انحاء العالم ، وتحت اسماء شركات مختلفة ، وبحملات دعاية مستمرة وباذخة التكاليف !!

ولا يكف اى متفرج مثلى عن الغيظ .. والالم ..!

وفى كل عام داخل هذا الملتقى الفنى العالمى ، فى مهرجان «كان» السينمائى .. تستوقفنى هذه الظاهرة الصهيونية الاسرائيلية !

وفى كل عام افضفض عن بعض حسرتى ، فى هذه المقالات التى اكتبها للدوحة .. ربما يتحرك المال العربى ، ليدعم الفن العربى ، فى تاكيد الحق العربى !

وقد كتبت فى عدد سبتمبر ٧٩ عن السباق المحموم لمركز الفيلم الاسرائيلى من اجل عقد اتفاقيات الانتاج السينمائى المشترك مع دول العالم ، وتقديم الاغراءات الكثيرة لاجتذاب رءوس الاموال العالمية ، والنجوم المعروفين ،

المخرج الامريكى «صامويل فوللر» اثناء اخراج الفيلم

والشركات السينمائية الكبرى .. للتصوير داخل اسرائيل !
واشرت فى ذلك المقال الى اخر الافلام التى تم تصويرها داخل اسرائيل .. وهو الفيلم الذى يحمل عنوان (الاحمر الكبير) للمخرج الامريكى (صامويل فوللر) ومن بطولة الممثل الامريكى المعروف (لى مارفن) .

وقد فوجئت بعرض هذا الفيلم داخل المسابقة الرسمية لمهرجان «كان» لهذا العام .. والفيلم احد الافلام الامريكية الاربعة التى تمثل الاشتراك الامريكى الرسمى فى مسابقة المهرجان .. وأول اشتراك للمخرج (صامويل فوللر) فى مهرجان كان !

● تجربة شخصية للمخرج

والفيلم يقدم بعض احداث الحرب العالمية الثانية ، كما عاشها بالفعل المخرج (فوللر) ـ ٦٦ عاما ـ الذى كتب ايضا سيناريو الفيلم .. اى ان الفيلم هو رؤية شخصية للمخرج حيث كان يشترك فى إحدى فرق المشاة الامريكية (عنوان الفيلم مستوحى من الشارة الخاصة الحمراء لفرقة المشاة الامريكية الاولى)

وقد كان المخرج يحلم بتحويل هذه التجربة الشخصية فى الحرب الى عمل سينمائى بعد ان انتهت الحرب .. ولكن لم يتحقق له هذا طوال ٣٥ عاما ، بسبب مشاكل التمويل ، واشتراطات الشركات السينمائية فى التدخل فى السيناريو ، والذى عبر عنه المخرج بقوله .. ان انقطاعه عن العمل فى السنوات الست الأخيرة ما هو الا مجرد اكاذيب ـ وقد كرر الكلمة اكثر من مرة ـ فهو لم ينقطع عن العمل ، ولكنه لم يرتض باسلوب العمل .. الذى حاول أن يفرض عليه تنازلات عديدة ومؤثرة .. حتى عثر أخيرا على التمويل اللازم من خلال احدى الشركات السينمائية ، والتى اتاحت له فرصة إخراج هذا الفيلم ، والذى تم تصويره داخل اسرائيل .

ومع كل احترامنا لتاريخ هذا المخرج الامريكى .. ولتجربته الشخصية فى الحرب .. إلا ان الفيلم لايمكن اعتباره عملا فنيا متميزا .. فهو نسخة جديدة من حكاية قديمة ، شاهدناها من قبل فى عشرات الافلام التى تناولت موضوع الحرب .. حتى اصبح تكرار الموضوع لايشجع المتفرج على التعلق باحداث الفيلم ، أو حتى مجرد التأثر اللحظى ، وبالتالى لايتعلق منه شىء بعد النهاية !!
وهذا اسوأ ما يتركه الفيلم .. الا يترك شيئا فى الوجدان !

والفيلم يقدم هذا الملازم العسكرى القديم الذى يقود اربعة جنود شبان خلال عمليات حربية اشتركوا فيها على عدة جبهات من شمال افريقيا ، الى تشيكوسلوفاكيا .. خلال ثلاث سنوات من عام ٤٢ حتى يوم وقف اطلاق النار فى ٨ مايو ١٩٤٥ .


لقطة من فيلم «الاحمر الكبير» صورت داخل اسرائيل !

وهذه المجموعة المقاتلة من المشاة الامريكي .. تمثل في الواقع نفس المجموعة التي كان يشترك فيها المخرج «فوللر» اثناء الحرب .. فهذا الضابط العسكري القديم اشترك في الحرب العالمية الاولى وما زال يذكر تجارب تلك الفترة ، ويحاول أن يلقنها الى جنوده الاربعة .. وهؤلاء الجنود الاربعة يطلقون على انفسهم (الرجال الاحصنة الاربعة) حيث يجسد احدهم (الممثل الشاب روبرت كاريدين) شخصية المخرج في تلك الفترة ، وهوايته في الكتابة ، والتي استغلها في تسجيل بعض الوقائع التي حدثت لهم في رواية قامت والدته ببيعها لاحدى دور النشر (وهي واقعة حدثت بالفعل للمخرج ، عندما كتب قصة بعنوان الصفحة السوداء)

والضابط قائد تلك المجموعة (يلعب الدور الممثل لي مارفن) .. شخصية مركبة .. يدخل في صداقات حميمة معهم .. وفي نفس الوقت لايتردد في اطلاق النار على احد جنوده ، عندما يبطيء في تنفيذ التعليمات مما يخلق جوا من الجبن بين زملائه .. وهو نفس الضابط الذي يشرح لاحد جنوده ، الذي يناقشه في اخلاقيات الحرب ، حيث يتحولون الى سفاحين مهمتهم القتل .فيصرخ فيه الضابط مؤكدا : (نحن لا نرتكب جريمة قتل .. اننا نقتل دفاعا عن النفس)!!! .. وهكذا يصبح عالم هؤلاء الجنود لا يتجاوز دائرة الخمسين ياردة المحيطة بهم .. فهم يتحركون من مكان الى مكان .. وعيونهم على الاهداف المتحركة ، واصابعهم على الزناد .. ويعلق احد الجنود عن هذه الحالة ، فيقول : (ان المجد الوحيد في الحرب .. هو ان تظل على قيد الحياة) !

ومن خلال التفاصيل الانسانية للعلاقة بين هؤلاء الجنود الاربعة ، وقائدهم .. والمواقف التي يتعرضون لها على جبهات الحرب .. ينسج الفيلم مادته على مدى ساعتين !

والفيلم لا يتعرض للعمليات الحربية الكبيرة .. ولا يتورط في استخدام المجاميع الهائلة (ربما بسبب ميزانية الفيلم) .. ولكن يحاول المخرج أن



الممثل الامريكي «لي مارفن» في لقطة من «الاحمر الكبير»

الفيلم لايتعرض للعمليات الحربية الكبيرة ولايتورط في استخدام المجاميع الهائلة

يعوض هذا بتاملاته وملاحظاته على الحرب ، التي يضعها على لسان ابطاله !

● اليهود .. في المشاهد الأخيرة

ولكن ما يهمنا في هذا الفيلم .. تلك المشاهد الأخيرة ، حيث نرى هذا الضابط وهو يتقدم مجموعته في احدى معسكرات الاعتقال النازي التي اقامها الالمان في تشيكوسلوفاكيا .. لنواجه بافران تعذيب اليهود .. ويتقدم هذا الضابط بكل الألم ليلتقط صبيا بين الحياة والموت .. ويرفع هذا الصبي بين ذراعيه ليخرجه في الهواء الطلق ويحاول إطعامه وإسعافه .. ويخفق قلبه مع حركة تنفس الصبي .. ويتفرغ تماما لاعادة الحياة للصبي .. ولكن الصبي يموت بين ذراعيه .. فيحمله ويمضي به بين جنوده .. كانه يلعن الحرب .. واضطهاد اليهود .!

وينتهي الفيلم بنهاية الحرب في المشهد التالي .. واحد الجنود يصرخ مهللا بقرار وقف اطلاق النار !

وتركيب المشاهد الأخيرة توحي بأنها خلاصة الحرب .

والخلاصة .. انه بالرغم من كل الضحايا والتخريب والماسي المروعة على طول العالم .. لم يبق شيء يستحق الألم والتكفير عنه سوى اضطهاد اليهود !!

● التصوير داخل اسرائيل

ثم ناتى الى ماوراء الفيلم .. و«المجد» الذى ناله جميع العاملين فى الفيلم من التصوير فى الاراضى الاسرائيلية !!

ومن يقرأ النشرة الصحفية التى وزعت للصحفيين والنقاد حول هذا الفيلم .. يفاجىء بصفحات كاملة تشرح بالتفصيل ما حدث اثناء التصوير فى اسرائيل .. والخدمات «الجليلة» التى قدمت من جهة المسئولين عن صناعة السينما فى اسرائيل .. !!

وهذا شىء غريب حقا .. ومريب جداً !

فمع طول خبرتى بالافلام .. والمهرجانات .. ومواد الدعاية والنشرات الصحفية التى توزع على الافلام .. لم اجد من قبل مثل هذا الاهتمام بمكان التصوير .. كالذى صاحب فيلم «الاحمر الكبير».. مما يجعلنى بلا ادنى شك او تردد .. نربط بين انتاج هذا الفيلم ، والمشاهد الاخيرة التى تدين اضطهاد اليهود .. وبين هذه الدعاية المكثفة للخدمات الاسرائيلية اثناء التصوير !!

انه اسلوب لايحتاج الى ذكاء وفطنة .. لكى نكتشف حلقات السلسلة المتصلة باحكام .!

« تقول النشرة الصحفية عن الفيلم :

«ان هذا الفيلم هو فيلم هوليود الاول الذى تحرك وانتقل الى اسرائيل لكى يصور كل مشاهده الخارجية .. بالرغم من ان موضوع الفيلم لا يتعلق باسرائيل

وأماكن التصوير فى إسرائيل جسدت كل الاماكن التى تدور فيها احداث الفيلم .. ففى إسرائيل تم تصوير اماكن على انها من شمال افريقيا ـ تونس ـ صقلية ـ فرنسا ـ بلجيكا ـ المانيا ـ تشيكوسلوفاكيا . (!!)

« وقد بدأ التصوير على الشاطىء الجنوبى لتل ابيب .. وتم الاستعانة بمئات من جنود الجيش الاسرائيلى لتصوير احد معارك الفيلم .. وانتقل التصوير داخل احد معسكرات الجيش بالقرب من تل أبيب حيث تم استخدام السيارات الروسية التى اسرها الجيش الاسرائيلى من الجيش المصرى ، وقد تم اعادة طلاء هذه السيارات لتبدو وكانها



المخرجة المجرية «ماريا ميساروس»

التفاصيل كثيرة والصياغة مريبة جداً .. ومستفزة جداً جداً !!!

سيارات الجيش الالمانى فى الحرب

وتستطرد النشرة فى تفاصيل التصوير داخل اسرائيل لتقول بحماسة شديدة :

وتم التصوير ايضاً فى احدى المدن التى كانت فلسطينية .. واصبحت الآن مركزاً سياحياً هاماً يربط بين تل ابيب وحيفا (!!)

وايام عديدة استغرقها التصوير فى مدينة القدس ، واستخدمت مبانى وزارة التجارة والسياحة بالقرب من فندق الملك داود ، على انها مبانى المستشفى الالمانى فى تونس ايام الحرب (!!)

ولما كان الصيف حاراً جداً .. ومنعاً للاصابة بضربة الشمس .. فقد استفاد مجموع الفنيين العاملين فى الفيلم من تجربة الجيش الاسرائيلى فى حرب سيناء .. عندما كانوا يستخدمون اكياس البلاستيك المملوءة بالماء لحماية اجسادهم من حرارة الجو ..(!!)

«والاسابيع الاخيرة من التصوير فى اسرائيل .. انتقلت بعثة الفيلم الى القرى العربية فى الضفة الغربية» (!!)

والتفاصيل كثيرة .. والصياغة مريبة جداً .. ومستفزة جداً جداً .!!

● مدير التصوير من اسرائيل !!

ولاتنسى النشرة الصحفية ان تشكر المسئولين عن السينما فى اسرائيل .. الذين امدوا الفيلم بمعونات هائلة من الفنيين المدربين !

وليس غريبا بعد ذلك ان نعرف ان الجنود الاسرائيليين هم الذين لعبوا كل الادوار الثانوية والمجاميع .. وظهروا فى الفيلم على انهم جنود امريكيين والمان !

وفى النهاية نعرف ان مدير التصوير لهذا الفيلم .. هو المصور الاسرائيلى « ادام جرينبرج» .. وتستفيض النشرة فى تقديم هذا المصور وبراعته !!

هل هذه معلومات فنية .. ام صفقة إعلانات مدفوعة الثمن بالكامل .؟!

● «الوريثتان» وصدمة إخرى !

ولا نكاد نفيق من صدمة فيلم «الاحمر الكبير» حتى نفاجا بالفيلم المجرى «الوريثتان» للمخرجة المجرية اللامعة «مارتا ميساروس» ليعيد علينا اسطوانة اضطهاد اليهود ، من خلال قصة بين امراتين فى المجر فى زمن الحرب العالمية الثانية ! •

ومن الارهاق النفسى والعصبى .. ان نحاول البحث وراء الأسباب التى دعت هذه المخرجة الجيدة ، والتى حفرت اسمها فى السينما العالمية من خلال عدد بارز من الافلام التى تناقش قضايا المراة ما الذى جعلها تتورط اخيراً فى قضية اضطهاد اليهود ؟!

الممثلة الفرنسية «ايزابيل هوبير» التى لعبت دور البطولة فى الفيلم المجرى «الوريثتان»



وهل هو تورط ..؟!.. أم اقتناع كامل ، وولاء للأصل اليهودى ..؟!

الفيلم أمامنا يحكى عن هذه المراة الثرية (تلعب الدور الممثلة المجرية ليلى مونورى) المتزوجة من ضابط شاب فى الجيش المجرى ، وهما يحبان بعضهما .. ولكن فى داخل هذه المراة ماساة تزعجها دائماً .. فهى غير قادرة على الانجاب .. وتريد ان يكون لها طفل من زوجها لكى تضمن ميراث أبيها الثرى .. ولهذا فهى تبحث عن امراة تستطيع ان تحقق لها فكرة ان تنجب من زوجها .. فتعثر على هذه الفتاة الفقيرة (تلعب الدور الممثلة الفرنسية ايزابيل هوبير) التى تعرض عليها الفكرة .. وتحدث الصدمة المتوقعة .. كما تحدث نفس الصدمة لزوجها عندما تخبره بما فكرت ودبرت .. ولكن لأنها إمراة ذكية وقوية فهى مستعدة ان تبذل كل ما تستطيع لكى تحقق فكرتها .. فهى تحاول اقناع كلا الطرفين بالتنفيذ .. وفعلا يتم هذا !

وتحمل الفتاة الفقيرة .. وتعيش هى كل آلام الحمل كانها هى التى حملت .. وتعيش ايضا لحظات الولادة كانها هى التى تلد .. ويأتى الطفل الذكر لتسلمه امه الى المراة الثرية ، حسب الاتفاق .. وتعيش الام لحظات قاسية ومريرة وتردد دائما «اريد ان اموت» .. ولكن الحب الذى نشأ بينها وبين زوج المراة الثرية ، يعطيها بعض التعويض للاستمرار فى الحياة . !

وعندما تقع المجر فى قبضة هتلر عام ١٩٤٤ .. تأتى الفرصة السانحة للمراة الثرية لكى تتخلص من غريمتها الأم الحقيقية للطفل ، والقريبة من قلب زوجها .. فهذه المراة الفقيرة ، يهودية .. وقد أعلنت هذا منذ البداية .. ولكن دخول هتلر الى المجر معناه القضاء على اليهود تماما .. ولهذا فهى تبلغ عنها .. ويقبض عليها .. ونراها فى صفوف اليهود المساقين الى معسكرات التعذيب .. وهم يضعون النجمة الصفراء على معاطفهم !

طوابير اليهود .. الى الموت ..

وهكذا ينتهى الفيلم .. وكانه رسالة للعالم .. بأن اليهود هم الذين اعطوا الحياة .. وضحوا بكل عزيز لديهم .. والنتيجة هى الاضطهاد والموت .!

وبقية الرسالة معروفة .. ان نكفر ـ نحن جميعاً سكان الارض مشارقها ومغاربها ـ عن هذه الجريمة ، الى مدى الحياة !!!

فعلى لسان هذه المراة الفقيرة .. تتردد أبيات من الشعر كتبتها الشاعرة اليهودية «ان لسيزناى» التى هاجرت من المجر مع افواج اليهود الذين استشعروا الخطر عام ١٩٣٦

تقول بعض ابيات هذه القصيدة الموحية تماما بقضية اليهود :

« الريح من امامى ومن خلفى
« لقد ولدت من الاف الطيور
« من أحشاء الرحم خلقت ابنة لالمانيا
« وأعطانى اليهود دماء الحياة ..
« ثم أصبحت مجرية ..
« لقد تشردت على أرضى
« من كل هذه الجذور نشات
« الجريمة من خلفى
« والرغبة امامى

وقد قدمت المخرجة المجرية «مارتا» هذه المشاعر بحساسية فائقة ، وباخلاص المؤمن بقضيته ..

ولا شك ان هذه المخرجة المجرية قدمت فيلما يفيض بالعذوبة ، لتؤكد به سلسلة افلامها السابقة عن المراة .. ولكن فى هذه المرة ، افصحت عن مشاعرها الحقيقية عن اليهود .. وربما لهذا السبب أسرعت شركة التوزيع الفرنسية الشهيرة بالمشاركة فى حق توزيع الفيلم للعالم كله !!

● ●

انهم يعرفون كيف يخططون لكى تظل قضيتهم على قيد الحياة .. دائماً . !!

ولا يكفون عن تانيب الضمير .. وتبكيته .. اذا شعروا للحظة ان هناك ضغوطاً عليهم ..

اما ماذا يفعلون داخل إسرائيل .؟ وكيف يفكرون حاليا لأفلامهم السينمائية .. فهذا موضوع رسالتنا القادمة !

« رءوف توفيق »

مواقف ثقافية



روائي من العالم الثالث

يحتفى الاعلام الغربى هذه الايام بكاتب من العالم الثالث ظل طيلة عقدين من الزمان يكتب الرواية ويبنى شهرته بين الكتاب وحدهم .. ولم يخرج الى القراء على نطاق واسع الا بعد اعماله الاخيرة مثل «عودة ايفا بيرون» وهى تصوير لما يجرى فى امريكا الجنوبية ، «ومنحنى فى النهر» ، التى تفضح اوضاع الكونغو ، و «رجال العصابات» التى تمس نضال المقاومة فى العالم الثالث .

وقد لاقت اعماله الادبية الاخيرة نجاحاً طاغياً ، واعترافاً متزايداً به كواحد من اكثر الاصوات الخلاقة اصالة .. الأمر الذى انتزع له شهادة من واحد من اكبر النقاد فى بريطانيا وهو ف.س. بريتشارد تقر له بالموهبة والاقتدار فى صناعة الرواية . وتصفه بانه «اعظم الكتاب الاحياء فى اللغة الانجليزية» . وهذا التقدير ليس جديداً على فيديا دهور سورا جبرازاد نيابول الذى حازت اعماله المبكرة على الجوائز الادبية . والآن وقد بلغ السابعة والاربعين ، يقف ف.س. نيابول كاقوى المرشحين للفوز بجائزة نوبل للأدب للعام ١٩٨٠ . فهو كما قال المؤلف الامريكى ارفنج هاو «روائى يتوفر فى اعماله كل ما نبحث عنه فى الروائى .. فهو يتمتع بقدرة تماثل موهبة جوزيف كونراد فى تقديم ما يقصه بشكل متوتر اخاذ .. وافضل من ذلك كله انه روائى لا يخشى إعمال فكره وذكائه ..»

ويبدو ايضا انه لا يخشى إثارة الجدل والنقاش والمواضيع التى لايمكن الا ان تكون مثار جدال . فهو كمواطن بالميلاد من العالم الثالث قد صار ناقداً صارماً للفقر المادى والأخلاقى فى المجتمعات النامية . فقد استقبلت اعماله التى حفلت بالتصوير الساخر للأخلاق والعادات والاعراف فى مجتمعات جزر الهند الغربية ، كما فى «المدلك المتصوف» و «شارع ميغويل» ، بموجة من الاحتجاج الغاضب من النقاد فى تلك المجتمعات ، ووصف بانه «نبى لا احساس به ، ساخر لا يحترم اهله» . وعندما وجه ذكاءه المحرق الى الهند وافريقيا انفجر الاحرار فى وجهه فى الغرب والعالم الثالث .

الرجل منفى وبلا جذور . ولد فى ترينيداد من أصل هندى براهمى ، وتخرج من جامعة اكسفورد ، واختار العيش فى بريطانيا لأسباب تتعلق بسهولته لكنه لايستقر لمكان فى اسفاره وتجواله . ولذا فهو حقيقة رجل بلا وطن او قضية . ولايمكن وصفه بانه عالمى . إن تخففه من الوطن والقضية قد رفع عنه حدة الانفعال للاحداث السياسية مثلا ، التى يتسم بها المنتمون .ولكنه قيد نفسه الى الامانة كمبدأ سام وايديولوجية خاصة به ، بها يرفض الاتهامات التى تنصب عليه بانه «مدافع عن الاستعمار .. ومحشو بالمرارة» .

" إننى احاول النفاذ الى ما حدث .. لأدلى بشهادتى بما وقع .. فاضحا عدم الامانة والكذب .. والافكار المستعارة .. والكتبة الذين يخونون الشعوب ويغذونها بافكار تجعلها تتقبل مستويات من السلوك المتدنى ..»

وكان نيابول قد حاول أن يجد جذوره فى الهند ، فقام بزيارتها فى الستينات ، وسجل ما وقعت عليه بصيرته بعد اقامة دامت ثلاثة عشر شهراً ، وذلك فى كتابه «منطقة الظلام» وفى آخر لاحق هو : «الهند .. الحضارة الجريحة» .وفى كلا العملين يبرز نيابول الصدمة التى احدثتها فيه مظاهر الحياة هناك ، وخاصة التعصب وانعدام التسامح ، والوثوق الزائف بالنفس ويصور بشكل مؤثر وبجراة وصراحة مالم يقدر على اخفائه واحتماله من فقر اهله وعجزهم.»

ولا يعنى هذا ان نيابول قد تقبل الحضارة الغربية . فقد وصف اكسفورد التى درس بها بانها «جامعة اقليمية من الدرجة الثانية وجد متواضعة» ولم ير فى انجلترا نفسها سوى «بلد للساسة المتبطلين ، والكتاب التافهين ، والارستقراطية المنحرفة .. وهى ليست ذلك البلد الذى قاد العالم فى مجال السياسة والحقوق فالناس فى بريطانيا فخورون بكونهم اغبياء .وتنفق اموال طائلة ثمناً لتكريس الغباء والتبطل . وقد اخذ ذلك يظهر فى المجال الفكرى -» .. ان الدول المتخلفة هى تلك ذات الآفاق الفكرية المحدودة »

لقد بلور نيابول لنفسه كمنفى ولا منتمى منظوراً الى الحضارة اسبغ على اعماله تنوعاً وشمولية لا تجدهما فى معظم الأعمال الروائية النابعة فى العالم الثالث . فهو يرى ان هناك حضارة عالمية كبرى فى وقتنا الحاضر يمكن أن تسمى الحضارة الغربية . وهى حضارة مؤلفة من عناصر مستمدة من مصادر مختلفة ، تغذت من مصادر لا تحصى ، حضارة انتقائية .. غزت العالم ، ومازالت .. لأنها جذابة للناس ، وتحمل لهم بشرى التحرر .. وهى فى ذلك كالحضارة العربية العظيمة التى سادت العالم فى الفترة من القرن السابع الميلادى الى القرن الثانى عشر ، والتى كانت ذات مصادر متعددة ، ولم تكن منغلقة على نفسها ، ولم تكن تصد عن ابوابها المؤثرات الخارجية ، اذ انها كانت تستوعب بلا حدود الفن الفارسى ، والرياضيات الهندية وما تبقى من فلسفة الاغريق .

وهو يرى أن الخطأ الذى ولده الغرور الغربى هو التفكير بان الحضارة العالمية التى تظل الكون اليوم هى حضارة عرقية صافية ..

ومهما كان اختلافنا مع هذا المنظور فى كليته او جزئياته ، فهو الذى يمنح العمل الابداعى النابع من العالم الثالث دعامة فكرية تؤهله لنيل الاهتمام العالمى .. الذى ظلت الرواية فى العالم الثالث تطمح إليه لتخرج من دوائرها المحلية والاقليمية المغلقة لتسهم فى حركة تشكيل الحساسية الادبية والفكرية على مستوى عالمى .



ليالي عكاظ أوربية

السفر على جواد الشعر

فتحي سعيد

● اختلفت الوجوه وتعددت اللغات .. وتألق بين الجميع وجه الشعر

● لولا الشعر ما رأيت مقدونيا والبحيرات الجميلة ذات الشهرة العالمية

إذا كان الجنون فنون كما يقولون .. فان اكثر الناس جنونا هم الشعراء .. يهيمون في كل واد .. ويقولون ما لا يفعلون !.

وإذا كان ذلك صحيحا .. فلا غرابة لانه قدرهم ولهب النار يسرى على اطراف الانامل ..

ولكن المستغرب والاعجب ان يجد الشعراء من يفوقهم جنونا وهياما .. ومن يعشق الشعر اكثر مما يعشقون وان يبلغ حبهم للشعر والشعراء أن يقيموا عيدا عالميا للاثنين كل عام وبلا انقطاع في اجمل البقاع ..

سوق الكلام

هذه المرة يركب الشعراء الطائرات والبواخر والعربات الطائرة عبر أعالى الجبال .. وتذاع اشعارهم على موجات الاثير وشاشات التليفزيون والسينما .. لا في قلب الصحراء والبيد وإنما غير بعيد عن شواطىء الدانوب وجبال الألب الخضراء .. وضفاف الادرياتيك .. وخليط من الشعراء يتكلمون بمختلف الرطانات واللغات لا بلغة تميم وطي ومن لف لفهما .. ويحملون اسماء شتى من كل جنس : جيليفيك وسنجور وجان بريير ولازار وداجلارزا بدلا من علقمة وبن العبد والذبياني .. وجوه بيضاء وسمراء وحمراء ، جاءت من كل فج وصوب من اوروبا واسيا وافريقيا والامريكتين يمثلون قارات العالم ويعرضون بضاعتهم في سوق الكلام والاقوال ..

سوق عكاظ أوربية .. اختلفت فيها السحن والوجوه وتعددت اللغات والرطانات ولكن تالق بين الجميع وجه وضيء هو وجه الشعر .

وتوحدت بين الجميع لغة واحدة هي لغة الشعر .

وكان تلك الموسيقى الخفية الكامنة في روح الشعر تسرى بين الارواح وتتدفق على الألسن .. ويتحدث بها الجميع بطلاقة .. وكانها اكتشاف جديد للغة جديدة يتحدث بها الغرباء في اي مكان وزمان ..

وقلت لنفسي .. إذا كان الشعراء وحدهم المجانين .

فهؤلاء وحدهم هم العقلاء ..

وفي زحام هذه الوجوه عبر الرحيل والطواف هنا وهناك ، كان وجه الشعر يتالق مثل الشمس في كبد السماء ويشرق مثل القمر في عتمة المساء ...

جواد الشعر

لولا الشعر ما حملني جواده الأشهب العريق يسابق الريح ويجول في بلاد الغربة والتجوال الى بعيد أو قريب .

لولا الشعر .. ما رايت صحراء بلادى .. ونجوعها وقراها وثغورها واعماق مدنها الدفينة النائية .

لولا الشعر ما رايت بساتين دمشق ولا ارز لبنان ولا دانوب اوربا .. وجبال مقدونيا والبحيرات ذات الشهرة والجمال .. وربوع الاغريق وضفاف السين وبوابات باريس ومتاحفها الكبرى





ماريانا الشاعرة التى كتبت بالدم

على شاطئ نهر
صغير ينحدر من
صلب البحر الأسود
كان السوق بعنوان:
ليالى الشعر العالمية

كان الشعر جواز السفر .. وتميمة العبور. فكل جديد القاه وكل درب تعبره خطاى إنما من اجله ومن اجل مزيد من القطرات والسقيا لشجرته السامقة إلى اعلا ..

كنت أؤمن ان السفر زاد يضاف الى رصيده وان الغربة تجربة تخصب ارضه وثراه .. تخلفت كثيرا عن مهرجانات العاصمة وغبت فى الزحام والقطارات وعربات الليل هنا وهناك فى الوقت الذى تزاحم فيه الواردون على حياضها الدافقة ..

كنت انزوى بعيداً فى ركن قطار او مقعد سيارة او على متن قارب او فوق دابة اقطع الأميال فى سفر واغتراب وتجريب وتجوال .. فى القيظ اللافح والبرد الواغل فى العظام ..

ولم يكن ذلك إلا قدراً ..

مروج الحسن

اما هنا .. فى قلب الجبال الخضراء .. وعلى شواطىء البحيرات حيث لا تناحر ولا ثارات .. وإنما شعر وموسيقى وشاعرات يخطرن كانهن المهـا فرت من الخباء وانطلقت عبر المروج .. واختفى اسم الخنساء وهند بنت عتبة صاحبتا المراثى الشهيرة .. ليتردد اسم دارنكا وماريانا صاحبات القصائد العصرية القصيرة.

كانت السوق هنا بعنوان : ليالى الشعر العالمية ..

لافتة تحمل هذه الكلمات على بيت من القرميد الاحمر على شاطىء نهر صغير ينحدر من صلب البحر الأسود وبحار اخرى وكانه حفيد انساب تحت اقدام اجداده فى دروب هذه المدينة الساحرة «اشتروجا» وامام هذا البيت الغريب الذى اسمه «بيت الشعر» فى مقدونيا عاصمة اليونان الاولى .. ومهد الاسكندر .

فى مهد الاغريق

وحطت الطائرة .. فى اثينا العاصمة .. واسراب السحب الحبلى بالرذاذ المنهمر فى الضحى تغسل قمة «اثينوس» الرهيب .

وهبت نسمات اليونان وطار الخيال يعانق المنظر ويركب عربة «زيـوس» الذهبية يطوف بها فوق قمم الجبال.

لم اشعر بالغربة للوهلة الاولى .. كان الشعر جواز المرور ..

وكانت اللغة العربية التى تسمعها فى كل مكان تشعرك بانك فى وطنك لم تبرحه ..

فى «البلاكا» حى القهوة اليونانى العتيق حيث يسهر طيلة الليل .. وتنتشر الحوانيت والمطاعم والملاهى من كل لون .. ويرتفع صوت الموسيقى فى كل مكان ..

فى «بيريه» الميناء الثانى الشهير .. نخبة من الأيدى العربية تقف وراء أعقد الآلات فى اكبر المصانع والترسانات البحريـــة .

● فى ديفيتى .. على بعد ساعة ونصف من قلب ميدان «امونيا» باثينا العاصمة حيث يقام عيد الموسيقى والكروم .. كل عام ولمدة ثلاثة شهور صيفية وحيث يفد إليها الالوف من مختلف انحاء العالم .. يرقصون ويعزفون وينامون فى ظلال الأشجار الكبيرة التى تغطى مساحة المكان الرحيب .. مقابل دولار واحد رسم الدخول والمرح واللهو حتى الصباح .

كانت هذه الزيارة الأولى .. لاثينا .. حيث قضيت عدة ليال عابرة قبل ان اعود إليها مرة اخرى .. وقبل أن يحملنى قطار الشرق السريع الى «إسكوبيا» عاصمة مقدونيا حيث ليالى الشعر التى استمرت اسبوعا بلا إنقطاع ..

وفى كرنفال الوجوه العديدة هناك .. كان هذان الوجهان الجميلان القريبان ..

● وجه من مقدونيا ..

● ووجه من امريكا ..

ماريا ياكو

● المكان .. مرج اخضر على شاطىء بحيرة زرقاء .. فى ظل دير عتيق شهير اسمه «سيتى دوم» .

حملتنا الباخرة فى الصباح الباكر عبر بحيرة «أوهريد» من امام الفندق البرتقالى اللون الذى يطل على شاطىء الادرياتيك ..

وحطت بنا بعد ساعة فى هذا المرج الجميل حيث امتدت الموائد وتناثرت فرق الموسيقى الشعبية بملابسها الزاهية .. وآلات القرب والنفخ ودائرة الرقص تتسع رويدا رويدا حتى تطوف بالمكان كل فى شكل دائرة متشابكة الأيدى .

ماريا .. شقراء فى الثانية والعشرين .. شعلة من الذكاء والجمال والشباب الدافق .. قلقة لا يقر لها قرار.

كانت تتصفح كتاب القصائد التى ستلقى فى المهرجان .. جرنا الحديث الى الشعر العربى .. انطلقت تتحدث بكل جوارحها بعينيها التى تتسع حتى تملأ جنبات وجهها .. وبجبينها الذى ينحسر عنه شعرها الذهبى كانه سنبلات قمح ذهبية . وتنطلق تتحدث عن الحب والحياة والشعر والرسم والموسيقى .. وكانها مزودة بشحنة تفرغها دفعة واحدة .. وهات ما عندك ايتها الشاعرة الجميلة الرعناء ..

● إسمى ماريا ياكو .. اسم الشهرة .. ياكو . ابى كان يعشق الفن.

بدات كتابة الشعر وعمرى اربعة عشر عاما من خلال عشق ابوى للفن ..

احب «بايرون» اكثر من اى شاعر اخر





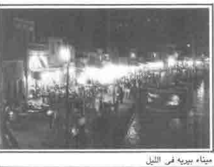
من رسوم زوجة الشاعر الأمريكي







احد رسوم القصائد



ميناء بيريه فى الليل

.. لانه يعبر عن الورد والحب واكاد احفظ اشعاره عن ظهر قلب .. إنه أكثر كلاسيكية وعشقا للحياة ومغامرة وطموحا ..

«إليوت» ليس تقدمياً فى نظرى .. ويأتى بعد بايرون إدجار الن بـو ولوركا الاسبانى.

روح الشعر الحقيقية .. هى البحث عن الحياة . إن روحى من دم وانا اكتب بالدم لا بالحبر .. حاولت ذلك أول مرة .. صنعت وشماً على يدى اليسرى .. وغمست فى دمائى القلم وكتبت أول قصائدى .

انظر .. هو ذا الجرح غائر لم يزل .!

اعشق بودلير .. ولكنى اهيم بالشعر الانجليزى اكثر . الله صنع الليل والنهار .. الليل هو الظلام والنهار هو الروح .

فان جوخ .. هو محبوبى الأثير .. لقد صرخ صرخة الحياة وسكبها فى لوحاته وقطع اذنه هدية لحبيبته ..

لوتريك .. رسم المرأة كما رأتها آلاف النساء ولكن من هى امرأته ؟

بيكاسو .. وجد شيئاً يهتم به القرن العشرون .. حاول أن يكون مشهوراً .. وكان وحشيا مع النساء بعكس سلفادور دالى .

● شعركم العربى .. متورد ودفاق كانه رعشة خريف ربيعية .. فيه روح الناس والحياة .. كانه لوحات فان جوخ .. احسست به من خلال اصغائى له .. ومن قراءتى له مترجماً ..

● عن الحب .. هناك ناس يولدون ليحبوا آخرين .. هكذا الحب أن تخلق لى وأخلق لك .. لا أن نلتقى عابرا من أول نظرة .

● أعشق عمر الخيام جداً .. احفظه عن ظهر قلب وهو مترجم .. بودى لو قرأته بالعربية ..

● لى ديوان واحد والثانى على وشك

السفر على جواد الشعر

الوجه الآخر لشعراء الإلكترونات والصواريخ، مجرد صفر يتمنى أن يكون مسموعًا ومليونيرًا في وقت واحد



الصدور .. وآخر قصيدة كتبتها .. صياغة شعرية لأغنية فولكلورية شائعة.

وتوارت الشمس خلف السحب وغامت السماء .. وتمايلت أشجار الحور والصنوبر تحت رذاذ المطر الخفيف ..

وانزلقت القطرات على جبين ماريا المتوهج كأنها حبات الندى فى الصباح .. دون أن تكف عن إلقاء شعرها بصوتها الدافىء الرخيم ..

وأوشك الركب على الرحيل ..

بيبى باركان

● قط ابيض قصير وسمين

ذكرني مراه فورا بقول « جيمس بالدوين» شاعرامريكا الأسود :

« إننى قط أسود ..

ضامر .. صعلوك

طموح .. ذكى ..

إن القط الأسود يقول «ناو» أى الآن .!

ولكن باركر .. القط الأمريكى الأبيض المكتنز المتورد الوجنات كان على النقيض تماماً من صاحبه بالدوين الأسود الضامر الذى دافع عن قضيته وغنى لأبناء جلده السود ... بكلمات كانت طلقات الرصاص فى صدر العنصرية.ورفع شعار التمرد .. الآن .. وفورا .. !

اما صديقنا الأبيض فقد كان قطاً ثميناً نشيطاً يثب من هنا الى هناك عبر ردهات المهرجان والندوات وفوق موائد العشاء وفى اى ركن يجمعه بالناس مادا يديه بعشرات القصائد المطبوعة الملونة وعشرات العقود والاتفاقيات صارخا مثل بالدوين تماما : ناو .. اى الآن .!

ولكنها ليست صرخة الثورة والتمرد .. وإنما صرخة عمل والتعاقد الفورى الآن وليس وقتاً آخر .. فهو رجل أعمال واوراقه جاهزة .. وهو ليس شاعرا فقط جاء يمثل بلاده بل هو ناشر يمتلك دارا كبرى للنشر وتاجر يفرد أوراقه أمامك ويتحدث كالصاروخ ..

● قدم لى اشعارا عن مصر ودراسة لانشرها فى أمريكا .. وانت قدم لى كتاباً عن مدريد أو النرويج أو عن فرنسا لانشره .. فى نيويورك .

كل شاعر يلتقى به يدير له نفس الأسطوانة ويفرد له عينة من مطبوعاته الفاخرة الألوان والرسوم .. رسمتها زوجته ورفيقته فى الرحلة الأمريكية الجميلة السمراء .

زوجته الرسامة تلك .. دقيقة الحجم سوداء رقيقة كأنها باريسية .. شرقية الملامح كأنها حبشية تحترف الرسم التقيا وتحابا من أول مشروع .. ترسم هى ببراعة وتنتمى الى الموجة الجديدة السائدة .. الخطوط المستغربة بالأغراق من الأحجام والمسافات وتجسيد الملامح وإغداق الألوان المتناقضة الصارخة .. التى تشعرك أن وراء الرسوم واللوحات فنانة مقتدرة ..

لا يفترقان اينما كانا .. يقدمها لك فى اعتزاز وتزكى هى اعماله فى إعتزاز ..

فى الصباح على مائدة الافطار تعطيه من حقيبتها ملفاً انيقاً يفتحه باركان على الفور ويخرج منه عشرات النسخ من قصائده ويعرضها عليك .. وفى الغداء يفعل نفس الشىء وحين تذكره انك تسلمت هذه النسخ على مائدة العشاء امس ..! لا يتوقف وإنما يدفع لك بحزمة ثالثة قائلا :

– لن تضر .. إنها مختلفة عن الأولى وزعها على اصدقائك .

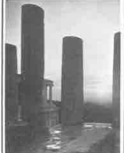
الشاعر الصامت

هذا هو باركان ..

كالقط حاول أن يقتحم الشاعر التركى الكبير « داج لارزا »بصمته الرهيب وجسمه المهيب .. ولم يتمكن .. كان الشاعر الكبير ملتحفا بالصمت وباللغة التركية .. ولا لغة بين الاثنين ..



الشعر اليونانى المشهور بين ساحات المسرح الاغريقى القديم


الاكروبول فى لحظة الغروب


من العزف الموسيقى عند الأغريق القدماء

حاول باركان ان يستعين بالشعراء عليه وعبثاً .. كان التركى كالقلعة المستديرة لا يمكن اقتحامها ..

ولم ييأس باركان .. استدار الى الشاعر السنغالى الكبير «جان جاك برميير» الطويل القامة المحترق السواد المفتول القوام كانه ملاكم قديم يبدو كالرمح العالى الراس .. مهذب جداً قليل الكلام .. يتحدث بعدة لغات .. يقدمه «سنجور» الشاعر ورئيس جمهوريته باحترام وتقدير .. يثمان عن مكانته الشعرية .. اخذ باركان يدور حوله .. ويرطن بكل اللغات واخرج أوراقه والرجل يبتسم ويدخن فقط ولا كلمة واحدة ..

حدثه عن الشعر السنغالى .. وعن سنجور وعن دافيد وعن اخرين كنواة لكتاب شعراء السنغال .. والعملاق الاسود لايتحرك .. يدخن ويرشف قدحه فى صمت وبدا باركان امامه مثل فار ابيض وقع بين مخالب قط سنغالى ثمين وسألت جان برميير .. لماذا لا تحاور الأمريكى الابيض .. وابتسم ودعانى ان نشرب نخب الشعر فى ركن بعيد ..

لو كنت صفرا !

هذا هو باركان .. الوجه الأمريكى للشاعر والتاجر معاً .. أو الوجه الآخر لشعراء الالكترونات والصواريخ الشعرية الملونة فامامه تشعر انه نتاج احد هذه العقول الآلية التى تستطيع ان تضغط على زر الشعر فيها فينطلق شعره مواتياً معبراً عن اللحظة .. ولكنه فاقد لجوهر الفن وهو الروح .. تلك المرآة التى ترى على صفحتها حقيقة الشاعر لا الأزرار والمحركات ..

هل هو الشاعر الملهم المطبوع بموهبة الشعر ؟

أم هو الشاعر الذكى المدرب المزود بموهبة ايقاع الأيام الآلية ؟

حتى ليلة السفر حين انتهت المرحلة الأولى من المهرجان لنبدأ رحلة ثانية الى مدن ثانية عبر الجبال الخيالية والقرى القديمة . والكنائس والأديرة ذات التاريخ العتيق ..

طار النوم من عينى تلك الليلة .. كان صوت باركان يخترق جدار حجرته المقابلة لحجرتى .. حسبته يعقد صفقة جديدة فى هذا الهزيع الأخير من الليل .. وطرقت باب حجرته وجدته غارقاً فى ركام هائل من المنشورات والمطبوعات والعقود وقد برزت احشاء حقائبه وتناثرت من كل حجم ولون .

ماهذا يامستر باركان .. ولماذا تصرخ؟

ارتب الحقائب .. انظر كم هى مثيرة .. وكلها تكتظ بالمشروعات والاوراق اكثر من الملابس ..

كان الرجل يرطن ويتشاجر مع زوجته كأى زوجين يعدان الحقائب ليلة السفر .! وما ان انفض الشجار والصراخ حتى التفت الي وانطلق كالقذيفة ليحدثنى عن مشروعاته ويعرض علي الجديد منها .. وصرخت فيه : عندى الكثير منها يامستر باركان .. ولا داعى لفتح الحقائب مرة أخرى ..

قال دون يأس : فقط .. مجرد ديوانى الاخير ..

قلت له : اعطيتنى نسختين منه .. الا تتذكر .؟

قال :إذن انظر هذه القصيدة الأخيرة .. القصيرة .. ارجوك .. ترجمها لي واكتب الترجمة العربية تحتها ووقع باسمك ..

القصيدة إسمها الصفر .. وهى سطور قليلة تقول :

الصفر حلم بلا صوت
بلا وقت ولا مكان
أنا انتظر فوق طبق
وحولى الأفواه فاغرة
لتاخذنى فى اعماق سكونها
أنـــا صفـــر ..
مجـرد صفـر ..
دعنى اكون مسموعــاً .!

هذا هو الوجه الثانى من المهرجان .. صفر يتمنى أن يكون مسموعاً ويتمنى من اعماقه لو اضيفت له عدة ارقام ليصبح مليونيرا ..

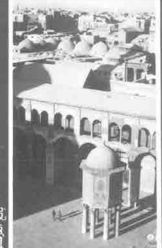
ولم ينقذنى منه .. إلا شخير زوجته الذى ارتفع ينذره بالكف عن الحديث ..

وتسللت بدورى على الفور الى غرفتى لاستقبل فى الصباح يوماً اخر من ايام المهرجان .

فتحى سعيد


الغناء بارق الاشعار


نقش زجاجى (٤٩٠ ق.م)



الجامع الأموي



بائع العرقسوس



الحلواني



يامال الشام

كمال سعد

- الحنين إلى البيوت القديمة التى حجبت ضوء الشمس من التسلل للزقاق!
- القائد الذى أعاد أمجاد الشام فى الأندلس على هوية الإنسان العربى!
- عطور الياسمين التى ظلت تملأ أزقة دمشق بأرق النسمات وأعذبها
- عندما تغنى البنات تحت دالية العنب وبين أحواض الزهور والورد!

عشقت مثلها دمشق القديمة ،وتمنيت ان اعود الى ايامها الخوالى لانام فى حضن الغوطة التى تتعانق اغصان اشجارها تحت جبل قاسيون ، فى هدوء وقناعة ..

وما من مرة ذهبت فيها الى دمشق الا ووجدت نفسى اتامل سورها الضخم بابراجه العديدة .. او ابحث عن ابوابها التسع التى ما زالت باقية على حالتها الأصلية ولم ينقص منها غير باب واحد هو باب النصر الذى كان عند مدخل سوق الحميدية وهدم منذ ١١٧ عاما ..

وكثيرا ما كنت اتساءل عن بانى هذه الأبواب التى كانت تغلق ليلا إما فى الغروب أو بعد العشاء خوفا من اى عدوان مباغت ، بينما كانت الزهور تباع امامها بكل الوانها الزاهية المبهجة فى وضح النهار ..

وكان الجواب ياتينى دائما مؤكدا ان كل الأبواب تركتها لنا العهود العربية ، فيما عدا الباب الشرقى فهو من العهد الرومانى ..

وانبهارى دائما كان يزداد كلما رايت من جديد المسجد الاموى بما فيه من آيات فن العمارة الاسلامية ، بمئذنته الجميلة التى يقال ان العالم الاسلامى لم يعرف المآذن الا من المسجد الأموى ، وتبعه بعد ذلك جامع عمرو بن العاص فى الفسطاط..

وكنت مثلها ـ ايضا ـ احن الى البيوت القديمة التى تلامست مع بعضها البعض فحجبت الشمس من التسلل الى الزقاق الضيق ..

وفى رحلة الذكريات فى دمشق القديمة امتعتنى تلك الدراسة الطويلة التى اعدتها سهام الترجمان عن المدينة التاريخية التى تستعد نساؤها لرحلة الحمام بسرور عظيم .. وتغنى بناتها تحت دالية العنب وبين احواض الزهور والورود ..ويلتف اطفالها حول المسحراتى وهو ينقر على طبلته فى ليالى رمضان شاكيا للزمن اولاده السبعة وزوجته التى لا تاكل غير الجوز والتين والزيتون !

وبروح الفنانة التى تبكى فى ضميرها على دمشق القديمة التى تتهدم كلها ، ليعمر مكانها دمشق جديدة من الاسمنت والحديد والزفت ،نراها مرة متعاطفة مع







دموع فلاحى بساتين الشام وخاصة بساتين الربوة الشهيرة التى خلدها الشعراء باشعارهم لانهم لا يريدون ان يتركوا بيوت الطين واحواض زهورهم واشجارهم الخضراء وانهار بردى السبعة .. ومرة اخرى تتحدث بلهجة اهل مدينتها الذين يحسون بانهم امتداد لصقر قريش الدمشقى الاموى عبد الرحمن الداخل بن معاوية الذى اعاد امجاد الشام والامويين فى عمران الاندلس وحضارة الاندلس باسلوب العمارة الدمشقية العربية وعلى هوية الانسان العربى ، بعد ان كاد الحريق الكبير ياتى على ما تبقى من اصالتها وروحها ومعالم حضارتها ..

ويخفق القلب لهذا النغم الذى تحمله اغنية دمشقية قديمة ، تهز الوجدان ، وتعيد للاذهان خلود دمشق ، وهمسات حب جدرانها القديمة التى اندثرت مع الزمن .. فالاغنية لفنان دمشقى اصيل هو ابو خليل القبانى ، ما زال لحنه شائعا لانه يهز الوجدان ويعيش فى الذاكرة كالخاطر الحلو الذى يستصرخ فينا الحنين الى نهر المحبة والبيت العربى العتيق وعطور الياسمين التى ظلت تملأ رئتى دمشق على مر العصور :

يامال الشام ياالله يامالى
طال المطال ياحلوة تعالى
طال المطال وجيتى عالبال
مايبلى الخال عالخد العالى
* * *

طال المطال طال وطول
الحلوة تمشى وتمشى وتتحول
ياربى يرجع زمن الاول
يوم يالطيف ما كان على بالى
* * *

طال المطال وعيونى بتبكى
وقلبى ملان ما بقدر بحكى
يارب يكون حبيبى ملكى
يوم يالطيف ما كان على بالى
* * *

طال المطال وما شفناهم
يوم الاسود يوم الود عناهم
يا ربى تجمعنى معاهم
يوم يالطيف ماكان على بالى

يامال الشام

على ضوء مصباح الغاز كان "أبو علي" يروي حكاياته الشعبية من فوق التخت العالي!

الرحلة المثيرة

واشعر وانا اتصفح اوراق سهام الترجمان ، انها فعلا ابنة دمشق العتيقة ، وان فى اعماقها ما زالت تعيش تلك الطفلة الصغيرة التى طالما جرت فى حارات المدينة القديمة التى تكاد بيوتها من شدة القرب ان تقبل بعضها بعضا!

فهذا الحنين البالغ الى احياء الشام ذات الرائحة الخاصة .. وهذا العشق المفرط لبيوت حى « سوق ساروجه» الذى كانوا يسمونه « استنبول الصغيرة » لشدة عراقته وجماله واصالته .. وقبة السيار .. واهل الكاف .. وقبر الشيخ محى الدين بن عربى .. وكرسى الداية الذى طار بمدفع فرنسى .. والشوارع ذات الارض الحجرية النافرة .. والأسواق الكبيرة والصغيرة .. والحمامات الشعبية الشهيرة التى كانت ضحكات الاطفال تتردد فى مقاصيرها وتتصاعد مع البخار الذى يملأ ارجاء المكان .. كل ذلك وغيره يجعلنا نتوجع مثلها على ما اندثر وضاع قائلين :يا مال الشام ! .

ودعونا نتركها تروى لنا ما علق فى ذاكرتها عن حمام الورد وحمام الجوز وحمام الخانجى وحمام ملكة فى الدرويشية اجمل حمامات دمشق الذى حرمت من رؤيته لانه مخصص للرجال ! .

ان صورة ما قبل الحمام ما زالت عالقة فى ذهنها ...كانت دائما تستعد للرحلة المغرية بسرور عظيم .. وتذهب الى الحمام ببقجة الملابس النظيفة وبقية الاغراض ..

وداخل الحمام كانت البلانة تساعد امها فى غسل الرؤوس وتفريك الأجسام التى تشبه تماثيل من المرمر الابيض ملفوفة بفوط خمرية مقلمة بخيوط القصب الذهبية ..

اهلا وسهلا

وتكتمل الصورة داخل الحمام عندما نرى عروسا تلتف حولها النساء فى بهجة ومرح وهن يطلقن الزغاريد والكلمات الصريحة الواضحة .. وعجوزا



الأزياء الشعبية



المؤذن

تنفض الحنة من رأسها فتسيل على ارض الحمام.. وخناقة بين عدة نسوة تكاد تنتهى بالضرب بطاسات المياه .. وطفلا يصرخ ويبكى فى حضن امه بعد ان دخلت رغوة الصابون فى عينيه .. وامرأة بدينة تجرى وراء ابنتها الصغيرة الهاربة لتضربها وتشدها من شعرها وتعيدها الى المياه الساخنة .. وحاملا تسير متثاقلة .. وفتاتين ترش كل منهما الأخرى بالماء البارد ..

وبعد نهاية كل حمام تشاجر اخواتها عندما تبدأ مشكلة من سيحمل بقجة الملابس المتسخة بينما تحاسب امها المعلمة التى تجلس على المصطبة لتستقبل القادمات بكلمة « اهلا وسهلا » وتودع الرائحات بكلمة « حمام الهنا »! .

ابو على وعنترة

وتنتهى رحلة الحمام لتبدأ رحلات اخرى مع الذكريات القديمة ..

القصاص الشعبى ابو على الذى كان يصعد الى تخته العالى فى القهوة ويلتف الناس حوله بعد العشاء ليستمعوا الى قصصه المضحكة التى كان يرويها على ضوء مصباح غاز ، وهو ينط ويحرك يديه والناس غارقة فى ضحك يصل الى درجة الدموع والشهيق

والأمثلة الشامية العامية التى كان من الطفها : « جوزى بيحبنى قوية .. اهلى بيحبونى غنية .. جيرانى بيحبونى ايديه سخية » .. و «العروس بعقلها وقة اكلها » .. و « الكلب اللى بيعوى معك احسن من اللى بيعوى عليك » ! .

ورائحة العطور والصابون والشموع والتوابل التى تشمها فى سوق « البزورية» وانت فى طريقك الى قصر العظم اجمل القصور العربية ، والذى جند له اسعد باشا والى دمشق اعظم الفنانين فى القرن الثانى عشر الهجرى ، وانتهى بناؤه بعد ثلاث سنوات فى وقت كان اهالى المدينة يعانون من الغلاء ، ورووا عن صاحبه انه كان كلما سمع بقطعة نادرة او تحفة من رخام او قيشانى ارسل جنوده ليأتوا بها سواء رضى صاحبها او ابى ! .

ولايمكن مطلقا ان تتوه سيرة عنترة وسط طوفان الذكريات .. فلا توجد اسرة شامية لم تسمع القصة من الأب او الأم ..

السكون الكامل

ونعود الى البيت العربى الواسع الذى تقفز على سطحه قطط الشام

● هربت مع عائلتها الى بيت حديث لا تدخله الحشرات..
فدخلت الى بيت لا يسلم جيرانه على بعضهم البعض!

السمينة المدللة ، والذى كانت تلعب فيه تحت دالية العنب وبين احواض الورود والزهور ، وتغنى مع بنات الجيران وهن يرقصن فى حلقة « يا بنت الملوكى ..جايين يخطبوكى .. على شقفة طينة .. بتعمر مدينة .. حارتنا لولو ومرجان الخ»

واثناء اللعب كثيرا ما كان يقرصها الدبور الذى لم يكن له دواء فى البيت غير النوم ! .

وفى بيتها العربى القديم رات حشرات كثيرة مثل الحية والعقرب وام اربعة واربعين والحربأية والنملة .. فهربت مع عائلتها الى بيت حديث لاتدخله الحشرات .. وايضا لا يسلم جيرانه على بعضهم البعض ! .

وفى نفس البيت نرى تقاليد الشام الشعبية فى شهر رمضان المبارك .. فلا طفل فى الحارة يفطر .. وفى انتظار مدفع الافطار يلتقى افراد الأسرة حول مائدة الافطار العامرة بالطعام والخشاف وقمر الدين..أما فى الأسواق فان الزحام على اشده والأطباق تتصارع عند بائع الفول وحمصانى راس الحارة ..بينما الخباز يدفع بالأرغفة الساخنة للأيدى المتلهفة !

وعندما يطلق المدفع فان انوار المآذن تضىء .. ويؤذن المغرب .. ويصيح الأولاد فى كل مكان مهللين فرحين .. ويركضون بالقباقيب الصغيرة نحو البيوت لتصبح طرقات المدينة فى حالة من السكون الكامل ! .

الحلم بالعيد

وفى رمضان لابد أن يصلى الناس صلاة العشاء والتراويح فى المسجد الأموى .. ولابد أن يلتف الأطفال حول المسحراتى وهو ينقر على طبلته ويوقظ الناس قائلا : « يانايم وحد الله .. يامؤمنين يللى تحبوا الله والنبى .. قوموا اعبدوا الله وصلوا على النبى .. يللى فاتك الصلاة والصوم .. قوم جدد عهدك مع الله والنبى » .

وكثيرا ما يطلب منه الأطفال أن يغنى لهم اغنية خاصة ، فيغنى لهم قائلا :

الحى القديم

«شرم برم حالى غلبان .. عالضراير والربة .. وربوا على قلبى دبلة .. ومن جورهن بعت الطبلة .. وصرت داير غلبان .. الله بلانى بالقرعة .. وسنانها سنان الضبعة .. حبلت وجابتلى سبعة .. تلت قطط وأربع فيران .. شرم برم حالى غلبان .. اخذت واحدة من جسرين .. مابتاكل غير جوز وتين .. قالوالى روح يامسكين .. بكرة بتصفى بلا نسوان .. شرم برم حالى غلبان » !

وتتكرر صورة مسحراتى رمضان كل ليلة إلى أن تاتى وقفة العيد ، ويسمع الأطفال مدافع الوداع ، فيغنون فى مرح وبراءة : «شعل ضو .. انطفا ضو .. قال المدفع بوبوبو » !

ويصعدون الى النوم مبكرين .. وينامون وهم يحلمون بالحذاء الجديد .. والثوب الجديد .. والشريطة الحمراء ..

● هـذه الصور الحية النابضة بالحركة والصراحة والعفوية تعيد لأذهاننا البيت العربي العريق والديار المفتوحة.

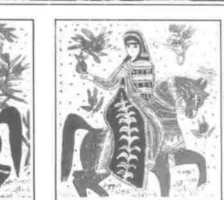

سهام الترجمان

والعيدية .. وحرية اللعب .. والطعام الطيب .. والفرجة على السلامك فى سوق الحميدية .. ودمشق المليئة بالزينات !

العودة للأصل

وعندما تنتهى ايام العيد الثلاثة تعود دمشق القديمة الى سيرتها الأولى


قصر العظم


ابو الفوارس


عنتره بنت مالك

.. والبيت العربى .. والديار المفتوحة .. والمراة الجميلة التى تغسل الديار وفى يدها سطل ومقشة وقبقابها يرن على البلاط الحجرى وأسوارها الذهبية الرفيعة تخشخش فى معصمها ، وضحكاتها تلمس القلب ، وبياضها بياض الفل ، وعيناها بلون العسل ..

وكثيرا ما نشم رائحة البدنجان المقلى بالزيت تعبق البيت .. أو سيدة ماهرة تدق الكبة فى جرن الكبة .. أو رجل ينادى فى دكانه على بضاعته .. او كرباج يحاول الوصول من مقدمة العربية الى ظهر صبى معلق خلف الحنطور .. أو أذان الظهر فى مأذنة قريبة .. أو صغار وصغيرات بالصدارى السود يتفتحون كأزرار الفل فى الشوارع .. أو ستارة مخملية تهبط فجاة .. أو ثائر يختفى خلف جذع شجرة من اشجار الغوطة فى يده بندقية ستصطاد مستعمرا فرنسيا .. أو شيخ فى الجامع الأموى يصلى ويدعو الله ان ينصر الاسلام والمسلمين .

وتتعدد الصور .. من نسوة بالملاءات السود يملأن سوق الحرير والقيشانى .. الى صوت خرير المياه فى النهر المسافر عبر البيوت يبعث على الراحة .

إلى عروس تغنى لها البنات « اسم الله اسم الله يازينة .. ياوردة جوة جنينة .. قومى العبى بحبل اللولو .. وافردى شعرك على طولـه .. خليهن يحكو ويقولو .. آه ياحلاوة ياعسلية » ..

وتتوالى الصور حية نابضة بالحركة والصراحة والعفوية التى تكشف العواطف دون لف أو دوران .. وتطل الكلمات وكأنها قادمة من غوطة دمشق ، مصحوبة برائحة الفل والياسمين والأزهار ، لتردد دائماً مع كل سطر ، ومع كل إحساس جميل : ياما الشـام !

كمال سعد



خيرية البشلاوى

مات أعظم ممثلى الكوميديا

فى الاسبوع الاخير من يوليو الماضى مات الممثل الانجليزى بيتر سيلرز فى مستشفى بلندن اثر أزمة قلبية حادة ..

وبيتر سيلرز هو احد اعظم ممثلى الكوميديا فى العالم .. وقد بدا موته مفاجئا لمن لا يعرفون او يتابعون اخباره الخاصة ، خاصة وان سيلرز الفنان كان موجودا ومنتشرا فى مهرجان كان السينمائى الاخير فى مايو الماضى .. وكان فى حالة من المرح الشديد ، ويبدو حيويا واقل من عمره الحقيقى (٥٤ سنة) .. وكانت ابتسامته الساحرة لا تفارق وجهه ، مثلما لا تفارقه زوجته الصغيرة الجميلة (ليد) التى جلست الى جواره فى المؤتمر الصحفى الذى تلا عرض اخر افلامه بعنوان « ان تكون هناك » للمخرج الامريكى «هال اشبى» . وكان جمالها ملفتا للانظار !

ولكن ربما كان سيلرز يضع وقتها قناعا من الاقنعة الكثيرة التى اعتاد ان يستخدمها فى ادواره .. او ربما كان يتقمص إحدى الشخصيات التى ظل يمتع بها جماهير السينما فى العالم كله طوال اكثر من عشرين سنة فالاخبار والحكايات والتحليلات التى حفلتها الصحف ووكالات الانباء على اثر وفاته تؤكد ان حياة هذا الفنان الخاصة قد تميزت بالزيجات الفاشلة والصحة العليلة !

البحث عن هوية

وكان سيلرز يقول لاصدقائه ، ليس لدى ما يدلنى على من هو بيتر سيلرز .. وكان ميالا فى السنوات الاخيرة الى الغرق فى فترات طويلة من الوحدة والكآبة ، وفى إحدى هذه الفترات قال :

مات أعظم ممثلى الكوميديا

«لست شخصا مسليا فى اى حفلة ، وإنما اجلس منزويا فى أحد الأركان»!

ولقد ولد بيتر ريتشارد هنرى سيلرز فى شاحنة لاحدى فرق المسرح المتجولة فى ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٥ فى بلدة «سوث سى» الانجليزية حيث كان والداه العضويين فى الفرقة يشتركان فى إحدى جولاتها .

ونشا بيتر مع هذه الفرقة الى أن قامت الحرب العالمية الثانية فعمل لفترة مع فرقة العروض الموسيقية التابعة للسلاح الجوى الملكى ، ثم اصبح نجما إذاعيا فى بريطانيا فى الخمسينات ، وكان يقدم سلسلة استعراضات تحت عنوان «جودن شو » ..

وكان دخول سيلرز الرئيسى الى عالم الأفلام السينمائية فى الفيلم البريطانى «إننى على مايرام جاك» ، حيث لعب دور مسئول متلاعب فى إحدى النقابات ، ثم أصبح نجما عالمياً فى اوائل الستينات حينما اشترك مع صوفيا لورين فى بطولة «المليونيرة»

متاعب المخبر السرى

ومن بين جميع ادواره اشتهر سيلرز بدور «المفتش كلوزو» المخبر السرى الفرنسى غريب الاطوار فى الأفلام التى عرفت باسم بنك بانتر .. وقبل وفاته بأيام قليلة كان قد بدأ العمل فى سيناريو الفيلم الخامس من افلام بنك بانتر بعد ان اشترك فى اربعين فيلما طوال حياته

ولكن على الرغم من نجاحه الكبير على الشاشة فان حياة سيلرز شابتها المشاكل المنزلية . فقد تزوج أربع مرات . كان زواجه الأول واطول زيجاته عمرا هو زواجه من الممثلة الاسترالية «آن هاو» التى انجبت له طفلين .

وفى أوائل عام ١٩٦٤ تزوج من الممثلة السويدية «بريت اكلاند» وكانت فى الحادية والعشرين من عمرها ، فانجبا «فيكتوريا» التى تبلغ من العمر الآن ١٥ سنة . ثم انفصلا بعد خمس سنوات من الزواج .

وفى سنة ١٩٧٠ تزوج من « ميراندا كـداري » ثم انفصلا .

ومنذ ثلاث سنوات فقط تزوج سيلرز من ممثلة ناشئة اخرى اسمها « لن فريدرى » وقد مات وهى زوجته .

مع شيرلى ماكلين

وفى عام ١٩٦٤ اجريت لبيتر سيلرز جراحة خطيرة فى القلب ، حيث زرع له جهاز لتنظيم ضربات القلب بعد سلسلة من الأزمات القلبية ، ولكن فى عام ١٩٧٧ واجه سيلرز ازمة قلبية اخرى عندما اصاب العجز جهاز التنظيم المزروع فى قلبه .

وفى أوائل عام ١٩٨٠ هاجمته ازمة قلبية مفاجئة نقل على اثرها الى المستشفى ولكن الأزمة القاتلة الأخيرة هاجمته فى فندق « دور شستر » بلندن يوم الثلاثاء الموافق ٢٢ يوليو الماضى .

الخوف من المهرج

وقد اعترف بيتر سيلرز ذات مرة بان الأزمة التى كانت تعاوده كثيرا هى ازمة بحثه المستمر عن هويته الحقيقية وقدرته على تجسيد هذا الخليط الغريب من الشخصيات الفنية .

وقال : لن استطيع ابدا ان اصبح نجما حقيقيا لهذا السبب ، فانا ممثل شخصيات ، ومع ذلك لم استطيع ابدا ان امثل شخصية بيتر سيلرز بالطريقة التى يمثل بها كارى جرانت شخصية كارى جرانت على سبيل المثال ، لاننى لا املك تصورا محددا عن نفسى .

وقد كان سيلرز اول ممثل كوميدى يعترف بخوفه من القيام بدور المهرج فى حياته الخاصة . وقال « لا يوجد فى ملامحى اية سمة فكاهية».

وليس هناك ما اخشاه اكثر من ذلك الصمت البغيض الذى يخيم حينما تستقبلنى جماعة ما من الناس . فاعرف انهم يفكرون بينهم وبين انفسهم وسط الصمت المطبق قائلين هاهو قد وصل ، وفى اية لحظة فانه يمكن ان يقول او يفعل شيئا يجعلنا ننفجر من الضحك ، ولكننى لا افعل شيئاً من ذلك بالطبع . وقد قالت زوجته « لن » ذات مرة : إن عقله فى حالة غليان مستمر بحثا عن الغرض من وجوده فوق هذا الكوكب وما إذا كان وجوده يساوى شيئا على الاطلاق .

فلسفة عدو النقود

وقد تجلى انشغال بيتر سيلرز بالبحث عن هويته الحقيقية وعن معنى حياته فى تصميمه على أن يلعب دور «تشانس» فى فيلم «أن تكون هناك » الذى رشح لاحدى جوائز الأوسكار فى وقت سابق هذا العام ، كما توقع جمهور مهرجان كان السينمائى الذى عقد فى مايو الماضى ان يفوز عن هذا الدور نفسه بجائزة التمثيل . وقد جسدت شخصية





كان يعتبر نفسه ممثل شخصيات وليس ممثلا كوميديا

«تشانس» بشكل واضح اصرار بيتر سيلرز المستمر على انه لا يملك شخصية متميزة وذلك لتقديمها شخصية رجل لا يعرف شيئا عن العالم إلا من خلال التليفزيون .

ومن بين الشواهد القوية على قلقه فى حياته الخاصة كان رفضه القيام باى دور على المسرح متعللا بانه لا يستطيع ان يؤدى الدور نفسه بالكلمات والحركات نفسها ليلة بعد ليلة طوال شهور .

ويتجلى نفس المعنى اى القلق وعدم الاستقرار فى بعض عاداته كتغييره للسيارات مثل الجوارب . فقد اشترى سبعين سيارة فى سبع سنوات ، وقد كان مسرفا اسرافا غير عادى وكان يقول «انا لا اؤمن بان اكون اغنى اهل المقبرة» وقال ايضا « النقود لا تجلب السعادة » هل رأيتم ابدا مليونيرا مبتهجة ؟؟ » .. او يفعل الاشياء التى يريد أن يفعلها ويعيش الحياة التى يعتقد انها الاكثر اهمية » .

وقد سئل ذات مرة عن اقصى طموحاته فاجاب « اظننى مازلت بحاجة الى ان اعثر على ذلك (العمل) الكبير الفريد الذى يجعل الناس تتذكرنى دائما !

وحينما سمع الخبر المخرج الامريكى «بلاك ادوارز» الذى قام باخراج افلام سيلرز الخمسة عن « المفتش كلوزو » قال « ... إن موت سيلرز ضربة مؤلمة فقد فقد العالم موهبة كبيرة » !

اما الكاتب الامريكى « جو هيامز » الذى اشترك مع سيلرز فى كتابة سيرة حياته تحت عنوان « سوق سيلرز » فقد قال « إن سيلرز كان رجلا شجاعا رفض أن يسمح لقلبه الضعيف بان يعطل عمله وكان يريد ان يشرع فى مراجعة مخطوط الكتاب فى اليوم التالى لموته وحينما قلت له إنه لا يستطيع ان يعمل وهو مريض قال لى « لا تهتم فان عليك ان تعيش قبل أن تموت وإلا فسوف تموت قبل أن تعيش»!

اما الممثلة «الكا سومرز» التى لمعت مع سيلرز فى فيلم «طلقة فى الظلام» فقالت انه كان ممثلا يسهل على زملائه الممثلين العمل معهم . وقالت : لقد كان رائعا فى ارتجاله اسلوب ادائه التمثيلى حينما تبدأ الكاميرات فى العمل . وشهدت بعكس ما كان سيلرز يقوله عن نفسه فقالت إنه شخصية دافئة للغاية وممثل كوميدى عظيم .

صاحب الألف صوت

اما بيتر سيلرز نفسه فكان يحب ان يصف نفسه بانه الرجل الذى لا كيان له ، لكنه الذى يملك الف صوت .

ورغم ان النقاد فى الغرب وصفوه بانه واحد من اعظم ممثلى الكوميديا السينمائية منذ شارلى شابلن ، وواحد من ألمع الشخصيات ، فقد كره سيلرز دائما ان يمثل شخصيته الخاصة او ربما كان كرهه نابعا من عجزه عن ادراكه لشخصيته فقد كان يقول إننى لاشىء على قدر علمي وليست لى شخصية اتميز بها من اى نوع . ليست عندى شخصية اقدمها للجمهور . وليس عندى ما اعرضه .

ممثل شخصيات

ورغم ان النقاد والمخرجين وصفوه بانه ممثل كوميدى ، فقد كان سيلرز نفسه يصر على انه ليس ممثلا كوميديا ، وإنما ممثل شخصيات ، وذلك ايضا على الرغم من اصراره كما قلنا بانه لا يملك شخصية خاصة به .

وقد تكون الشخصية التى يمثلها شخصية عالم مجنون او ضابط مولع بالقتل او دوق ارستقراطى متعالى ، او مخبر سرى دائم الهذيان باسرار القضايا ، ولكنه لم يكن يستطيع ان يعثر على مكونات شخصية بيتر سيلرز نفسه ومن اكثر افلام سيلرز شهرة فيلم «الفار الذى زأر» وفيلم « انا بخير ياجاك » و «لوليتا» و «الدكتور سترينج لوف » و «عالم هنرى اورينت» و «كازينو رويال» و «فتاة فى حسائى» و «ماالجديد يابوسى كات» و «ماك جونجال العظيم» .

وقد مثل اول افلام المفتش كلوزو مع المجرم العتيد بنك بانتر عام ١٩٦٣ فى الفيلم الذى حمل عنوان « بنك بانتر » ، ثم قام بتمثيل نفس الشخصية — المفتش كلوزو — فى افلام «طلقة فى الظلام » و «عودة بنك بانتر» و «بنك بانتر يضرب من جديد» و «انتقام بنك بانتر» .

وكان سيلرز يعتزم ان يكتب بنفسه قصة وسيناريو الفيلم السادس من نفس السلسلة بعنوان « حكاية حب بنك بانتـر » لولا أن عاجله القدر فمنعه من ان يتحول الى كاتب لقصص وسيناريوهات افلامه ، وإن كان قد ترك بعض سطور من قصة حياته ..

خيرية البشلاوى

جمال قطب

صياغة التحف المعدنية



أقدم ابريق نحاسى من القرن الثانى الهجرى

فلننقب سوياً تحت تراكمات السنين لنستعرض إحدى اللمسات العبقرية على لوحة الفن الاسلامى عبر عصوره المزدهرة ؛ الا وهى صياغة التحف المعدنية . وفن تشكيل المعادن فى دول الاسلام هو واحد من اهتمامات شتى ضمن الهيكل العام للفن الاسلامى الذى واكب النهضة العامة للامبراطورية الاسلامية الظافرة منذ تألقها فى اواخر العصر الأموى وحتى افول نجم الدولة العثمانية على مشارف العصر الحديث .

أول الغيث

وقد كانت اولى المحاولات الجادة لايجاد فن اسلامى ذى طابع خاص ، فى النصف الثانى من القرن الأول للهجرة ايام حكم بنى امية . فالعصر الاموى هو الفترة التى ظهرت فيها اولى المدارس الفنية الاسلامية ، وهى التى عرفت « بالمدرسة الأموية » . ولم تتبلور شخصية الفن الاسلامى بكل ملامحها إلا بعد قرابة قرنين من الزمان . ويسمى الباحثون والمؤرخون هذه الفترة بالمرحلة الانتقالية من فنون ما قبل الاسلام الى الفن الاسلامى بشخصيته المميزة .

وعلى ذلك ، فكان من الطبيعى أن يتاثر الفن فى هذه المرحلة باسلوب وفنون الحضارات السابقة ، اهمها الفن الساسانى الذى إزدهر قبيل الاسلام على ارض فارس وبلاد مابين النهرين ..

وعلى ذكر الفن الساسانى وعلاقته بالفن الاسلامى ، فان كثيرا من المؤرخين والأثريين ـ ومعظمهم من المستشرقين ذوى النزعات المغرضة ـ يرجعون فنون الاسلام الى الفن الساسانى على انه فن فارسى وعلى اعتبار ان الساسانيين كانوا فرسا كحقيقة لا تقبل المناقشة ، وان دولتهم بناء على ذلك كانت فارسية . ومن هذا الزعم ، صدرت موسوعة الفن الفارسى .

تلك الموسوعة الضخمة التى تغطى جميع العصور من قبل التاريخ حتى اواخر العصر الاسلامى ، وفيها استعراض مسهب للفن الساسانى على انه فن فارسى صرف ـ وهم بذلك ـ ونقصد المستشرقين الذين وضعوا هذه الموسوعة من امثال (إريك شرودر، وارثر اوفام بوب ، ودونالد ويلبر) وغيرهم ـ قد اغمضوا اعينهم عن حقائق تاريخية لاتقبل الشك وهى أن الدولة الساسانية التى اتخذت عاصمة لها (المدائن) على ارض العراق قد اتخذت كذلك الطابع العراقى فى شتى مجالات الفنون ، بل أن العراق بكل عناصره العربية وموطن الغساسنة والمناذرة ، قد ظل مركز حكم القطرين (العراق وفارس) منذ ان قضى الاسكندر الاكبر على الدولة الاخامينية عام (٣١٢ق.م) وحتى نهاية الدولة الساسانية التى قضى عليها العرب المسلمون عام ٦٤١ م . وهناك نقطة هامة يجدر توضيحها وهى أن الحضارة الفارسية ذاتها ، بل واسم فارس لم يبدأ فى الظهور بين اسماء الدول ذات الحضارات إلا مع تكوين الدولة الاخامينية فى حوالى منتصف القرن السادس قبيل الميلاد ، والتى انتهت سريعا على يد الاسكندر المقدونى بعد ٢٢٠ سنة فحسب (٥٣٩ ـ ٣٣١ ق.م) .

وبعد هذه الفترة الوجيزة انتقل الثقل الحضارى الى العراق حيث العنصر العربى الفعال فى بناء الحضارة ، وحيث كان الساسانيون يعتمدون على الغساسنة والمناذرة وغيرهم من القبائل

فانوس من البرونز





مبخرة من النحاس الأصفر

العربية الأخرى فى الأعمال اليدوية الماهرة ، كفنون التشييد والصياغة وشتى الفنون التطبيقية .. تلك التى عرفت بالفن الساسانى ..

ونخلص من هذا الأستعراض الى ان الفن الساسانى الذى يعتبره المستشرقون فنا فارسيا ، ويرجعون إليه اصول الفن العربى الاسلامى .. ماهو إلا فن ساهم العرب بالنصيب الأوفر فى بناء شخصيته بل فى بناء الحضارة الساسانية جمعاء ولكن المستشرقين ـ بسوء نية ـ قصدوا أن يرسخوا فى أذهان العالم أن دور العرب فى تلك الديار كان عسكريا فحسب ، أما الفن والثقافة والحضارة .. فلابد وأن يكون لها مرجع غير عربى وأصول غير عربية ، لكى يكون الفضل فى النهاية لغير العرب ولغير المسلمين .. وهذا مانجحوا فى الوصول اليه إلى حد كبير .. وساعد فى ذلك فراغ الساحة من الباحثين والمؤلفين من العرب المسلمين .. واحتكار هؤلاء المستشرقين لمصادر البحث والمراجع العلمية واضعين بين صفحاتها ماطاب لهم وما يرضى أهواءهم الصليبية المغرضة .

إبريق من البرونز

وجدنا أن الاثار المعدنية لهذا العصر الأموى متاثرة بالفن الساسانى ، وهى آثار نادرة وموزعة الآن على متاحف العالم . وفى المتحف الاسلامى بالقاهرة نرى أثراً رائعاً بالغ الأهمية ، إذ انه اقدم الآثار الاسلامية المعدنية فى العصر الأموى ، ويرجع الى القرن الثانى الهجرى وقد عثر عليه فى مصر فى منطقة الفيوم ، وهو عبارة عن إبريق من البرونز ابدع الفنان تشكيله فجعل صنبوره على هيئة ديك يصيح وغطى جسمه الكروى بالعديد من الزخارف النباتية ، وقد اصطلح على تسميته : إبريق مروان بن محمد ، آخر الخلفاء الأمويين . أما الحلى المعدنية ، فالبرغم من أن المصادر التاريخية قد ذكرت أن الخليفة وليد الثانى كان يقتنى عقوداً من المعادن النفيسة بعدد أيام السنة ، إلا انه لم يعثر حتى الآن على أثر لها أو غيرها من الحلى التى يمكن نسبتها الى العصر الأموى .

العناصر السائدة

نلاحظ أن الايرانيين لم يتخلوا عن عناصر الزخارف الساسانية التى كانت سائدة قبل الاسلام ، حتى أن الآثار الموجودة حالياً فى متاحف العالم من المشغولات المعدنية وترجع الى الدولة البويهية (٣٢٠ ـ ٤٤٧ هـ) قد نسبها بعض الباحثين خطأ إلى العصر الساسانى ، ولكن الأبحاث الحالية أثبتت بصفة قاطعة نسبتها الى الحكام البويهيين ، وضمن هذه التحف ، ابريق من الذهب الخالص صنع للأمير (بختيار بن مغر الدولة) الذى حكم فى العراق من ٣٥٧ ـ ٣٦٧ هـ . وقد ظهرت ضمن الزخارف كتابات حددت هذه الفترة على وجه اليقين .

وإذا ما انتقلنا الى العهد الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ) وجدنا أن الفنان فى هذا العهد يعيش عصراً ذهبياً بين مظاهر البذخ الفاطمى الشهير .. فصاغ نافورات القصور البرونزية التى تزينها السباع ، كما ابدع العديد من الأوانى والحلى والتماثيل . وقد عثر بين آثار الفاطميين على كنوز ثمينة من الحلى الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة ، والموشاة بالوان وزخارف المنيا ؛ وهذا التلوين فى حد ذاته تطور كبير فى فن الصياغه ، ومن الجدير بالذكر أن الأقراط المشكلة على هيئة (الهلال) هى من ابتكار الفاطميين ، وقد اقتبسوا شكل الهلال من التاج الساسانى القديم .

فن الصياغة

أما عهد السلاجقة الاتراك وهم الذين استولوا على الحكم فى ايران فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى بل وسيطروا بعد ذلك على العالم الاسلامى كله باستثناء مصر . فقد ازدهرت فيه صياغة المعادن وتألقت خراسان ، وهراة كمركزين هامين فى الصياغة .. واستحدثوا اسلوباً جديداً ورائداً فى عالم صياغة المعادن ، مازال متبعاً فى جميع انحاء العالم حتى اليوم وهو عملية التكفيت أو تطعيم الزخارف الغائرة بالشرائط والاسلاك المعدنية ، فتحفر النقوش على الأسطح المعدنية ثم تغطى بالشرائط من المعادن النفيسة كالذهب والفضة أو بأسلاك النحاس الأحمر ، ويمكن التكفيت بها جميعاً فى وقت واحد .

وسيطر هذا الأسلوب المبتكر ابتداء من منتصف القرن السادس الهجرى ، وانتقل من ايران الى الموصل بشمال العراق ، حيث كونت الموصل بعد ذلك مركزاً فنياً عالمياً كان نقطة الانطلاق الى سوريا ومصر كما سنرى بعد ذلك .

أما من ناحية الوحدات الزخرفية ، فنرى فى الفن السلجوقى أساليب جديدة كمناظر الصيد ومجالس الطرب والموسيقيين والبهلوانات.. كل ذلك فى موضوعات متكاملة وليست وحدات متفرقة .



خوذة مطعمة بالفضة

وكانت الكتابات العربية تتخللها بخطى الكوفى والنسخ فى تداخل وتوافق مع الصور الزخرفية ..

ولكن الغريب حقا أن السلاجقة قد ابتكروا شيئا مثيرا : فقد جعلوا نهايات حروف الكتابة على هيئة رءوس آدمية وحيوانية .. وكانت هذه بدعة غريبة فى الفن الاسلامى جعلت من السهل التعرف على آثار الفن السلجوقى من بين الآثار الأخرى .

ويمكننا أن نقول أن الفن فى هذه الفترة الزاهرة تميز بالابتكارات المتتالية المثيرة ، فقد استحدثت كذلك الأشكال المضلعة فى الأوانى المعدنية لأول مرة .. ووصل فن التكفيت الى غاية رفيعة أضفت على تحف هذا العهد أصالة وجمالا رائعاً .

التسامح الفنى

وعندما حكم الأيوبيون مصر وسوريا (٥٦٧ـ٦٤٨هـ) شجعوا الفنانين على الهجرة من (الموصل) الى مصر والشام ، ونتيجة لذلك ، إزدهرت مراكز الصياغة المطعمة بطريقة التكفيت وبنفس الاسلوب الذى ابتكره السلاجقة . ومن الملفت للنظر فى هذه الفترة أنه بالرغم من أن حكام الأيوبيين كانوا من السنيين المتشددين فى تطبيق الشريعة والسنة ، إلا أنهم قد تساهلوا وتسامحوا الى اقصى حد بالنسبة للفنانين من حيث رسم الاشخاص وصياغة التماثيل المعدنية . وقد استغل الفنان هذا التسامح الى أبعد الحدود ، وبالغ فى رسم الحياة الآدمية وتشكيل المجسمات ، وفى متحف (بروكسل) يوجد ضمن التحف الأيوبية ، إناء من النحاس المكفت بأسلاك الفضة ، وقد كتب عليه اسم السلطان الصالح ايوب حاكم مصر وسوريا . ومن الغريب أن النقوش على هذا الاناء تتناول موضوعات مسيحية برزت فيها صورة الرهبان ، ويرجح أنه صنع خصيصا لاهدائه لبعض الحكام المسيحيين فى الفترة التى اصطلح فيها الأيوبيون مع الصليبيين فى دمشق .

التدهور الفنى

ولما ابتدا الزحف المغولى عام ٦١٥هـ على البلاد الاسلامية ليلتهمها واحدة بعد الاخرى ، وحتى تصدى المماليك لجحافل المغول وهزموهم عام (٦٥٨هـ ـ ١٢٦٠م)، فى هذه الفترة ساد الفن بوجه عام كساد وتدهور ، وبدت المشغولات المعدنية فى أشكال وزخارف تعوزها الدقة والاتقان . وزاد التدهور فى ايران والعراق تحت وطأة الغزو المغولى الجديد وحكم الأسرة التيمورية (٧٧٢ـ٩٠٨هـ) ، ولم يترك لنا العصر التيمورى من آثار فنية ذات قيمة إلا ظاهرة كانت فريدة ومثيرة حقا ، وهى صناعة الأوانى الدقيقة من الاحجار الكريمة التى كان من أهمها حجر نصف كريم يسمى (حجر الجشم الاخضر) ؛ فقد انتشرت الخواتم المرصعة بهذا الحجر بين الحكام التيموريين ، وكما نرى ، فهو أثر متواضع من بين النكسة الفنية العامة فى ذلك العهد .

عهود الازدهار

بينما نرى فى نفس الوقت أن صياغة التحف المعدنية قد أزدهرت وتألقت فى مصر وسوريا تحت حكم المماليك (٦٤٨ـ٩٢٣هـ) ، وبلغ من البذخ أن غطيت الأبواب الخشبية الضخمة فى المساجد والقصور بالمعادن المزخرفة بوحدات (الأرابيسك) الرائعة ، المطعمة بالشرائط من المعادن النفيسة ، وتطرقت يد الفنان المبدعة إلى مجالات شتى فى صياغة المعادن ، فنراه يصنع شمعدانات المساجد ، والمناضد والكراسى وعلب المصاحف الشريفة والمحابر والثريات ومختلف انواع الأسلحة . وصاغ كل ذلك بالبرونز وطعم زخارفها بطريقة التكفيت بالشرائط المعدنية . وبلغت فنون التكفيت ذروتها ، كما بلغ فن (الأرابيسك) اكتمال شخصيته .

وأعتد الفنان بقيمته وعطائه ، ووجدنا التحف ممهورة بتوقيعه .. ولكن ما بعد القمة إلا الانحدار ! فنرى أنه فى أواخر حكم المماليك ، هبط مستوى الصياغة ، واكتفى الفنانون بالنقوش المحفورة على الأسطح دون تطعيم ، وبذلك تلاشى فن التكفيت تقريبا ، وانشغل الناس فى أمور الحروب والأزمات المتلاحقة .. وخبت جذوة الابداع والابتكار ! .



صينية مزخرفة من سوريا

تمثال لعنزة من البرونز



تمثال من البرونز لببغاء

الاسطرلاب العثماني

وعودة الى إيران مرة أخرى فى العصر الصفوى (٩٠٧ـ١٣٣٥هـ) لنرى أن المذهب الشيعى يصبح الدين الرسمى للدولة الايرانيه ولأول مرة عام ٩١٦هـ (١٥١٠م) ويزدهر الفن إزدهارا لم تشهده إيران من قبل ، وتصبح المشغولات فى هذا العصر نموذجاً رفيعاً لعبقرية الفنان المسلم ، وتطور (الارابيسك) وتحرر من القيود الهندسية الجامدة ، وتداخلت رؤى الفنان الذاتية بالأساليب التقليدية المتوارثة ، وبالتعبير العلمى : فقد اصبح الفن الصفوى وزخارف الارابيسك فى ذلك العهد (تكاملا وجدانيا بين القيود الذهنية والمنطلقات الحسية) !

ونصل الى آخر تطور للفن الاسلامى فى العصر العثمانى (٦٨٠ـ١١٣٤هـ) ، فقد تمكن العثمانيون من إخضاع معظم بلاد العالم الاسلامى ، واتسعت الامبراطورية العثمانية فشملت جنوب شرق أوربا والعراق والشام ومصر ، وظفرت بالسلطة السياسية والسلطة الدينية فى وقت واحد .. ورأينا ان (محمد الفاتح) يغزو القسطنطينية مركز الاثار البيزنطية ، فيتأثر الفنان المسلم بالفن البيزنطى ، ويصبح الفن التركى العثمانى فنا يجمع بين المذاهب والتيارات الشرقية والغربية ، وازداد إقبال فنانو أوربا على مناهل الفن الاسلامى ، وامتزجت الاساليب عند كلا الطرفين ..

وترك هذا العصر من الآثار المعدنية الدقيقة ما يشهد على العظمة والاجادة الفنية التى وصل إليها الفنانون حينذاك وخصوصاً فى عهد السلطان مراد الثالث الذى أطلق عليه لقبه المعروف : راعى الفنون .

إبداع الفنان المسلم

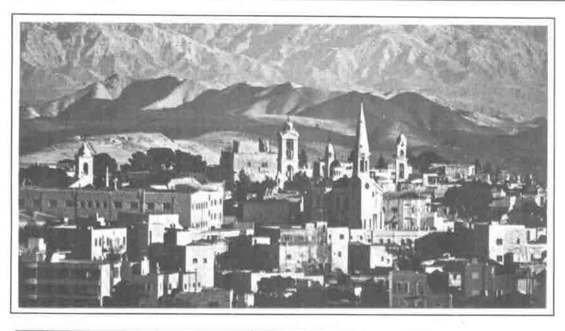
وإذا استطلعنا سريعاً حركة الفن الاسلامى فى شبه القارة الهندية وما حولها ، وجدنا أن الصلة بين الهند والعالم الاسلامى قد ابتدأت منذ عهد الخلفاء الراشدين ، ثم إزدادت فى العصر الأموى ، وتوثقت فى العصر العباسى حيث أسس بعض الحكام الاتراك دولا إسلامية فى افغانستان والبنجاب منذ القرن العاشر الهجرى ، وباتساع الدولة الاسلامية فى الهند ، ظهرت الفنون الاسلامية وفن (الارابيسك) بطابع فريد من منطلق تأثير الفن الهندى العريق . وبلغ الفن الاسلامى ذروته هناك فى القرن الحادى عشر الهجرى فى عهد السلطان «أكبر» وخلفائه «جيهان جير» و «شاه جاهان» . وتألق فن صناعة المعادن المرصعة بالأحجار الكريمة والمحلاة بنقوش يغلب عليها رسم الصور الشخصية ، حتى اننا نستطيع ان نؤرخ للحكام فى الدولة الاسلامية الهندية ، من واقع صورهم الشخصية على المسكوكات المعدنية . وكانت هذه الصور منفذة بأسلوب واقعى ذات طابع هندى خاص .

كما سجل الفنانون الغزوات والمعارك والعادات والأزياء بكل تفاصيلها ، وتحتفظ المتاحف فى الهند وفى عواصم العالم المختلفة ، بالمئات والآلاف من التحف ذات الطابع الهندى الاسلامى ، وقد امتزج فيها فن المشغولات المعدنية بالترصيع بالأحجار الكريمة ، بالتصوير الملون بألوان المينا ..

وهذه السمة البارزة هى أهم ما يميز الفن الاسلامى الهندى على باقى الفنون الاسلامية التقليدية ، ونلاحظ أن الفنان الهندى المسلم ، ظل يقتبس الوحدات الزخرفية المستمدة من العادات الهندوكية قبل الاسلام .. فقد كانت هذه التقاليد الراسخة فى أعماقه ، من القوة بحيث لم يستطع الفن الاسلامى بكل سيطرته الروحية أن يذيبها ويشكلها من جديد كما حدث فى بلاد الاسلام الأخرى ، ولكنها على أية حال ، إضافة حضارية إلى مناهل الفن الاسلامى .

وأخيراً .. يبقى السؤال الحائر المتردد : أين نحن من هذا التراث العبقرى الرائد .. ذلك الابداع الملهم الذى يحتل أقدس الأماكن فى عقل البشرية ومتاحفها على إتساع رقعة العالم أجمع .. فعندما اضيئت بصائرنا بنور الرسالة ، انعكس هدى قلوبنا على إبداعاتنا ، فبهرنا الانسانية بفنوننا الاسلامية الخالدة ! .

جمال قطب





عندما أبديت رغبتي في زيارة المسجد الأقصى المبارك ، اشار علي بعض الاخوة ان احقق امنيتى فى يوم الجمعة كي احظى بالثواب العظيم الذى رصده الله سبحانه وتعالى لمن يصلى فى هذا المسجد العظيم حيث ان «الصلاة فيه كالف صلاة فى غيره» كما ورد عن الرسول الكريم . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « من صلى فى بيت المقدس غفرت ذنوبه كلها » .

وبعد فجر الجمعة الرمضانية الثانية غادرت بيتى برفقة صديقى منير الذى لقيته فى مدينتنا الام «خان يونس» حيث لم أره منذ ماقبل نكسة حزيران بعامين حيث فرقتنا اعاصير الغربة العاتية .

هانحن نستقل السيارة ، والسيارة تطوى الارض بسرعة ملحوظة ، والركاب يتبادلون نظرات الاستياء ، فتطوعت نيابة عنهم واظهرت للسائق تخوفنا من شدة سرعته ، فاجابنى بلهجة تنم عن عدم الاكتراث : امامى خمس «نقلات» قبل صلاة الجمعة يا» استاذ » (والكل عند السائقين استاذ !) وهذه هى المرة الاولى ولا يمكننى التباطؤ فيها كى لا افقد الاخيرة ! فالاف المصلين يزحفون الى القدس فى يوم الجمعة بالذات من كافة ارجاء فلسطين بما فى ذلك الأرجاء المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، وهذه فرصة كسب اتاحها الله لنا .

... إلى بيت لحم

اخيرا .. وصلنا القدس فى السابعة صباحا ، فوجدنا ان الوقت مازال مبكرا على دخولنا المسجد الأقصى فامامنا خمس ساعات ونصف قبل أداء الصلاة ، فاقترحت على منير أن نذهب لزيارة بيت لحم القريبة جدا من القدس ، فلقد كنت تواقا ايضا لزيارتها ، فوافقنى الرأى واقترح ألا نتاخر فيها عن العاشرة حتى نضمن لنا جلسة تحت قبة المسجد .

وبعد اقل من نصف ساعة وصلنا بيت لحم ، وهبطنا من سيارة الأجرة فى باحة متوسطة المساحة ، وإذ نحن وجها لوجه امام كنيسة ضخمة لم أجد مشقة فى التعرف عليها . إنها كنيسة «المهد» التى طالما راينا صورها ، وقرأنا تاريخها ، هيا بنا ندخلها ، تردد صاحبى قليلا ثم قال : إننى لم ادخل اية كنيسة فى حياتى . قلت له : وانا كذلك . هيا بنا .. إنها فرصة نادرة ربما لا تتكرر !

واقتربنا قليلا .. لاحظنا جنودا صهاينه يتبخترون جوار باب الكنيسة الضيق الواطىء جدا . تهيبنا وترددنا وتخوفنا ، انتظرنا دخول بعض السائحين فدلفنا وراءهم ونحن نحملق

● مغارة المهد تجويف مستدير أرضه مرصوفة بالرخام

● تعتبر كنيسة المهد من أشهر معالم بيت لحم قديما وحديثا

صناعة الصدف من أهم الصناعات التقليدية



سوق الخضار الرئيسي فى بيت لحم



فى الجنود المسلحين.

الكنيسة .. والرهبة

لا اكتمكم باننى شعرت برهبة ، ولم ادر ما اقول ، واحتار دليلى كما يقولون . لقد كنت احفظ عبارة واحدة من الانجيل فاردت ان اقولها فى تلك البرهة ، ولكن الذاكرة لم تسعفنى حتى فى استحضارها !

لقد دلفت الى الكنيسة بقدمى اليمنى كما افعل فى مساجدنا المباركة ، ورددت دعاء الرسول الحبيب فى الولوج : باسم الله ولجت ، اللهم إنى أسألك خير المولج والمخرج .

اخذت اتنقل بين ارجاء الكنيسة الفسيحة ، ولا اكف عن ترديد بعض ايات القران الكريم وبخاصة من سورة «مريم» التى احفظها عن ظهر قلب منذ نعومة اظفارى ، عندما كنت اتلوها على مسمع من جدى الضرير فيكافئنى على إجادة تلاوتها !

وفى مغارة المهد لم أجد تقديرا وإعظاما لابن مريم عليه السلام اعظم من أن أقرا «الفاتحة» على روحه الطاهرة ثم اترحم عليه-إنها فطرة حب الانبياء جميعا التى فطرنا عليها ديننا الاسلامى الحنيف وتلوت قوله تعالى : «والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» .

وفى المغارة شاهدنا المكان الذى اصطلح على ان السيد المسيح قد ولد فيه . وهو عبارة عن تجويف مستدير بالحائط ، ارضه مرصوفة بالرخام ، وتتوسطه نجمة فضية لامعة وضعت فيه منذ عام ١٧١٧م ، وعليها هذه العبارة باللاتينية : « هنا ولد يسوع المسيح من العذراء مريم » .

ويقال، إنه بعد ولادته عليه السلام نقلته امه مباشرة على بعد ثلاث خطوات ووضعته فى «المذود» (وهو المعلق الخاص بطعام البقر) حيث سجد الرعاة له بأمر من الملائكة .

بيت الخبز

تقع مدينة بيت لحم على بعد ١٠كم الى الجنوب من القدس ، وتقوم على عدة تلال ترتفع بمقدار ٧٧٧ مترا عن سطح البحر ، وتعلو بمقدار ١٢٦٧ مترا عن سطح البحر الميت . والمدينة محاطة باشجار الزيتون والعنب والفواكه المختلفة .

اسمها الأصلى « افراته » بمعنى ثمر ، ثم دعيت باسمها الحالى نسبة الى الاله «لخمو» وهو اله الخبز والخير عند الكنعانيين .

اشتهر اسمها بعد ولادة النبى «داود» فيها . وطغت شهرتها فى كل آفاق الارض بسبب ولادة السيد المسيح فيها . وورد فى قاموس الكتاب المقدس (١٨٩٤) مايلى : « بيت لحم بمعنى بيت الخبز ، ولد فيها المسيح لأن مريم التى ولدت فى الناصرة كانت من نسل داود فاتت الى بيت لحم للاكتتاب ، فحان فيها وقت ولادتها فولدت يسوع المسيح » .

البشرى لمريم العذراء

ولقد كانت بيت لحم كذلك موطن زكريا ويحيى وغيرهم من الانبياء رضوان الله عليهم جميعا . واختار الله مريم البتول من بين نسائها فطهرها واصطفاها على نساء العالمين ، ونفخ فيها من روحه وارتفع الوحى مناديا : « يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ، قال كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ، ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم باية من ربكم أنى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وابرىء الأكمه والأبرص واحيى الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وماتدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » .

هذا وقد ورد ذكر السيد المسيح فى ١٣ سورة فى القران الكريم ضمن ٣٣ اية كريمة . ومنذ القرن الرابع الميلادى اخذ المسيحيون يحجون الى بيت لحم ، كما اصبح المسلمون يحترمونها بوصفها مسقط رأس المسيح .

وتعتبر كنيسة «المهد» من اشهر معالم بيت لحم قديما وحديثا ومستقبلا ايضا . وهى اليوم أقدم كنيسة مسيحية فى العالم باسره ، ويدلنا تاريخها انها تاسست عام ٣٢٦م بأمر الملكة هيلانه ، وقد اضاف ابنها قسطنطين بعض الأبنية اليها ، وزينت واجهتها بالفسيفساء المزركشة بعروق الذهب وببعض الرسوم التى ترمز الى بعض الأحداث الدينية المهمة . ويبلغ طول الكنيسة ٤٠ قدما من الشرق الى الغرب ، وعرضها ١٢ قدما ، وعلوها ١٠ اقدام ، وهى مرصعة بالرخام وفيها عشرات المصابيح المضاءة .

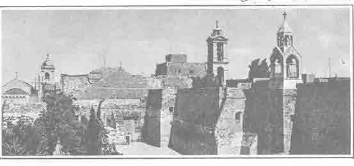
النجمة والحرب

وجدير بالذكر أن طائفة اللاتين المسيحية وضعت نجما فضيا فى مكان ولادة السيد المسيح . وقد كان هذا النجم سببا من اسباب قيام حرب القرم بين روسيا وتركيا !

وفى الأساس حدثت منازعات ومشاحنات شديدة بين الروم الارثوذكس واللاتين حول ملكية الأماكن المقدسة فى القدس وبيت لحم . وكان اخطر هذه الخصومات ماحدث عام ١٧٥٧م بين الطائفتين المذكورتين ،

بيت لحم

كنيسة المهد حيث ولد السيد المسيح



بقيت بيت لحم تحت الاحتلال الصليبي حتى عام ١٢٣٩ م.

فاضطرت السلطات العثمانية لاصدار قانون يحدد حقوق كل طائفة على حدة ، فاستأثرت الطائفة الاثوذكسية بمعظم تلك الأماكن . وفى ظروف غامضة اختفت النجمة الفضية المثبتة فى مغارة المهد عام ١٨٥٢م فاتهمت الطائفة اللاتينية طائفة الروم بسرقتها . واضطر اللاتين الى وضع نجمة جديدة بدلا منها ، وازداد لهيب الفتنة . فكان سببا فى قيام حرب القرم لأن روسيا كانت تعتبر نفسها حامية الأرثوذكس فى الامبراطورية العثمانية التى اعتبرت ذلك تدخلا غير مشروع فى شئون سلطتها لأن الاراضى المقدسة فى ذلك الوقت كانت ضمن نطاق نفوذها .

وبالرغم من ان الحرب انتهت بانتصار الدولة العثمانية عام ١٨٥٦م وبالسماح للاتين بوضع يدهم على قسم من كنيسة المهد إلا ان الخلاف ظل مستفحلا بين الطائفتين حتى عام ١٨٧٣ عندما هاجم الروم الارثوذكس الكنيسة واستولوا على كثير من نفائسها وجرحوا عشرة من الآباء الفرنسسكان . ومنذ تلك السنة وحتى اليوم السادس من حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ كان يقوم بعض افراد الشرطة من المسلمين بحراسة الكنيسة وفض الخلافات التى قد تنشب بين الطوائف المتنازعة ، وبعد سقوط الديار الفلسطينية المقدسة فى ايدى الصهاينة إنتصبت حرابهم على مدخل كنيسة المهد .

والكنيسة اليوم مشتركة بين الروم واللاتين والأرمن ، والقناديل موزعة بينهم ، ولهم اديرة بجانب الكنيسة .

بيت لحم والصليبيين

يقول استاذنا مصطفى مراد الدباغ فى «ديارنا فلسطين» : لما اجتازت جيوش الفرنجة السلاحل الفلسطيني ، واصبحت على باب القدس استقبلهم يوم الأثنين ٦ حزيران (يونيو) ١٠٩٩م وفد من مسيحيى بيت لحم مرحبين بمجيئهم ، ملتمسين منهم الاسراع فى الاستيلاء على بلدهم . فارسل غودفرى فرقة من الفرسان بقيادة (تانكرد) فاجتازت التلال الى بيت لحم فبلغوها فى منتصف الليل . جزع السكان فى اول الأمر لاعتقادهم ان هؤلاء ليسوا إلا شطرا من الجيش المصرى قدموا مددا للمدافعين عن القدس . ولما بزغ الفجر تبين لهم ان هؤلاء من الفرنجه خرج مسيحيو المدينة فى موكب حافل يحملون الحلقات الدينية من كنيسة المهد مرحبين مهللين بالقادمين .

وما ان دخل الفاتحون المدينة حتى نشبت فيها الحرائق فدمرتها باستثناء كنيسة المهد ، وفى يوم عيد الميلاد من عام ١١٠٠م توج بلدوين فيها ملكا على بيت المقدس .

بقيت بيت لحم تحت الاحتلال الصليبيحتى عام ١٢٣٩م حيث تمكن الايوبيون من تحرير المدينة من الغزاة غير ان فرحة التحرير لم تستمر لأكثر من عام واحد ، إذ سرعان ما انتصرت الانانية وشهوة الذات على الايثار وحب الوطن ، ونتيجة للخلاف الذى استشرى بين أفراد الأسرة الأيوبيةقام « الصالح اسماعيل» بعقد اتفاق ذليل مع الصليبيين . ومن اهم بنود هذا الاتفاق قيام الصالح بتسليم القدس وبيت لحم وطبريا وعسقلان للصليبيين مقابل وقوفهم الى جانبه ضد ابناء عمومته الايوبيين !

وتم ذلك فعلا ، لكن الفرحة لم تدم طويلا للصالح اسماعيل ولا لأسياده الغزاة ، وما لبثت العناية الالهية أن ادركت المسلمين بعد اربع سنوات فقط ، إذ تمكن الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل من إعادة بيت المقدس وبيت لحم الى الحظيرة الاسلامية عام ١٢٤٤م . «ولم يقدر لجيش غربى ان يقترب منهما بعد ذلك حتى الحرب العالمية الأولى» .

صناعة الصدف

تعتمد المدينة اعتمادا كليا على السياح الذين يفدون اليها من كل ارجاء العالم ويبيع تجار المدينة لهؤلاء السياح ما يصنعونه بانفسهم من التحف والادوات التذكارية والسبح والصلبان والصور والتماثيل والنقوش المختلفة التى تمثل بعض الحوادث الدينية .

وأكثر هذه المصنوعات الدقيقة من خشب الزيتون أو الأصداف الجميلة التى يستوردونها من بعض الدول المجاورة .

وإضافة لكل ما سبق فان بيت لحم تتمتع بشهرة واسعة فى اشغال الأبرة والتطريز والكنافاه . كما ان لأهلها زيا «تلحميا تقليديا يمتاز بالوانه الزاهية وتطريزه الدقيق .»

يقول الاستاذ يعقوب حنظل معللا مهارة أهل بيت لحم فى مصنوعاتهم : أن القوة الذهنية فى الفنون والحرف الموجودة فى أهل بيت لحم ترجع الى تأثير أفرنجى فى الدم إذ أن الشرقى على الاجمال ميال الى العقليات بعكس الغربى الذى يتفوق فى المحسوسات ، ولقد تقدمت هذه الملكة الفنية فى بيت لحم ، وبلغت فى الشهرة درجة رغبت الملوك والقواد فى امتلاك شىء من ثمارها فلما جاء ابراهيم باشا الى سوريا أخذ من أهل هذه البلدة ومن بيت جالا أيضا عددا من أصحاب الحرف والمهن الحاذقين بقصد إنشاء تلك الحرف فى القطر المصرى الشقيق .

وكذلك دعا «منليك» نجاشى الحبشة

راع من عرب التعامرة شرقي بيت لحم



ابرع الحفارين والنحاتين والبنائين من اهل بيت لحم لتشييد قصر جديد له فى بلاده . ولقد بلغت هذه الدقة فى العمل انهم صنعوا صورة من جامع عمر المشهور من الصدف ، ومثلوه فى كل اجزائه من اعمدة ونوافذ ونقوش قدموه للسلطان عبد الحميد فاستحسنه كثيرا .

● ● ●

يذهب كثيرون الى أن أهل بيت لحم يرجعون فى اصولهم الأولى الى الامم اللاتينية ، يدلك على ذلك اسماء عائلاتهم التى لا تنطبق على اسماء عربية وملامحهم القريبة من ملامح الغربيين كما يرى مؤلفا تاريخ القدس .

ويثبت ذلك وجود اسماء بعض العائلات الموجودة حاليا فى بيت لحم مثل :

جقمان ، حزبون ، مكيل ، جبرية ، مدلينا وغيرها ، واغلب افراد هذه العائلات حضروا كسياح لزيارة المدينة ، ثم طابت لهم الاقامة فيها ، واندمجوا مع سكانها ، واسماؤهم تختلف عن الأسماء العربية النصرانية التى تعيش بالمدينة والتى منها عائلات : البندك ، فريج ، أبو جاروره ، أبو عطية ، الأعمى ، قطان ، وغيرها من كرام الأسر التلحمية العريقة

ويمتاز أهل بيت لحم بشكل عام بالحيوية والجد والنشاط والاقدام ، وقد كانوا فى طليعة المهاجرين الفلسطينيين الذين ركبوا البحار وأموا ديار المهجر فى الأمريكتين مثلهم فى ذلك كمثل اهل بيت جالا ورام الله . وقد اصابوا فيها نجاحات متعددة فى شتى مجالات الحياة وبوجه خاص فى المجال الاقتصادى ، فلهم نصيب وافر فى كثير من الشركات والمحلات التجارية الضخمة والمصارف والمؤسسات الاقتصادية المختلفة .

الاماكن الأثرية

● مغارة الحليب : من الآثار التاريخية فى بيت لحم «مغارة الحليب» وتبعد مسافة ٣٠٠ متر الى الشرق الجنوبى من كنيسة المهد .

ويروى أن السيدة مريم العذراء أقامت فى هذه المغارة برهة من الزمن ، ولذلك فهى تدعى ايضا مغارة «ستى مريم» بسبب اقامتها فيها .

اما سبب تسميتها «بمغارة الحليب» فسببها راجع الى تقليد مسيحى بأن السيد المسيح عليه السلام بينما كان يرضع ثدى أمه فى تلك البقعة سالت بعض نقاط من حليبها على الأرض فسميت باسمها لهذا السبب .

● قبر راحيل : هذا القبر يجله أصحاب الديانات السماوية الثلاث : المسلمون والمسيحيون واليهود . وراحيل هذه هى ام سيدنا يوسف عليه السلام ، وام اخيه بنيامين وهما ابنا سيدنا يعقوب رضى الله عنه .

ولقد ماتت «راحيل» ودفنت فى هذه البقعة التى تبعد حوالى ثلاثة كيلو مترات شمالى بيت لحم ، وذلك أثناء ولادتها «لبنيامين» وهو آخر اولادها الاثنى عشر .

● برك سليمان : تقع برك سليمان الأثرية على مسافة قصيرة فى واد ضيق جنوبى غربى بيت لحم وهى ثلاث برك واسعة فى مكان منبسط واقع بين جبلين وكل واحدة تقع على مسافة خمسين متراً عن الاخرى لكنها تنخفض عنها قليلا ، وقد كانت هذه البرك فى يوم من الأيام مصدراً اساسيا تستقى منه القدس عبر قناة حفرت خصيصا لهذا الغرض .

وتستمد هذه البرك ماءها من انصباب ينابيع بعض الاودية ، ومياه الأمطار ، وتتميز هذه البرك عموما بروعة مناظرها الاخاذة بما يحيط بها من الأشجار المختلفة التى تكاد تحجبها عن اعين المشاهدين ، وتجعل منها منتزها جميلا يؤمه الناس للمتعة والاستجمام .

ان العرب المسلمين هم الذين سموها ببرك سليمان ، لكن الدعاية الصهيونية سممت هذه الحقيقة ، وتاجرت بها عالميا بدعوى انها من انجازات سليمان الحقيقية !

بطولة شاب فلسطينى

فى طريق عودتنا الى القدس ذكرنى منير بالفدائى البطل انطوان داود احد ابناء بيت لحم المخلصين .

كان هذا الشاب فى عام ١٩٤٨ مستخدما لدى القنصلية الامريكية بالقدس ، يقوم بقيادة السيارة الخاصة بالقنصل العام الامريكى بفلسطين ، سيارة «فورد» حديثة وفارهة تحمل لوحة «هيئة سياسية» وعليها يرفرف العلم الامريكى ، مائتان وخمسون كيلو جراما من المواد الناسفة تم وضعها فى الصندوق الخلفى للسيارة بناء على اوامر قائد «جيش الجهاد المقدس» عبد القادر الحسينى .

وفى ضحى اليوم الموعود انطلق الشاب متجها الى المقر العام للوكالة اليهودية بالقدس وفتحت البوابة الفولاذية المغلقة امام رفرفة العلم الأمريكى !

لقد كانت الوكالة اليهودية اشبه بقلعة مغلقة تضم اقبيتها وثائق نصف قرن من النشاط الصهيونى ، وقد احيطت بسور فولاذى وحراسة دقيقة مستمرة .

استقرت السيارة فى مراب الوكالة ، وتسلل انطوان داود ببطء وحذر ، وغادر المنطقة المستهدفة ، وحدث كل شىء فى فترة وجيزة ، وادى انفجارها الى تدمير العمارة ومقتل ٣٦ وجرح ما يقرب من المائة من بينهم بعض كبار الشخصيات الصهيونية ، ونجا انطوان داود وظل مطاردا من اعداء الله حتى توفى فى بداية عام ١٩٦٧ .

● ● ●

فى نهاية القصة تذكرت اننى على مشارف القدس الأسيرة ، وتذكرت اننى غريب فى وطنى ودارى ، واننى لابد ان اغادر هذا الوطن حينما ينتهى موعد التصريح الصهيونى الذى دخلت بموجبه لزيارة وطنى واهلى ، ثم اخذت اردد بعض ابيات احفظها لصديقى الشاعر سعيد تيم من ديوانه «المرافىء البعيدة» يقول فيها :

كم بت احبس دمعتـــــــى وادارى
يا موطنـــى يا ملعـــــب التذكـار
يا زفــرة فى خاطـرى مخنوقـــة
سالت مؤججـــة على أوتــارى
لولا علـــى شــقة الخلـود بقية
من يـــوم حطـين تبــل أوارى
لتراقصت فــــى شـطى المهجـور
امـواج القنــوط وضحكة الأقـدار

نبيل خالد الآغا



كمـــال عــمّار





مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

قال عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور : دق جرس التليفون ، فسألت من يكون ؟ ، فقال يتظرف ، المعرف لا يعرف ورغم ضيقى ابتسمت ، حين عرفت صاحب الصوت ، وقلت كيفك ياعبد العال ؟ ، فقال عال ، وسألت كيف نلتقى ، فأثنى على منطقى ، فهدف اتصاله بي ، هو الانس بجانبى ، وإننى الليلة القاه ، فى العنوان إياه ، عند الحاج عبد الكريم ، وسيكون معنا فاهم وفهيم ، وياليتنى اشرفهم بحضورى ، ولا احرمهم من نورى ، فشكرته على هذا الحب ، واخبرته بمجيئى لا ريب ، وانتهت المكالمة ، وسبحت فى خواطر باسمة ، فالثلاثة الذين سالقاهم ، يجتذبونك حين تراهم ، فهم بلهاء ، وواحد منهم ينطق السين هاء ، ويكثر من هاهاة السين ، حتى اصبح اضحوكة السامعين ، والثانى يلبس الصوف فى الهجير والحرير فى الزمهرير ، مؤمنا ان قوة الشخصية ، تجعله فوق التقلبات الجوية ومع هذا فاسمهما فاهم وفهيم ، وياما فى الأسماء مظاليم ، اخوان فى الغفلة والحمق ، وسيان فى ضحالة العمق ، وإن شفع لهما خفة دم ، تزيل الهم ، وجاذبية حضور تنفتح لها الصدور .

اما ثالث الباقة ، فيفوقهما غفلة وحماقة ، عرفته منذ شهرين ، وخالطته مرتين ، فى الأولى انكرت خطبه وفى الثانية احببت قربه ، فالمسكين كان ضحية الصحافة ، وما تذيعه من حديث خرافة ، زاعمة انه حظ القراء ، من الصباح للمساء ، واول ما يفعله حين يصحو من النوم ، انقضاضه على جريدة اليوم ، والاهتمام يسيطر عليه ، فى شدة وجهه وانتباه عينيه ، يقرأ برجه وهو يرتجف ، ثم الى بقية الابراج ينعطف ، فاذا انتهى ، أعادها ، وكان من يراه وهو فى حالته الكرب ، يظنه يطالع نبأ إعلان الحرب ، بين الصين وموسكو ، أو احمد عدوية واليونسكو ، والى هنا والغرابة مقبولة ، لولا انها موصوله ، فما يقراه يحدد مساره ، ويملك عليه نهاره ، فاذا قرأ عن حادث فى محيط الأسرة ، زار اقاربه من الجيزة الى شبرا ، يطمئن عليهم ، وعلى من حواليهم ، وإذا قرأ عن مشاكل فى العمل ، انقطع واعتزل ، ولم يخرج من الدار ، طيلة النهار ، دفعاً لسوء العاقبة ، وابتعاداً عن الجيروند والبعاقبة ، وإذا كان حل مشكلة مالية ، انتابته فرحة صبيانية وراح يقفز من فوق الى تحت ، وهو يفترض بضمان البخت ، مقتنعاً ان الشيك ، وشيك ، وإذا قرأ عن توديع حياة العزوبية راح يفكر فى سعاد وفوزية ، ناسياً انه متزوج من عشرين سنه ، واب لسعاد وسيد ومنى ، وإذا كان البخت توعكاً فى الصحة ، راح يشكو الضغط والكحة ، وقد تمكن منه هذا الاعتقاد ، فى الصحوة والرقاد ، وإذا اعترض عليه احد ، اقسم بالزوجة والبنت والولد ، أن ما يقراه يتحقق ، كضوء الصبح الأبلق ، وانه لو كان كفراً وجريمة ، لحرمته الحكومة ، ولكنه مصباح كشاف ، فى الوفاق والخلاف ، وعبد العال هو هذا المجذوب ، لكل بخت مكتوب ، وهو الذى كلمنى منذ دقائق ، وبشرنى بمساء رائق .

وحين دقت الساعة تسعا ، كنت إليهم اسعى واستقبلنى عبد الكريم ، بالترحيب والتعظيم ، ولمحنى فاهم فقال هلامات ، واقلب الهاء سينا تفهم فقه اللغات ، ورأيت فهيم ورائى ، فقال تعال فى أحضانى ، مرتديا قميص رقيق الحاشية ، والريح فى الخارج عاوية ، وحيانى عبد العال باليد واللسان ، وقال لم يخطىء بختى ياجدعان ، فقد قرأت فى الجورنان ، تقابل شخصاً من العظماء ، وهاقد تحقق الظن والرجاء ، وقال له فاهم « أهمع » ولا تشغلنا فيما لا ينفع ، فرد عليه إسكت ، فجهلك ينقط !

وتضاحكنا لهذه البادرة ، التى بشرت بليلة مثمرة ، فعبد العال وفاهم ، كانا كالصقور ، والحمائم ، يسفه كل كلام اخيه ، ويصفه بما فيه وليس فيه ، اما فهيم فينتظر ، لتسفيه كلام المنتصر ، وتشويه رأى المنكسر ، يعارض ويتطرف ، وشعاره خالف تعرف ، بينما الحاج عبد الكريم ، يلزم الحياد المستقيم ولا يتدخل إلا عند الضرورة ، حين تسوء الصورة ، وتتعطل لغة الكلام ، تمهيدا للغة الحسام ، وكان اسلوبه فى هذا ، قوله خذوا اجازة ، فتهدأ الأصوات ، وتبدأ التحايا والسلامات .

وتعمدت الجلوس بجانب عبد العال ، فقد أعددت له ما يقال ، ورحب هو بجوارى ، وراح يسالنى عن اخبارى ، فرحت استدرجه ، والاعبه وامازجه ، وقلت البخت ليس على مايرام ، فقال يعدلها من لا ينام ، واليوم شان وغداً شان ، وليس كل اللحم ضان ، وسالنى بصوت وقور ، ماذا كان بختك يااستاذ عبد الشكور ؟ ، فقلت فى الأهرام ، تكسب اليوم ما تكسبه فى عام ، وفى الجمهورية ضائقة اقتصادية ، وفى الأخبار ، دع القلق وابدا المشوار ، بخوت متناقضة ، وخطوط متعارضة .

ولو كان بختا واحـــدا لاحتملتـــــه
ولكنه بخـــت وثـــان وثالـــــث
إذا ـأنـــا صـدقت الثلاثـــة لم اكـــن
سوى لعبـــة يسعـى إليهـــا المعابـــث



وإن أنا كذبت الجميع فما الذي
يقوم مقام الحظ إن جد حادث ؟

فابتلع عبد العال الشرك ، ونزل بقدميه الى المعترك ، ملتمع العينين ، ومؤكدا باليدين ، وقائلا بلسانه ، الجواب يقرا من عنوانه ، وانت جاوزت الحد الأمين ، حين قرات الثلاث عناوين ، فبختك المقدر عليك ، فى اول جريدة تمسكها بيديك ، هذا هو بخت يومك ، وما عداه فمن حظ غيرك ، قلت ولكنهم من نفس البرج ، فقال نعم ياحاج ، ولكنه اتفاق فى الصورة ، وليس فى التنفيذ بالضرورة ، فقلت أوضح ياعبد العال ، فقال :

إذا اشترك اثنان فى قراءة كتاب ، هل حتم ان ينفذ الى اللباب ؟ ، واحد قد يعيه ، والثانى قد يجد صعوبة فى تعاطيه ، قد .. وقد ، وهذه حكمة الابد ، وكذلك حديث النجوم ، كل ياخذ منه بقدر معلوم ، واتفاق الابراج ، لا يعنى حرفية المهبط والمعراج ، وإلا انتفت حكمة الغيب ، وانكشف مافى الغيب ، فقلت ولكنه معلن منشور ، فقال بختك هو مابين السطور ، ومن ياخذ الكلام على علاته ، فلا يلومن غير ذاته ، لانه ظن الامر فى متناوله ، وصادر الطريق من اوله ، ناسيا ان بحر الغيب واسع ، يحير العيون والآذان والمسامع ، ورايته يخرج الى التعميمات ، مستعينا بالماثور من الكلمات ، فاعدته الى ارض الواقع ، بهذا السؤال الفاقع ، إذا قرا البخت طفل صغير ، هل تجرى عليه المقادير ؟ ثم ماذا عن الطفل الرضيع ، الذى لم يجاوز الاسابيع ؟ فقال عبد العال ، ومتى يوضع القانون للاطفال ؟ ، وحتى الغلام ، إن قتل فلا يلام ، وكان فى حجته بريق ، رغم ما فيها من تلفيق ، فرحت افكر فى اعتراض دامغ ، وانقضاض سابغ ، ولكن فاهم الفالح ، علا صوته وصاح ، ولم يبال بالعاهة ، وقال امراتى طالق . بالهلاهه ، إن كنت فهمت منك ، ما تذيعه من إفك ، بل اراهن انك انت ، لا تفهم ما قلت ، فاجابه عذرتك ياعم ، فى عدم الفهم ، والسبب ياأصدقائى ، الاكتفاء بالتعليم الابتدائى ، فعلا صوت فهيم ، وقال كلاكما فى الجهل قديم ، فقاطعه فاهم ، « إهقنا » من بحرك ياعالم ، فاخذ فهيم هيئة الحكيم ، وقال الغيب غيب لانه غائب ، إلا ان غيابه درجات ومراتب ، وانت وطبيعة تكوينك ، منذ قديم سنينك ، وكلما كنت شفافا كالزجاج ، كشفت لك النقاب عن الأبراج ، فحدثت عن امرها ، بما لايعتبر انتهاكا لسرها ، وهذا شان المنجم ، اما غيره فالشفافيه الزم ، حتى لايصير عكس المطلوب ، فى حالة انخلاع الوجوب ، فصاح صاحب البيت مرحى ، احسنت يافهيم شرحا ، ومارأى سادتى ومولاى ، فى كوب من الشاى ، فباركنا الاقتراح ، والشاى منشط للارواح ، هكذا أعلن فهيم ، لكن الحاج عبد الكريم ، لم يتحرك من مقعده ، واشار لعبد العال بيده ، قل لنا لو سمحت ، من اى الابراج انت؟ ، وصاح الآخران هيا قل الآن فاجاب عبد العال لايهمكم برجى واحكموا على منطقى وحججى ، ولكنهم اصروا ، وكروا وفروا ، فامتلأ وجهه بالدماء ، وقال برج العذراء ، وضحكنا على الفور ، فقد كان قويا كالثور ، ليس بينه وبين العذراء صلة ، ولكن هكذا كانت المسالة ، ولو ان المنطق يتحكم فى البخوت ، لكان عبد العال من برج الحوت !

جحويات

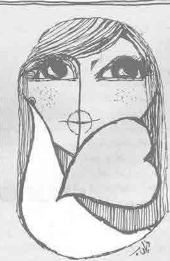
جحا والفقيه والإوزة



رأى جحا فى سعيه أوزه
مكتظة الأنحاء مكتنزه
وليس من يسال عنها احد
فاحتازها وقد عرته هزه
وأسرع الخطوة نحو منزله
يحثه الشوق الى ماكله
يا طيبها عائمة فى طبق
من مرق يختال فى توابله
وإذ به يصادف الفقيها
فقال ما تلك التى تطويها
أوزة فيما أرى ولكن
تبيعها ام كنت تشتريها ؟
اجابه رايتها شريده
غارقة فى دمعها وحيده
فقلت ادعوها الى منزلى
ارد عنها الغربة الشديده
قال له الفقيه قم ونادى
ثلاث أيام بالاضطراد
فان اتاك ربها وإلا
فانت فى حل من السداد
من الضحا مضى جحا صائحا
من ضاع منه ـ بعدها هامسا ـ
« إوزة » .. فليأتنى إننى
حفظتها لعله او عسى
والناس يسمعونه يجلجل
فيضحكون قائلين يهزل
او لوثة فهكذا عودهم
من يومه يقول مالا يعقل
وهكذا الى انقضاء المده
نادى كما افتى الفقيه العقده
وبعدها قام لها ذابحا
وصائحا : تفضلى للمعده

قصة تبحث عن ملحن

يا اسر القلب رفقا
اصبت فاكفف سهامك
ويا كثير التجني
منعت عني سلامك
ومن راى سوء حالي
بكى علي ولامك
بمن احلك قلبي
إرفع قليلا لثامك
وابسم لعلي احيا
إذا رايت ابتسامك
بكيت دالا وميما
لما تاملت لامك



ولام الخد هو الجزء المستدير منه سمى كذلك لشبهه ببطن حرف اللام .

والقصيدة – بتصرف وانتقاء – للشاعر القاهرى شهاب الدين العزازى ٦٢٧ – ٧١٠ هـ .. قال فى الالوان وبرع فى نظم الموشحات ومن اشهرها ، وقد تناوله الملحنون والمغنون منذ قاله الى يومنا هذا واخرهم سيد مكاوى وبدايته :

هل يلام ؟ – من غلب الحب عليه فهام مستهام – بفاتر اللحظ رشيق القوام

ونعتقد ان القصيدة الميمية الواردة فى اول الكلام لو اجيد صياغتها لحنا شرقيا معبرا مصورا ، واقتدر عليها صوت يجمع حلاوة البهجة وقساوة الشجن .. لو اتيح للقصيدة هذان العاملان .. لكانت إضافة متكاملة لتراثنا النغمى .

البحر واحد والأسماك ألوان

فى القصة المتواترة ان عمر بن عبد العزيز قال لغلام تقدم وتكلم نائبا عن عشيرته .. قال له عمر الم يجد أهلك من هو اسن منك ليبعثوا به ؟ .. فقال الغلام قولته التاريخية (لو كان الامر بالسن لوجد المسلمون من هو احق بالخلافة من امير المؤمنين !)

وصارت مثلا لأنها كلمة حق تردد صداها فى الغرب والشرق وذاع معناها مؤكدا ان المسالة ليست بالسن ولا الطول ولا العرض .. وهى قاعدة انسجمت مع كل ظواهر الطبيعة وليس الانسان فحسب .. هناك سمكة تعيش فى المحيطات الدافئة اسمها «مولا مولا» وهى بسم الله ما شاء الله هائلة الحجم ضخمة الجسد يبلغ وزنها نحو طن ، والطن من باب التذكير الف كيلو جرام .. إذا انت رايت «مولا» وليت منها فرارا وملئت منها رعبا .. ومع ذلك فهى «غلبانة» رغم الضخامة والجسامة ، فى حالها لا تهش ولا تنش رغم الهيل والهيلمان ..

قام العلماء بتشريح راسها فوجدوا مخها صغيرا جدا جدا لا يتناسب بحال مع جسمها الكبير جدا جدا .. وزنوه وجدوه ٢٥٠ جراما !

وفى المقابل فى نهر الامازون يعيش نوع من الاسماك ويتالف فى مجموعات بالآلاف .. والسمكة اسمها «بيرانها» عادية الطول فى حدود ٨٠ سم وعادية الحجم فى حدود ١٦٠ جرام .. صغيرة لكنها خطيرة والخطورة فى فمها المنشارى ، فما إن تقع على ضحية – مهما كان حجمها – اندفعت إليها بالآلاف فاتحة فمها المنشارى المهول وهات يا نشر وقطع ومضغ وبلع وهى دقائق لا اكثر وتصبح الضحية مجرد هيكل عظمى ابيض .. نظيف لامع .. مغسول بماء البحر .. سمكة هايفة إذا رايتها بمفردها اعرضت عنها استهزاء وسخرية ولكن العباس بن المرداس يقول :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفى اثوابه اسد جسور

وإذا كانت الحياة قد بدات فى البحر طبقا لقاعدة «وجعلنا من الماء كل شىء حى» فاى الصورتين هى الأصل .. ما يسعى على اليابسة او ما يسبح فى الماء ؟

افيدونا افادكم الله .

عزيز قوم وعزيزة قوم

عزيز قومه هو محمد بن عبد الله ، وعزيزة قومها هى خديجة بنت خويلد ..حين اعرب العزيز لعمه عن رغبته فى الزواج من العزيزة ، ذهب ابو طالب عمه الى بيت خديجة واعتمد عصاته وقال :

إن محمداً ممن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا ، وإن كان فى المال قل .. فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك فماذا قلتم ؟

اجابوه : إنا لنعرف عن ابن اخيك ما قلت وقد أجبناه .

وتزوج محمد خديجة وانجب منها كل اولاده ما عدا ابراهيم الذى كان من مارية المصرية وكان مقوقس مصر قد بعثها له ضمن هدية شملت طبيبا وبغلة .. فقال الرسول : اما الجارية فنتزوجها .. والبغلة نركبها واما الطبيب فلا حاجة لنا به ، نحن قوم لا ناكل حتى نجوع وإذا اكلنا لا نشبع .

لسان البغبغان

من قديم الزمان عرف الانسان إمكانية البغبغان فى محاكاة وتقليد اللسان واستغل هذه الامكانية فقام بصيد صغار هذه الطيور ورباها فى بيته معتنيا بها ومكافئا لها على نجاحها فى ترديد كلمة يوالى نطقها امامها .. ثم يتدرج معها الى نطق الجمل وترديدها .. ولكن .. هل فى إمكان البغبغان – او الببغاء – ان يقوم بتكوين جملة جديدة من المفردات التى يرددها بطلاقة ؟ .. بالطبع لا وسيظل الانسان مخلوقا فى احسن تقويم .

لقاء

محمد البساطى



عاصرت هذه القصة ..

قالت له العجوز .. ان رجلا ينتظره .

كان الوقت ليلا . وضوء خافت فى حوش البيت حيث ترقد العجوز . صعد السلم .

واحس وهو يعبر السطح الى حجرته بالهواء البارد يلسع وجهه .

راه هناك فى الركن امام حجرته على مقعد واطىء لابد ان العجوز احضرته من عندها . كان ملتفا فى معطف وراسه للسور .

فتح باب الحجرة ، واضاء النور ، ثم خرج وايقظ الرجل . تحسس الرجل حقيبة من القماش بجواره وصاح مهللا :

ـ اخيرا .. الاستاذ خليل .

ونهض فى بطء ، وتبعه الى الداخل . كانت الحجرة ضيقة بلا نوافذ ، وسرير صغير ، ومقعد ومنضدة فوقها بعض الكتب يكسوها الغبار .

جذب خليل المقعد . وجلس على حافة السرير . ظل الرجل واقفا ينظر حوله . وبدا المعطف فى الضوء بلا لون . تاحلا عند المرفقين . وجفف عينيه الدامعتين . وانكمش مرة اخرى داخل المعطف .

ـ انتظرتك خمس ساعات . قالت لى الحاجة انك تاتى فى التاسعة . وانتظرت . الا تذكرنى ؟

ـ الاستاذ بشير .

تهلل وجه الرجل : « سالت فى البلدة عن عنوانك . اعطاه لى الحاج احمد فى مكتب البريد . وقال انك تعمل فى محل الطائر الازرق . وقلت انتظرتك هنا . لك سنوات لم تنزل البلدة . »

جلس على المقعد ، ونظر الى الكتب ، ثم اخرج نظارة من جيب المعطف يلتف حول ذراعها ورق لاصق :

ـ اه . سنوات طويلة . اذكرك وانت فى البنطلون القصير . كلكم اتذكركم دائما فى البنطلون القصير . والواحد منكم تزوج وله اولاد فى المدارس . اه . ايام . كنت من احسن التلاميذ فى فصلى وكنت اقول دائما ان مستقبلا طيبا ينتظرك . اتذكر يوم جعلتك تقرا موضوع الانشاء فى الطابور ؟ .. وكان بعنوان ..

جفف فمه وانفه . ووضع خليل يديه بين ساقيه . كان الهواء البارد يندفع على الارض الى تحت السرير .

ـ وكان الناظر يومها فى الطابور . وصفق لك . كان اول من صفق . رحمه الله . كان رجلا طيبا . سالنى يومها .. اهو فى فصلك ؟ وقال .. فكرة طيبة ان نقرا الموضوعات الممتازة فى الطابور . كنت انا صاحب الفكرة ..

وتبت طقم الاسنان فى فمه بطرف اصبعه الصغير :

ـ وتسكن هنة ؟

وتلفت لحظة :

ـ وذلك اليوم حين ناديتك من الفصل الثالث . كان الاولاد فى الفصل الرابع لايعرفون حل مسالة حساب . هذه اذكرها مسالة ضرب كسور اعتيادية . قلت سانادى من يحلها لكم من الفصل الثالث . وناديتك . لو انك لم تحلها !!. ارسلت الفراش . وحين دخلت الفصل قلت للاولاد .. صفقوا له . وارتبكت . رايتك تقف بالباب مرتبكا . قلت تعال ياخليل . واوقفتك بجوارى قليلا ثم اعطيتك قطعة من الطباشير الملون . اعطيتك ظهرى . اه لو انك اخطات فى حلها . كنت متكئا بيدى على المكتب انظر إلى الاولاد . ورايت فى وجوههم انك انتهيت . وسالت دون أن التفت .. كم النتيجة ؟ . وقلت انت .. قلت ..

وهمس خليل : ثمانية ونصف ..

ـ ثمانية ونصف . وقلت دون ان استدير .. صح .. وقلت للاولاد صفقوا له . واردت ان اعطيك شيئا . ماذا ؟ واحترت .. ثم رايت الطباشير الملون . احمر وازرق . وتقدمتك الى الباب . نشكرك يا خليل عد الى فصلك .

استرخى للوراء . وكان يهز ساقيه المتعانقتين :

ـ لو انك اخطات فى حلها !!

وضحك . ونظر الى خليل . كان لا يزال بملابس العمل . السترة الرمادية . وعلى الصدر دائرة من القماش الابيض وسطها طائر صغير باللون الازرق باسط جناحيه .

ـ وتسكن هنا إذن ؟

ونظر حوله . كانت الجدران فى لون وردى باهت . وقد انتفخ الجزء السفلى منها وتساقط الطلاء . وفى منتصف الجدار المواجه للباب تبت فرخ من اللون الازرق السميك بدا انه يختفى فى الجدار . وخلف الباب علقت بيجامة وفوطة وبنطلون .

ـ المرة الثانية التى احضر فيها الى القاهرة . كانت الاولى منذ عشر سنوات وعدت فى نفس اليوم .

وضحك : « هذه المرة لن اعود إلا بعد سنوات . حصلت على عقد عمل بالخارج »

وضم طرفى المعطف فوق ركبتيه :

ـ بقيت لى ثلاث سنوات عن المعاش . قلت اذهب . ساسافر غدا . الطائرة تقوم فى ..

ومد يده واخرج اوراقا من جيبه :

ـ لا استطيع أن اقرا تلك الارقام التى يكتبونها فى تذاكرهم . انظر . التاسعة صباحا . اليس كذلك ؟

رفع خليل راسه . وبدا وكانما ينصت لصوت فى الخارج . كانت الريح تعبث بعلب الصفيح الفارغة فوق السطح . كان وجهه هزيلا شديد الشحوب ، وتجعدات خفيفة حول فمه . قال فى صوت خافت ..

ـ المكان هنا لا يسع ..

اعاد الاستاذ بشير الاوراق الى جيبه . وضحك :

ـ لن اضايقك .. ساظل هنا على المقعد .

تبادلا النظرات فى صمت .. وقال الاستاذ بشير :

ـ إذا لم اكن اضايقك ..

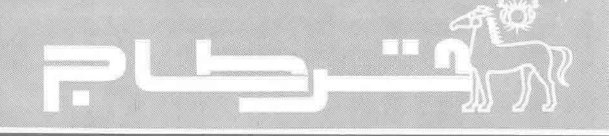
بدا خليل وكانما لا يزال ينصت لصوت الريح فى الخارج . وكانت عيناه مرتخيتين . ومد الاستاذ بشير يده متحسسا الحقيبة . ووضعها على ركبتيه . وفتح السوستة ثم اغلقها . وتمتم :

ـ ربما اكون فعلت شيئا ؟

ظل خليل صامتا .

ونهض الاستاذ بشير متجها الى الباب . واستدار . وتبادلا النظرات مرة اخرى فى صمت . وكان خليل لا يزال جالسا على حافة السرير ويداه بين ساقيه . وخرج الاستاذ بشير واغلق الباب .

محمد البساطى



تحليل لظاهرة المهرجانات المسرحية فى تونس

محمد بركات

المتتبعون للنشاط المسرحى ، والثقافى والفنى بشكل عام لا يعرفون فى تونس إلا مهرجانين لاثالث لهما . الأول : هو مهرجان قرطاج الدولى الذى سلخ من عمره سبعة عشر عاما حتى الآن ويحتفل هذه الايام بعيده الثامن عشر . والثانى : هو مهرجان الحمامات ، وهو احدث قليلا إذ يحتفل هذا العام بعيده الخامس عشر .

ولكن احدا لايعرف – حتى من المهتمين بشئون المسرح – ان فى تونس اكثر من خمسة عشر مهرجانا مسرحيا وفنيا ، تقام فى نفس الوقت ، ولجميع الفنون من الشرق والغرب على السواء . وهذه المهرجانات كلها تغطى شهور الصيف من اول يوليو (تموز) حتى نهاية سبتمبر (ايلول) من كل عام . وليست هناك مدينة فى تونس ، بل لا اغالى إذا قلت انه ليست هناك قرية لاتقيم مهرجانا فنيا خلال شهور الصيف .

وقد كان كل من مهرجان قرطاج والحمامات البداية الطبيعية لكل هذه المهرجانات ، التى خرجت بالضرورة من معطف هذين المهرجانين الكبيرين .

وفى الفترة التى ذهبت فيها الى تونس لمتابعة مهرجان قرطاج ، كانت البلاد من اقصاها الى اقصاها تغطى بكل هذه المهرجانات فى نفس الوقت وهى :

مهرجان الحمامات . مهرجان بنزرت . مهرجان دقة . مهرجان تستور . مهرجان طبرقة . مهرجان سوسة . مهرجان صفاقص . مهرجان جربة . مهرجان جرجيس . مهرجان جابس . مهرجان سليانة . مهرجان سيدى بوسعيد . مهرجان الزهراء . مهرجان حمام الانف .

جميع الفنون

وتقدم هذه المهرجانات كلها جميع الفنون من مختلف البلاد ومختلف التيارات . إنها تتنوع تنوعا مذهلا ابتداء من موسيقى الجاز ، وانتهاء بالعروض المسرحية الكلاسيكية ومرورا بالرقص والغناء والتمثيل . ومسرح العرائس ، والفنون الشعبية ، وكل ما هو مستحدث وجديد من فنون المنصة .

وخلال السنوات الماضية أصبحت ظاهرة المهرجانات المسرحية ، ظاهرة حية بالغة القوة والتأثير على المستوى الثقافى والشعبى معا . وقد طرحت الظاهرة بكل مالها من الايجابيات ، وما عليها من السلبيات للنقاش الواسع والعميق . ولكن المحقق ان ايجابياتها أكثر اهمية وقيمة بالتاكيد . وقد انقسم الرأى فى تونس حول هذا التوسع الشديد فى إقامة المهرجانات . فبعضهم يدافع عن هذا التوسع ويرى فيه رواجا فنيا وتجاريا وسياحيا . وبعضهم يرى ان اقامة مايقرب من عشرين مهرجانا كل عام فى بلد صغير مثل تونس هو شيء فيه كثير من الاسراف والمبالغة . ولكن الاتجاه السائد الان على المستوى الرسمى و الشعبى هو مع الظاهرة بالتاكيد . ونحن – ايضا – لابد ان نكون معها . لانها أعطت لتونس اكثر مما اخذت منها . فضلا عن انها تجربة تحتذى فى جميع الاحوال فقد ساهمت فى زرع «الفكرة المسرحية» فى تربة الأرض التونسية على نحو بالغ الاصالة والعمق . والذين شاهدوا فرقة «المسرح الجديد» – مثلا – وهى تقدم عروضها المسرحية المذهلة فى انحاء العالم . وبالعامية التونسية ، لابد أن يدركوا أن فرقة بهذا المستوى – وهى بالمناسبة تتكون من اربعة افراد فقط يقومون بالتاليف والاخراج والتمثيل ومهام العمال – لايمكن ان تنشا من فراغ . فلابد أن يكون وراء هذا الفن المتحضر العظيم الذى تقدمه الفرقة ، رصيدا اعظم من الدراسة والموهبة والاستيعاب والاستلهام وهضم فنون المنصة قديمها وحديثها فى الشرق والغرب على السواء وقد حدث هذا كله من خلال إستقدام فنون المنصة بانواعها على إمتداد سنوات طويلة ، ومن كل بلاد العالم ، وتقديم هذا كله للشعب التونسى .



فيلم «العرس» عن مسرحية لفرقة المسرح الجديد

الشعب وراء الظاهرة

ومن ناحية اخرى . فان الشعب التونسى نفسه هو فى ظنى السبب الأول فى نجاح ظاهرة المهرجانات المسرحية فى تونس على هذا النحو . ولو لم تنجح التجربة جماهيريا لما استمرت . ولما كتب لها الاتساع والانتشار بهذه الدرجة

وقد اتيح لى ان اشاهد عروضا مسرحية مختلفة فى أكثر من مدينة على

KARTHAGO


مسرحية «الفرحات ولد الكاهية»

- عشرون مهرجانا مسرحيا تقام في تونس كل عام
- لماذا انقسم الجمهور في الرأى حول هذه الظاهرة الفريدة؟
- الرصيد العظيم الذى يقف وراء هذا الفن المتحضر في فرقة المسرح الجديد

طول وعرض تونس الخضراء . ففى قرطاج شاهدت جمهور الصفوة الارستقراطية من سكان العاصمة . وفى صفاقس كان الجمهور من متفرجى المدن الصغيرة ، اى من الموظفين والطلبة وجمهور الطبقة الوسطى . وفى قرية المهدية الساحلية ، كان الجمهور من الصيادين وعمال الميناء ، اعنى من الطبقات الدنيا . وفى كل هذه المواقع لم تختلف إستجابة المتفرجين ، فقد كان الجميع يتعاملون مع العروض بنفس الحماس برغم انتماءاتهم الطبقية المختلفة . ورغم أن النقاد يزعمون ان الفن بشكل عام طبقى بالضرورة ، وان المسرح على نحو خاص اكثر تميزا بالصفات الطبقية ، بمعنى انه يستلزم متفرجا يملك حدا أدنى من الوعى والمعرفة والقدرة على التذوق ، إلا ان الجمهور التونسى يكسر هذه القاعدة او يكاد . فالجميع يقبلون على المسرح ، وعلى فنون المنصة ، بشكل لا يدعو الى الاعجاب فقط ، ولكنه يدعو الى الدراسة والبحث .

فى خدمة السياحة

هذه هى طبيعة الجمهور الذى ساهم فى إنجاح ظاهرة «المهرجانات المسرحية» فى تونس . ولكن هذا لايعنى أن هذه المهرجانات قد نشأت وتكاثرت من اجل هذا الجمهور وحده . فالمهرجانات هناك ليست فنا او ثقافة فقط ، ولكنها سياحة وتجارة ايضا .

وقيمة اى مهرجان تتحدد قبل كل شىء من خلال طبيعته الخاصة ، او شخصيته الفنية المميزة . وقد حاولت تونس — بذكائها السياحى على الاقل — ان تجعل لكل مهرجان شخصية متفردة . فهناك مهرجانات جامعة لكل الفنون مثل مهرجان قرطاج . وهناك مهرجانات ذات طابع ثقافى بحت مثل مهرجان الحمامات . وهناك مهرجانات للفنون الشعبية والبيئية مثل مهرجان تستور . وهناك مهرجانات للغناء ، واخرى للرقص ، وثالثة للموسيقى ، ورابعة للفنون الخفيفة ، وخامسة تجمع بين الثقافة والتسلية مثل مهرجان طبرقة او مهرجان «الثقافة» كما يسمى هناك . بل ان فى تونس بعض المهرجانات الفنية الرياضية كان يحتوى المهرجان جزءه من الفن واخرى من الرياضة ، وخصوصا الرياضات الخفيفة ، كسباقات الدراجات ، واليخوت وكرة الطاولة والغطس واليوجا وغيرها . والهدف واضح بالطبع وهو ان يستمتع السائح برياضته نهارا ، وبنوع الفن الذى يحبه ليلا .

ولما كان من المستحيل الحديث عما يقرب من عشرين مهرجانا مسرحيا فى تونس على سبيل الحصر ، فسنكتفى هنا بالحديث عن اكثرها اهمية وشهرة .

مهرجان قرطلج

واول مهرجانات تونس واشهرها هو مهرجان قرطاج الدولى . وهذا المهرجان يقام سنويا منذ سبعة عشر عاما ، وهو يستمر يوميا طوال شهرين على الاقل ، هما يوليو (تموز) واغسطس (اب) . ويصدر المهرجان جريدة اسبوعية باللغتين العربية والفرنسية . وفى هذه الجريدة تعريف بالعروض والفنانين الذين يقدمون اعمالهم فى المهرجان . وهو فى كلمة مهرجان جامع تقدم فيه المسرحية الدرامية من الدول العربية واوروبا وامريكا وافريقيا واسيا وهو يحتوى على فرق موسيقية وغنائية ، وفرق راقصة واخرى للباليه ، والرقص الشعبى ، والاوبرا الحديثة ، ويشترك فيه مطربون وعازفون للموسيقى الكلاسيك وموسيقى الجاز ، وهم يشتركون بصفتهم الشخصية اى كفنانين افرادا ذوى اسماء ضخمة . وهذا كله فضلا عن معارض الفنون التشكيلية ، ومعارض الكتب والمجلات ، ومعارض الاسطوانات .

والمهرجان — كما يقول التونسيون — يرمى الى تحقيق هدفين اساسيين ، الاول : هو المساهمة فى التعريف بالجهد الثقافى والفنى الصريح بشكل عام والتونسى على نحو خاص . والثانى : هو تحقيق نوع من الانفتاح على الثقافات الرائدة والمتقدمة فى مختلف البلدان الشرقية والغربية وبلدان العالم الثالث بصفة خاصة . ثم هناك بعد هذا هدف اخير هو توفير الغذاء الثقافى والمتعة الفنية للمواطن التونسى باستقباله لكل هذه الثقافات والفنون .

لقد حقق المهرجان هدفه الاول وهو التعريف بالجهد الثقافى العربى باستحضار اكثر الفرق العربية الى تونس . ولم يكن اغلبها معروفا للجمهور التونسى من قبل . بل انها لم تكن معروفة بالدرجة الكافية للفنانين انفسهم كما قال لى مدير مهرجان قرطاج نفسه . وقد ساهم هذا فى تحقيق نتيجتين على اكبر جانب من الاهمية . الاولى : هى دفع حركة الابتكار والخلق الفنى فى تونس عن طريق التاثير والتاثر المتبادل بين هذه الفنون والثقافات وبين الفن والثقافة التونسية . وتلك مساهمة مباشرة حققها المهرجان . والثانية : هى مساهمة غير مباشرة وتتمثل فى قيام المهرجان بانتاج اعمال فنية جديدة تقدم فى بداية ونهاية المهرجان . وقد كانت

ادارة المهرجان تنتج ـ مثلا ـ عملا واحدا فى كل موسم ، واصبحت تنتج الان خمسة أعمال فى المتوسط .

على ان اهم ما تحقق فى رايى هو انفتاح المواطن التونسى على ثقافات وفنون العالم العربى اولا ، والعالم الخارجى بعد ذلك . فلقد تم استحضار كل الالوان ومن كل البلاد ، وشاهد المواطن التونسى هذا كله . ولكن ثمة مشكلة تواجههم هناك وهى : جعل هذا المتفرج يقف موقفا نقديا من كل مايراه . انهم يريدون منه ـ المواطن ـ ان يختزن فى وجدانه هذا كله ويتمثله فى شخصة وسلوكه وابداعه ايضا بعبارة اخرى . هم يبحثون عن «صيغة» يتم من خلالها تقديم هذه الثقافات فى اطار لايجعل من هذا المواطن متفرجا سلبيا او مجرد مستهلك ثقافى . بل يريدون منه ان يستفيد من هذه الفنون والثقافات بان ياخذ منها موقفا لاان يذوب فيها . وتلك هى المشكلة التنظيمية فى المهرجان ، فوزارة الشئون الثقافية هناك لا تريد ان تقدم العروض للجمهور كما يقدمها منظم الحفلات ، ولكنها تقدمها بعد تقطيرها بالكتابة عنها ونقدها واصدار النشرات بشانها واستضافة الصحفيين والكتاب ، اى بوضع كل عمل فى اطاره الحقيقى والصحيح حتى لا يصبح المواطن متفرجا سلبيا

مهرجان الحمامات

اما المهرجان الثانى الذى لايقل شهرة وإن كان اكثر اهمية فى رايى فهو المهرجان الدولى للحمامات . انه مهرجان ثقافى بحت يمتد على مسافة شهرى يوليو (تموز) واغسطس (اب) . وهو يكمل مهرجان قرطاج ويتممه . فهذا للجمهور العريض ، وهذا للمتخصصين . ويقدم المهرجان عروضا مسرحية جديدة من الانتاج التونسى . ويشترط ان تقدم للمرة الاولى فى المهرجان . كما يشترط ان تنطوى هذه العروض على نوع من الابتكار والتجديد والتجريب . والى جانب العروض المسرحية ، فهناك افلام سينمائية ، ومعارض للرسم ، وعروض فنية للرقص والموسيقى والغناء . اما اهم ما فى المهرجان فهو «حلقة البحث» السنوية التى تحددها إدارة المهرجان سلفا وتدعوتها عددآ من اعمق المفكرين والمثقفين للمشاركة فيها . إن وجبة المحاضرات والندوات فى مهرجان الحمامات وجبة دسمة . ولست اعرف لماذا لا تطبع هذه المحاضرات فى كتاب شامل كل عام ، باعتبارها دراسات متعددة حول موضوع واحد . ومن اجمل الاشياء فى هذا المهرجان ان القائمين عليه يوفقون دائما فى اختيار موضوع البحث الذى يطرح للحوار ، والذى يدور غالبا حول موقف الانسان والفن من قضايا الاصالة والمعاصرة وفى كلمة فان مهرجان الحمامات ، مهرجان للفن والفكر والثقافة ، وهو يبحث عن التجديد والتجريب ، ويشجع على الابتكار والابحاث المعملية الى حد انه يقدم منحا للباحثين الجادين فى امور الثقافة العربية .

والمعيار الذى تقدم من خلاله العروض فى مهرجان الحمامات هو معيار واحد ، انه الجودة . فلا بد ان يصل العرض المقدم الى درجة ما من درجات الامتياز الفنى . ثم لابد إن ينطوى العرض على شىء من الجدة وأن يمثل شيئا رائدا فى البلد الذى استقدم منه . وقد سالت الكاتب المسرحى التونسى الكبير عز الدين المدنى ، وهو مدير مهرجان الحمامات فى نفس الوقت ، عن الفرق بين مهرجان ثقافى وفنى لايقل شهرة واهمية هو مهرجان دمشق ، وبين مهرجان له نفس الطابع الثقافى الفنى وهو مهرجان الحمامات ؟

قال : الفرق كبير . فمهرجان دمشق مهرجان متخصص فى لون واحد من الوان التعبير الفنى هو المسرح ، ولهذا فهو يقوم بوظيفة مختلفة تماما . انه يحقق فرصة للقاء المسرحيين العرب من مختلف البلدان ويساهم فى تعريف الجمهور السورى بالمسرح العربى بشكل عام . وهذا يعنى أن مهرجان دمشق هو مهرجان للمسرحيين بالدرجة الأولى . اما مهرجان الحمامات فهو مهرجان لفنون متعددة ، من ناحية ، وهو مهرجان للبحوث المعملية والتجريبية من ناحيه اخرى . وهذا البعد الثقافى المتخصص للمهرجان لايعزله عن الجمهور ، فللمهرجان جانبه الجماهيرى ايضا .

مهرجان اللقـــاء

امـــا عن المهرجان الثالث ـ من حيث الاهمية ـ فى رايي فهو مهرجان طبرقة ، أو «مهرجان اللقاء» ، وهو يمتد فى نفس شهور الصيف . واهم ما يتميز به انه يقيم معادلة بين الترفيه والثقافة .

اما اهم مافى مهرجان طبرقة فهو العروض العفوية التى تتم إرتجالا ومن وحى اللحظة وبدون اى إعداد مسبق .


مشهد من مسرحية التحقيق ٧٧ ـ ١٩٧٨



الغناء الشعبى القديم

اما المهرجان الرابع من مهرجانات تونس العديدة فهو مهرجان تستور ، وتنبع اهميته من زاويتين : الاولى : انه مهرجان قديم إذ يبلغ عمره الآن خمسة عشر عاما . والثانية : انه مهرجان متخصص فى نوع من فن الغناء والموسيقى هو فن « المالوف » .. وهو الغناء الشعبى القديم بكل مافيه من تنوع وخصوبة وجمال . ويعنى هذا المهرجان بالبعد الثقافى عناية فائقة ، فهو يخصص موضوعا للبحث كل عام يدور حوله الحوار فى ندوة علمية واسعة . وقد حضرت إحدى هذه الندوات وكانت عن «دور الطرق الصوفية فى المحافظة على التراث الموسيقى » . ولنا ان نتصور اهمية الأبحاث التى يمكن ان تهم المتخصصين ، أو المهتمين بالفن والثقافة فى ندوة حول هذا الموضوع النادر . انه مهرجان هام ، ولكن المؤسف ان الدول العربية لا تشترك فيه باستثناء دولتين او ثلاث . اما لانها تجهل المهرجان ، وإما لأنها لا تدعى إليه . ومن المدهش ان تحرص بلد مثل اسبانيا ـ بكل مافيها من ابعاد عربية ـ على الاشتراك فى هذا المهرجان ، ثم لاتحرص البلاد العربية بنفس الدرجة على ان تفعل نفس الشىء .

وليست تلك كل المهرجانات ، فهناك مايقرب من عشرين مهرجانا مسرحيا فى تونس كما نعلم .

محمد بركات



إسماعيل مصطفى تامر

الببغاء والشجرة.. والغابة !

فجاة خيمت الكابة على الشجرة الشابة ، وباتت اغصانها تنفر من حمل الطيور ، وتنزعج من تغريدهم ، حتى انها لم تعد تطيق التحدث للريح عن شجونها ، فسكن الحفيف فى اوراقها ، وذهبت الطيور تتحدث للطيور وراح النهر يجرى بالخبر ... اما جاراتها الأشجار ، فقد هالها الأمر .. وكيف لا ؟! فالكابة مرض لم تعرفه الأشجار بين امراضها !!

ومر الببغاء الجميل .. صديق الشجرة .. فاحب كعادته أن يستطلع الأمر :

ـ عزيزتى الشجرة ، لماذا انت على هذه الحال ؟

ـ هكذا انا .. فاتركنى لحالى !!

ـ لا .. هذا الجواب غير محسوب على صداقتنا .

ـ (بسخرية) صداقتك .. من يصادق ببغاء .. لا يحصل فى النهاية الا على عضة لئيمة !!

ـ إن لدى مبرراتى ، ولكن دعيك منى الآن ، وهات اخبارك ؟!

ـ اننى مكتئبة .. يا صديقى الببغاء !

ـ اعرف ذلك ، إنما جئت أسالك ... لماذا هذا الامر ، فى الوقت الذى تلبس فيه الأشجار من حولك ازهى واجمل زينة لديها .. لقد تناقلت اخبارك الطيور ، وذهب النهر يحكى القصة لكل الضفاف !

ـ لا ادرى كيف ابدا لك القصة .. احس وكانني اصبحت دائرة مقفلة من الاسى .. لا تحدثنى عن الاشجار .. لقد سئمت ما يلبسن وصار لونها الاخضر علامة للنفاق والرضى .. يا ليت لى جناحيك لابتعد بهما الى حيث يتعبان !

ـ وما حاجتك الى هذين الجناحين ، ولديك الجذور التى تضرب فى اعماق الارض .

ـ هكذا انت .. كل ما يهمك ان تجد ما تاكله .. الا ترى لهذين الجناحين من فائدة سوى انهما يسعفانك فى جلب الطعام ! يا لتعاستى ! كيف احتمل الكلام مع ساذج مثلك .. لست ادرى ؟!

ـ اسمعى لقد تحملت اكثر مما ينبغى من الاهانات ! ولكننى مع ذلك سوف استمع لقصتك .

ـ (بسخرية) لم يعد لى بعد اليوم من قصة !!

ـ بل لابد منها .. فالحكاية تتخلل كل الاحداث !

ـ اتذكر ايها الببغاء ... يوم جئت تحدثنى عن حدود الغابة التى طرت اليها فى يوم عاصف .

ـ نعم اذكر ... كم كانت دهشتك يومها كبيرة !

ـ لم تكن دهشة ... بل بداية سؤال كبير .. كبير جدا !

ـ وما هو هذا السؤال ؟

ـ إنك لن تحصل عليه بهذه الطريقة ، فانا نفسى لا استطيع ان المه فى حدود الكلمات ، الم اقل لك إنه كبير جدا !

ـ بصراحة ، لقد تغيرت ، وصرت لا افهمك من يوم أن حدثتك عن حدود الغابة البعيدة !

ـ قل لى كيف لا يعتصرك الاسى ، وانت ترى ذلك البعيد لا يقترب منك ابدا ، حيث يصبح الزمن مستحيلا والمكان صنما ... هذا انا فى مكانى ثابتة بقوة جذورى ... انتظر كل شىء .. دون أن اتحرك ولو خطوة واحدة انا احسد كل الاجنحة .. لانها تملك ان تطير ... تملك ان تحمل الشوق وتسافر .. قل لى كيف اكون إبنة الغابة ولا أملك أن اعرفها أو أرى حدودها بالامس .. ضربت صاعقة جارتى المسكينة فهشمتها فى مكانها ، دون أن تملك الهرب من مصيرها ولو خطوة واحدة !

ـ ولذلك كله انت مكتئبة ؟!

ـ ما اراه حولى ليس غابة اتوق إليها بل غابة اريد الهرب منها ومن إسارها .

ـ ولكن حياتك هكذا .. قدرها أن تكون بلا الام ... إذ لا عدالة للالم مع السكون ... بل مع الحركة !

ـ إننى ابادل هذا السكون الذى اعيش بكل الامكم !

ـ ساذهب واخبر طيور الغابة عن ذلك وربما اتفقنا جميعا من اجلك !

وطار الببغاء الجميل .. ليلتقى بطيور الغابة وحدثهم عن الشجرة التى تود ان تبادلهم الامهم بسكونها .. ورات الطيور انها تجربة جديدة .. فكم تاقت الطيور إلى جذور تضرب فى اعماق الارض .... وتمت الصفقة واستطاعت اجنحة الطيور جميعا أن تكفى الشجرة للتحليق بعيدا عن مكانها إلى حيث يبدا الزمن ويكبر الشوق والقلق ... ورات الشجرة نفسها لاول مرة بعيدا عن لونها الاخضر السلاج .. ولاول مرة احست أن لها قلبا يخفق بقوة الاجنحة التى تحملها ... وخلال طيرانها للبعيد لم ينقطع اللون الاخضر عن ناظرها وباتت تتساءل : هل هذه الغابة بلا حدود ..؟! كيف كان الببغاء بجناحه الصغير يصل إليها إذن !!؟

ومرت الاجيال وراء الاجيال والشجرة تحاول أن تصل الى حدود الغابة ... وصار الشوق حريقا ، ورغم ذلك لم تستطع أن تفلت من لون الغابة الاخضر !! ولكن كيف ؟! اين تلك النسائم الرقيقة التى كانت تصلها من حدود الغابة فتزهر وتنمو .. لقد كانت جذورها من قبل تلامس عالما بعيدا ولكنه اقرب على كل حال مما تحاول أن تسعى إليه الآن !!

اين النهر الذى كانت تشغل مكانا على ضفته ... واين ضحكات مياهه التى كانت تتسلل إلى جذورها تحت جنح الظلام !

وعندها .. احسست أن عالما جديدا من الحنين يكبر ويكبر .. وبقيت اجنحة الطيور التى تحملها من الطيران وراح الالم يعتصر قلبها .. وادركت انها كانت ضحية مقلب من الطيور .. ورجعت الى حيث تجد الطيور ولكن كيف ؟! كيف تجد الطيور وقد صار لونها بلون الغابة الاخضر .. وصار لها جذور تضرب فى اعماق الارض !! كيف ترجع ... وهناك من يدفعها لكى تكبر وتتعب ، لقد نسيت انها تحمل الزمن الآن وتكبر به وتتعب ... !

ولم تستطع أن تقاوم التعب .. بعد ان ارهقها فتراخت الاجنحة التى تحملها لتقع الى عمق الغابة الاخضر .. دون أن تدرك انها كانت خلال طيرانها تبتعد عن حدود الغابة بقدر لهفتها للوصول ... وعندما استرخت لتنام جاء اليها فى الحلم طيف صديقها الببغاء الجميل ... !!

ـ هل تعبت الآن يا صديقتى الشجرة ؟!

ـ كنت تكذب على فى حكاياتك إذن ايها الببغاء ؟

ـ ابدا ما كذبت عليك ... ولكنك لم تنتظر حتى اخبرك بان حدود الغابة لا تصل إليها الأشجار !!

وهنا لم يعد لديها كلمات ... بل رات فى حلمها انها تصغر حتى اصبحت بذرة قادرة على ان تنمو وتضرب جذورها فى اعماق الأرض !!